الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر
- باتنـــة -

كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية

قســـم :اللغة العربية و آدابها

الإحالـــة ودورهـــا فـــي التماســـك النصـي

روايـــة "فـي سبيـــل التـــاج"- للمنفلوطي- أنموذجـا

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي (تخصص لسانيات اللغة العربية)

إعداد الطالبة:

✍ دنيا بن قسمي

إشراف الأستاذ الدكتور:

السعيد هـادف

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبـــة	الجامعـــة	الصفـــة
بلقاسم ليباريـر	أستـاذ التعليـم الـعالي	جامعـة باتنـة	رئيـــسا
السعيـد هـــادف	أستـاذ التعليـم الـعالي	جامعـة باتنـة	مشرفا و مقررا
لخضـر بلخـــير	أســـتاذ مـــحاضر	جامعـة باتنـة	عضـــوا
بلقاسـم دفـــة	أستـاذ التعليـم الـعالي	جامعة بسكرة	عضـــوا

السنة الجامعية: 2010/2009م

1430/ 1431هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلـــى روح والـــــدي الطاهـرة

-إلـــى كـــــل مـــــن...

أنطقـني...علمـني...منحـني...أهـداني...أعارنـي...

حـــــرفا...

- لتنتظـم هـذه الحـروف كـــلمات

- فتنتظم تلك الكلمات جملا و تركيبا وفقرات

- ثـــم لتتســـق نـــصا لبحثـــنا

أهـدي ثـمرة هـذه الـدراسـة.

دنيا بن قسمي

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

الاتساق النصي ووسائله

لقد ظهر جيلان جديدان في ميدان اللسانيات، جيل أول يجعل الجملة الوحدة الكبرى للتحليل وجيل ثان يعتبر النص الوحدة الكبرى للتحليل وذلك لأنه يحقق غرض التبليغ والتواصل.

ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم بـ"لسانيات النص" إذ أن الهدف الرئيسي للسانيات النص أو نحو النص يتمثل في كيفية تماسك النصوص وتأديتها أغراضا تبليغية في مقامات محددة.

لكن من البديهي أن كل علم من العلوم يتأسس من خلال ماضيه وبالاستناد إلى معارف سابقة، وليس هناك علم يتواصل من فراغ دون الارتباط بعلوم أخرى لأن المعرفة الإنسانية معرفة تراكمية، ولما كان التطور نفسه من سنن الحياة ومواكبة ركب هذا التطور في غير انفصال عن القديم كان من الواجبات المنوطة بالباحثين كشف النقاب عن الإسهامات القديمة والحديثة لتقديم نظرية متكاملة ولئن ارتبطت نشأة الدرس اللساني بالنصوص والنص الديني خاصة فإن اللسانيات النصية قد برزت لتدرس هذا المنطلق "النص" دون إحداث قطيعة مع لسانيات الجملة ـ بل على العكس ـ استفادت من دراسة جزئياتها المتعلقة بالكلمة و نحو الجملة لدراسة الكل المتمثل في النص قصد كشف ووصف روابط انسجامه وتماسكه وكذا جسور الانتقال بين الجمل والتي تتحقق من خلال اللحمة اللغوية؛ الشكلية والدلالية في النص.

ولما كان الأمر كذلك ارتأينا أن نخوض في مثل هذا الميدان من الدراسات النصية باختيارنا موضوع "الإحالة ودورها في التماسك النصي" رواية في سبيل التاج ـ نموذجا ـ

ولعل الإشكالية التي تطرح نفسها هي: ما هو النص؟ الذي يثير القارئ فيهرع إلى كشف مكوناته ودهاليزه؟ وهل هناك خطاب متماسك الأجزاء فعلا؟

ثم ما ماهية هذا التماسك الذي ينسج النص وينظمه؟ وهل حققت الإحالة هذا التماسك من خلال أدواتها من ضمائر وأسماء إشارية و موصولة .

أما اختيارنا لموضوع التماسك النصي من خلال الإحالة، فقد جاء بناء على كون علم اللغة النصي علم قائم بذاته يستهوي التوقف عنده، بالإضافة إلى كون الاتساق النصي حقلا معرفيا جديدا في الدرس اللغوي المعاصر يعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص وعلاقتها بباقي الجمل الأخرى وهكذا نصل في الأخير إلى بناء نص كلي أو بنية كلية ذات ترابط وثيق على المستويين الشكلي والدلالي من خلال اعتبار النص وحدة دلالية كبرى تتألف من وحدات دلالية جزئية تتلاحم فيما بينها ليكون الوحدة الكلية للنص.

والهدف من هذه الدراسة هو محاولة التعرف على مدى إسهام عنصر الإحالة باعتباره أهم أداة من أدوات الاتساق النصي في تحقيق التماسك من خلال أدواتها السابقة وكذا محاولة إبراز دورها في تحقيق التلاحم والترابط بين أجزاء النص من خلال الرواية المختارة كمدونة للتطبيق.

ولعل المنهج الأنسب إتباعه لتحقيق تلك الغايات هو المنهج الوصفي التحليلي وذلك لما اقتضته الدراسة، حيث أننا أمام ظاهرة لغوية تستلزم التوقف عند تحديد مفهوم النص، مرورا بوصف وسائل الاتساق والانسجام وتحليلها مع التركيز على الإحالة من خلال إبراز أدواتها ونظرة القدماء إليها وكذا علاقتها بباقي الوسائل الاتساقية الأخرى.

أما عن المراجع التي استقى منها البحث مادته العلمية المتعلقة بالموضوع فقد كانت اغلبها مؤلفات لعلماء اللغة المحدثين وبخاصة: "لسانيات النص" مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي وعلم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات" لحسن سعيد بحيري، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية لصبحي إبراهيم الفقي...

كما لم أهمل الإفادة من كتب القدامى حيث أصلت للعديد من المسائل اللغوية من مصادر التراث العربي، فاعتمد البحث خاصة على لسان العرب لابن منظور والخصائص لابن جني ودلائل الإعجاز للجرجاني...

وقد اقتضت طبيعة الموضوع هيكلة البحث في بنية تتألف من ستة فصول تسبقها مقدمة وتليها خاتمة كما يلي:

- **مقدمة**: وفيها طرح للموضوع وتقديم الإشكالية.
- **فصل تمهيدي**: تناولت فيه التعريف بالنص من وجهة النظر العربية والغربية لغة واصطلاحا مع إبراز الفروق بينه وبين الخطاب مع التطرق لمعايير إنتاج النص وكذا مراحل إنتاج النصوص.
- **الفصل الأول: الاتســـاق النصـــي ووسائلـــه**

وقد تناولت فيه ماهية التماسك النصي مع تحديد أدواته وبيان أهميته مع الإشارة إلى السياق.

- **الفصل الثاني: الانســـجام و الســـياق**

وقد تطرقت في هذا الفصل إلى مفهوم الانسجام ووسائله مع الإشارة إلى السياق ودور المتلقي في الحكم على تماسك النص.

- **الفصل الثالث: البنيـــة الإحاليـــة للضمائـــر**

وقد تضمن في صفحاته البنية الإحالية للضمائر حيث ميزت الضمائر المنفصلة عن الضمائر المتصلة هذه الأخيرة قد فصلت فيها بين الضمائر التي هي في محل رفع والضمائر التي هي في محل نصب أو جر.

- **الفصل الرابع: البنيـــة الإحاليـــة لأســـماء الإشـــارة**

تطرقت فيه إلى دور أسماء الإشارة في تحقيق الإحالة و قد ميزت بين أسماء الإشارة للمفرد و للجمع.

- **الفصل الخامس: البنيـــة الإحالـــية للأســـماء الموصولـــة**
- **خاتمة**: سجل فيها أهم النتائج المتوصل إليها
- **ملحق**: تضمن التعريف بأهم المصطلحات المفاتيح الواردة في عنوان المذكرة كالرواية والتعريف بصاحبها.

وكان من الطبيعي أن تعترض أي باحث جملة من الصعوبات والعراقيل منها ما يعود إلى طبيعة البحث، ومنها ما يعود إلى الظروف المحيطة بالباحث يمكن أن نفصلها في النقاط التالية:

- قلة المراجع اللغوية في مجال لسانيات النص نظرا لحداثة هذا العلم ثم إن أغلب أعلامه كانوا غربيين.
- معظم المراجع المتحصل عليها كانت مترجمة، وهذا ما يجعل الباحث يجد صعوبة في التعامل مع المعلومات وفي فهمها أحيانا وصعوبة التعامل مع المراجع الحديثة والمصادر القديمة والتوفيق بينهما بخاصة عندما يتعلق الأمر باختلاف الآراء في المسألة اللغوية الواحدة.

ولكن بمعونة الله لنا وإصراري وإيماني بنبل الرسالة قد ولد في إرادة قوية ومتعة علمية ودفعا طموحا لمواصلة مسيرة البحث.

إضافة إلى أن مؤازرة الأستاذ المشرف قد دفعني قدما للاستمرار في البحث والوصول إلى إخراجه إلى النور فلا يسعني إلا أن أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني وثنائي للأستاذ الدكتور" السعيد هادف" اعترافا بفضله وتقديرا لجهده واحتراما لشخصه وإقرارا بلمساته المعرفية التي توجت هذا البحث، فجازاه الله خير الجزاء وزاده هذا التعب في ميزان حسناته.

ولا ادعي بهذه الدراسة المتواضعة أنني قد أحطت بكل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بهذا الموضوع إذ كان عملي مبنيا على الاجتهاد ومن طبيعته الخطأ والنقصان وما توفيقي إلا من الله عليه توكلت وإليه أنيب.

مفهوم النص بين المنظور العربي و المنظور الغربي

أولا: لغـــــــة:

1ـ عند العرب:

تتضمن المصنفات المعجمية العربية معاني متعددة لمادة (ن/ص/ص) تتقاسمها دلالة مركزية هي :الرفع والإظهار و البروز و الانكشاف ففي لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) أن المادة المعجمية (ن/ص/ص) تعني النص وجمعه نصوص و أصله نصص على وزن فعل، فيقول: النص: رفعك الشيء، و نص الحديث ينصه نصا : رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، يقال :نص الحديث إلى فلان رفعه ، وكذلك نصصته إليه، ونصت الضبية جيدها : رفعته ، ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة و الشهرة و الظهور و نص المتاع نصا جعل بعضه على بعض و نص الدابة ينصها نصا رفعها في السير و كذلك الناقة، والنص و النصيص: السير الشديد و الحث، ولهذا قيل :نصصت الشيء رفعته ،و منه منصة العروس.

وأصل النص :أقصى الشيء و غايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع نص الرجل نصا: إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده ، ونص كل شيء منتهاه كما أشار اللسان إلى معنى الثبات في مادة نص إذ قال نقلا عن الليث: النصنصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحركه إذا هم بالنهوض [1] ، فالمتتبع للتطور الدلالي لكلمة نص في انتقالها من الحسي إلى المعنوي نجدها كانت تحمل دلالة حسية مثل نصت الضبية جيدها رفعته أي أقامته ثابتا باتجاه ،و نفهم أيضا أنها أخرجت كل الطول المحتمل في جيدها ، ولم تبق مجالا لزيادة ولم تخف شيئا من ذلك الطول و المعنى بلغت في رفعه أقصى درجات الرفع الممكنة [2].

(1) ابن منظور، لسان العرب ج7،ص: 97،98
(2) ينظر:د/عمر أبو خرمة نحو النص، نقد النظرية و بناء أخرى ،عالم الكتب الحديث ،الأردن، 2004، ص: 26

ومما جاء في اللسان:نص المتاع جعل بعضه على بعض فهذه دلالة حسية ملموسة ثم انتقلت هذه الدلالة إلى دلالة معنوية للنص، فكان الكلام المتراكب أو الجمل المتراكبة على بعضها البعض تسمى نصا [1] ،ومنها :نصت الضبية جيدها رفعته فهذه كلها دلالات حسية ثم تطور ليشمل معان معنوية دلالية إذ نجد: نص الأمور شديدها و كذلك نص الرجل:سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده.

و يورد المعجم الوسيط بعض الدلالات المولدة لمصطلح النص: (فالنص صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف ، و النص مالا يحتمل إلا معنى واحدا أولا يحتمل التأويل، و منه قولهم : لا اجتهاد مع الكتاب والسنة ،و النص من الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه يقال: نص الحديث :رفعه وأسنده إلى المحدث عنه) [2] ، فمعنى ذلك أن نعيد الكلام الذي يسمع كما هو بلا زيادة و لا نقصان و لا إضافة و لا حذف كما أنه لا يحتمل إلا معنى واحدا.

و يتضح مما تورده المعاجم العربية –القديمة و الحديثة- أن المعنى الحديث لمصطلح النص كان واضحا و جليا و يدور حول محاور عدة هي: الرفع والإظهار – ضم الشيء إلى الشيء ، أقصى الشيء ومنتهاه و كذلك الوضوح والإنكشاف.

فالرفع و الإظهار يعنيان أن المتحدث أو الكاتب لا بد له من رفع نصه و إظهاره حتى يفهمه المتلقي ،أما ضم الشيء إلى الشيء فهي إشارة إلى الترابط الحاصل بين الجمل و كون النص أقصى الشيء و منتهاه فذلك إشارة إلى أنه أبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها أما الوضوح و الانكشاف فإشارة إلى أن الكاتب و المتحدث لا بد له من رفع نصه و إجلائه كي يدركه المتلقي سواء كان مستمعا أو قارئا.

2- **عند الغرب:** إذا كان النص يعني الظهور و البروز و الرفع في المفهوم اللغوي العربي فإنه في أصوله الغربية اللاتينية نجد كلمتي texte و text مشتقتين من textus

(1) ينظر: المرجع السابق، ص: 26.
(2) مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط،د-ت، ج2، ص: 926.

بمعنى النسيج tissu المشتقة بدورها من texere بمعنى نسج و معنى النسيج ارتبطت بالمجال المادي الصناعي ثم انتقل هذا المعنى إلى نسيج النص. [1]

فالأصل اللاتيني يحيل على النسج الذي يعتمد على الربط أساسا، فالنص ينسج من الكلمات يرتبط بعضها ببعض، و الربط هو بمثابة الخيوط التي تجمع عناصره، فالأصل اللاتيني يحيل على النسج والذي يوحي بدوره إلى الجهد و ربما يوحي أيضا إلى الاكتمال، "أفليس النسج مجموعة من العمليات التي يتم بمقتضاها ضم خيوط السدى إلى خيوط اللحمة لنتحصل على نسيج ما يعتبر تتويجا لهذه العمليات ؟ ثم ألا يعني النسج بمعناه الواسع الإنشاء و التنسيق فهي ضم الشتات و التنضيد" [2] .

إن العلاقة لبينة في هذا النقل – النص و النسيج- فإذا كان النسج المادي يتكون من السدى و اللحمة و المنوال .....،فإن النص يتكون من الحروف و الكلمات و الجمل المجموع بالكتابة....و عليه فإذا لم تستحل هذه الأصوات و الألفاظ و الكلمات إلى كتابة أي إلى نسيج فإنها ليست نصا . ويقول أحد الدارسين :"يعلم الجميع بالحدس ماذا يمكن أن يسمى نصا؟ من اللاتينية (textus) وتعني أصلا النسيج أو الأسباخ المظفرة من الفعل اللاتيني(textra) و تعني نسيج أو جدلت (شعرها) كرسالة رواية،دراسة علمية .....غير أن هناك مشتبهات بلا حصر : هل تسمى محادثة الهاتف نصا، و ماذا عن الأغنية أو الصورة الرمزية أو الإعلان بمكبرات الصوت في محطة القطار؟ هل تعد أيضا إشارات المرور الضوئية بألوانها المختلفة وما تقدمه من معلومات نصوصا [3]

فالمعنى المعجمي لمصطلح "نص" متقارب في الثقافتين العربية و الغربية و يعني بصفة عامة الرفع و الإظهار و اكتمال الصنعة في النسج و تفيد هذه المعاني أن النص

(1) ينظر: د/عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص دار الأديب ، وهران، 2006، ص: 20.
(2) أحمد الخديري ، من النص إلى الجنس الأدبي ، الفكر العربي المعاصر، ع100-101، 1988، ص: 41.
(3) فولفانج هانيه من و ديتر فيهنجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر: فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ص:04.

هو ما يرتفع أو يظهر إما كحدث كلامي من خلال الصوت المسموع و إما كإنتاج خطي مرئي تظهره الكتابة بشكل مترابط، و في هذا الشأن يقول أحد الباحثين "نلاحظ أن النص هو في كثير من تعريفاته هو ضم الجملة إلى الجملة بالعديد من الروابط " [1]

ويقول آخر: "إن النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض ،هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص" [2]

ولعل اللافت للنظر أن الدلالة الحديثة لمصطلح "نص"،لم تكن غائبة كليا في المعجم العربي ،و هي تلتقي أيضا كما ذهب إلى ذلك باحث عربي معاصر مع ولادة المصطلح في اللاتينية التي تشير إلى معنى بلوغ الغاية و الاكتمال في الصنع [3]

و لكن يمكن القول أن زوايا تعريفات النص قد تعددت ،فمن الدارسين من ينظر إليه من جهة الشكل ،ومنهم من ينظر إليه من جهة المضمون و هناك من يتناوله من جهة الشكل و المضمون معا.....

ثانيا:المعنى الاصطلاحي:

إن المهمة الصعبة التي يواجهها النقد المعاصر هي تحديد المصطلحات بدقة و رسم حدودها المنهجية و الإجرائية ،فتعريف النص يعد مبحثا صعبا في التراث اللساني العربي نظرا لأن التراث واسع و متنوع جدا تحتاج عملية البحث فيه إلى كثير من الوقت و الجهد و لا يمكن أن نبحث عن مفهوم النص في التراث إلا من خلال التطرق إلا جملة من المفاهيم مثل :الجملة ،الكلام، القول،و الخطاب و النظم و كلها مفاهيم أساسية في النظرية اللغوية العربية بعامة و الأسس المكونة للنص بخاصة .

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دراسة تطبيقية على السور الملكية ، دار البقاء، القاهرة، ط1، 2000، ص: 28.
(2) (الأزهر الزناد، نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1، 1993، ص: 12.
(3) ينظر: فاضل ثامر، اللغة الثانية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص: 71.

1ـ الجملـــة:

لقد اعتمدت الدراسات اللغوية منذ نشأتها الأولى على الجملة في تناولها للغة رغم الغموض الذي تتسم به حتى وقتنا الحاضر ،فقد درسها العلماء العرب القدامى دراسات عديدة وتحت أبواب مختلفة ،إعرابية و نحوية و دلالية و لعل أهم التعريفات التي وضعوها للجملة أنها : "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بالفهم سواء أتركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر" (1)

و هذا تعريف شبه متفق عليه عند اللغويين المحدثين و لكنهم اختلفوا في الإفادة و عدمها و اتفقوا على ضرورة تركيبها من مسند إليه و مسند فإذا حذف أحدهما قدروه.

كما تعتبر – في نظرهم : "عنصر الكلام الأساسي؛ إذ تعتبر وسيلة الفهم و الإفهام و الإبلاغ و التبليغ و هي كذلك المركب من كلمة أو كلمتين أو أكثر مستقلة بنفسها، و يحسن السكوت عليها" (2)

و بالتالي فالجمل وحدة لغوية أقل من الكلام غرضها إفادة السامع معنى من المعاني ،فالجملة مفهوم قد أحاط به الكثير من الغموض حتى في وقتنا الحاضر فمثلا إن"الجملة عبارة عن فكرة تامة" أو هي "تتابع من عناصر القول ينتهي سكتة" كما أن هناك من يرى أن الجملة "نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة" (3)

فمن خلال ما سبق نستشف التباين الواضح في الاتجاهات التي تعتمد عليها التعريفات السابقة فبعضها ينطلق من منظور دلالي محض و بعضها ينطلق من منطلق شكلي و البعض الآخر يعتمد على المزيج بين الشكل و الدلالة و من هنا يمكن تقسيم الجملة إلى نوعين :

(1) ينظر:د/إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ص:191.
(2) مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد و توجيه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ، ط1، 1964 ص: 33.
(3) ينظر:النص و الخطاب و الإجراء ، روبرت دي بوجراند، ترجمة د/محمد حسان،عالم الكتب، القاهرة ، 1998 ص: 88.

أ- جمل نظام: و هو شكل الجمل المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة و المقبولة في نحو لغة ما [1]

إن هذا النوع ينظر للجملة من ناحية الشكل المجرد ،فهي بمثابة النظام الواجب مراعاته عند إنتاج الجمل سواء كانت ممكنة أو مقبولة في نحو لغة بعينها ،و هذا التناول يعطي للجملة معنا بعيدا كل البعد عن السياق.

ب- جملة نصية : و هي جملة تتسم بالتواصل مع جملة أخرى حيث يحتويها نص ما أو هي المنجزة فعلا في مقام [2]

فالجملة هنا لا ترد منفردة بل يجب أن تكون مدمجة داخل نص ما كما أن مدلولها يكون مرتبطا بالسياق و بنظام الجمل في النص فتعطي دلالتها من خلال مراعاة الاتساق- كترابط شكلي بين الجمل- و الانسجام- كترابط معنوي دلالي- في النص ككل.

2- الخطاب:

إن مفهوم الخطاب اللساني حديث نسبيا و تحديده من الأمور المستعصية نظرا للتطور السريع الذي حصل في علم اللسانيات ،فقد اختلط هذا المفهوم و التبس بغيره من المصطلحات بخاصة مصطلح "النص" و يكاد يجمع كل المتحدثين عن الخطاب و تحليل الخطاب على زيادة ز- هاريس في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـ "تحليل الخطاب" إذ يعتبر هذا الأخير أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتحدى الجملة إلى الخطاب فقد عرف هاريس الخطاب بأنه: "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية و بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" [3]

(1) الأزهر الزناد ،نسيج النص، ص:14.
(2) أحمد مصطفى عفيفي ، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ص:19.
(3) ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن - السرد- التبئير) ، المركز الثقافي العربي، بيروت ص:17.

و بمقتضى هذا التعريف نجد أن هاريس يسعى إلى تطبيق المنظور التوزيعي على الخطاب كما أنه يساوي بين المنطوق و المكتوب طال أو قصر،و سواء تشكل من جملة واحدة أو عدة جمل.

أما "بنفنست" فإنه يعرف الخطاب إنطلاقا من الملفوظ فيرى بأنه:" كل تلفظ يفترض متكلما مستمعا ،و عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" [1]

إن الخطاب عند بنفنست هو توظيف الملفوظ في عملية التواصل، التي تقتضي بالضرورة وجود مخاطب و مخاطب و رسالة معينة بحسب المقام وعند المتكلم نية التأثير في المستمع.

ـ مع هاريس و بنفنست كانت المحاولات الأولى لتحديد الخطاب لكن مع بداية السبعينات شهدت محاولات عديدة لإعادة قراءة تلك التحديدات السابقة فكان أن ظهرت أراء و وجهات نظر جديدة منها ما يساوي بين النص و الخطاب و يوظفهما دون تمييز، و منها ما يرى أن هناك فرقا بين النص من جهة و الخطاب من جهة أخرى .

و سنعرض فيما يلي لبعض هذه الآراء:

إن تعريف النص بالخطاب شيء مألوف عند كثير من الدارسين، يقول روجر فاولر:" إن كل نص خطاب ،فعل لغة من لدن مؤلف ضمني له تصميم محدد لقارئ ضمني محدد الهوية " [2]

و ترى جوليا كرستيفا أن: " النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم و الإيديولوجيا و السياسة" [3] ، و يشيع هذا الاعتقاد في التجربة النقدية العربية

(1) المرجع السابق، ص: 19.
(2) فاولر روجر، اللسانيات و الرواية، تر: لحسن إحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص: 66.
(3) جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة، عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ط2 1997، ص: 13.

مع محمد مفتاح و عبد الملك مرتاض فهما يسويان بين النص و الخطاب و يطلقان اسم الأول على الثاني و العكس.[1]

و بالرغم من أن كل الباحثين السابقين قد أجمعوا على المساواة بين النص و الخطاب ، فإننا نجد آراء أخرى تؤكد أن هناك فروقا جوهرية بين النص و الخطاب يجب أن لا نغفل عنها،إذ يرى "يقطين" أن:" الخطاب مظهر نحوي يتم بواسطة إرسال القصة ،و أن النص مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي....في الخطاب نقف عند حدود الراوي و المروي له، و في النص تتجاوز ذلك إلى الكاتب و القارئ".[2] من خلال كلام سعيد يقطين ندرك بالضرورة تلك الفروقات بين النص و الخطاب على مستوى النحو و الدلالة، و على مستوى عملية التواصل " الراوي و المروي له/الكاتب و القارئ" و بالتالي فهو يغلب فكرة النص أشمل من الخطاب و يأتي تعريف عبد السلام المسدي للخطاب بأنه:" خلق لغة من لغة".[3]

و هذا يستوجب الإعتقاد بأن الخطاب "تحول من اللغة كمعطى إجتماعي إلى اللغة كمعطى فردي، تكتسب فيه التراكيب خصوصية تتعلق بالمتكلم"[4] " و يظل التمييز بين النص و الخطاب من زاوية كون النص في الأساس بنية، في مقابل كون الخطاب في الأساس موقفا هو التمييز السائد في أدبيات نظرية النص و تحليل الخطاب"[5]

ويرى الباقلاني أن الفرق بين النص و الخطاب يكمن في أن النص يكون مكتوبا و الخطاب ملفوظا.[6]

(1) ينظر : د/ أحمد مداس ، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري،عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص:12.
(2) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2 ،2001، ص: 32.
(3) عبد السلام المسدي- الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982، ص: 117.
(4) ينظر:د/أحمد مداس، لسانيات النص، ص: 19.
(5) ينظر:د/محمد العبد، النص و الخطاب و الإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة،2005، ص:11.
(6) د/عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ، منشورات مختبر الخطاب الأدبي، الجزائر، 2006 ص:17.

كما اعترف كذلك "ميخائيل إستوبس" بما يعتري النص و الخطاب من غموض و خلط و لكنه يرى ـ في الوقت نفسه ـ أن هذا الإختلاف ضئيل لا يجعله يأمل في تأسيس فارق نظري مهم بينهما ، لكنه يعود في محاولته التمييز بينهما إلى تقديم بعض الملحوظات المفيدة:

- نتكلم غالبا عن الخطاب المنطوق في مقابل النص المكتوب.

ـ غالبا ما يعني الخطاب "الخطاب التفاعلي " على حين يكون النص مونولوجا غير تفاعلي سواء في ذلك أن يكون مونولوجا منطوقا جهرة أم غير ذلك.

و هذه التمييزات السابقة نرى لها نظيرا في الثقافة العربية فبينما ارتبط النص بالمتن نجد الخطاب يرتبط بالاتصال الشفاهي المباشر من ناحية ،كما ترتبط بحضور الطرف الأخر في العملية الاتصالية.[1]

إن هذه الفروقات المقدمة ليست فاصلا بين المصطلحين بشكل نهائي إذ يبقى بينهما تشابك و تداخل إلى حد كبير ذلك أن الخطاب يبقى خطابا "ما دام ملفوظا و هو نص متى سود بياض الصفحات، غير أنه بصفته عملا يفقد كثيرا من حيويته التي يسترجعها حين يصبح نصا و التحول يقع بالنظر إليه نصا مفتوحا لا عملا مغلقا" [2]

فالخطاب حسب "الغدامي" هو كل ملفوظ شفهيا و لكنه قد يتحول إلى نص متى تم تدوينه أو متى سود بياض الصفحات فكان حيزا مكتوبا و يشغل مكانا على صفحة بيضاء.

أما عن حضور المصطلح في التراث العربي فإننا نسجل استعماله في القران الكريم بصيغة المصدر الفعل في الآيات التالية:

(1) ينظر:د/محمد العبد، النص و الخطاب و الاتصال، ص: 9.
(2) عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية، مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص: 62-63.

{ **وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**} [1] (المؤمنون27)

{**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاما**} [2] الفرقان36

و قوله تعالى: {**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابا**} [3] النبأ37

كما ورد المصطلح" الخطاب" في المعاجم العربية و منها" لسان العرب"و يمثل الخطاب العلمي أحد الأنواع الرئيسية في الخطاب عموما.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 27.
(2) سورة الفرقان، الآية: 36.
(3) سورة النبأ، الآية: 37.

أ- عند العرب:

توجد تعريفات عديدة للنص في التراث اللساني بحيث لا يمكن حصرها و كل تعريف يعكس وجهة نظر معينة و المنطلقات النظرية و الخلفيات المعرفية التي ينطلق منها صاحبها لذلك سوف نقوم بذكر بعض التعريفات عند العلماء العرب أولا مع تقديم شرح موجز لكل منها.

عرف "الشريف الجرجاني" النص بقوله:" النص ما إزداد وضوحا على الظاهر لمعنى في نفس المتكلم و هو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، كما يقال أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي و يغتم بغمي كان نصا في بيان محبته" و أنه أيضا - أي النص- :"ما لا يحتمل إلا معنى واحدا و قيل ما لا يحتمل التأويل".[1]

فالملاحظ للتعريف الأول يجد أنه يتناول مستويين المستوى الأول يتعلق بالمعنى الظاهر ، أما المستوى الثاني فيتعلق بزيادة الوضوح على المعنى الظاهر، و تلك الزيادة يستوجبها معنى في نفس المتكلم يود تبليغه إلى المخاطب و من الشروط الأساسية اللازم توفرها لإفهام المخاطب شرط الوضوح ليفهم المعنى المقصود بدقة و دون تأويل للمعنى، وهو ما أشار إليه في تعريفه الثاني للنص و هذا يؤكد أن تفكير العرب القدامى حول موضوع "النص" يعود إلى الأهمية البالغة التي أولها النص القرآني من أجل فهم معانيه فهما صحيحا و لتفادي تفسيره تفسيرا خاطئا.

و تجدر الإشارة إلى أن مفهوم "النص" سجل تطورا تدريجيا من منظور المفسرين فالفقهاء فالأصوليين ثم علماء البلاغة الذين قاربوا بين النص و مفاهيم أخرى كالبيان و الفصاحة و النظم.

يرى "الجاحظ" أن مفهوم النص من مفهوم البيان ، حيث أورد في هذا الشأن نصا من أهم النصوص التي كتبها في"البيان و التبيين" وهو : ....و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته

(1) الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان،1985، ص: 310.

و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ،و من أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع (...) وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة و النصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف و لا تقصر عن تلك الدلالات.[1]

فالبيان –حسب ما أورده الجاحظ –هو كشف الستر أو المعنى حتى يصل السامع إلى حقيقته ويصل إلى معناه و تلك هي الغاية التي يصبو إليها كل من القائل و السامع فمتى بلغ الفهم و وصل إلى تبليغ المعنى المراد فذلك هو البيان و لعله يلتقي بمفهوم النص من الوجهة الدلالية فكلاهما يدل على الظهور أو إظهار المعنى من المتكلم إلى السامع أو المخاطب ثم يبين الجاحظ أن البيان يتجسد بخمسة أصناف لا تزيد ولا تنقص و هي:اللفظ و الإشارة و العقد و الخط و الحال (النصبة).

وسنحاول أن نتطرق إليها و نشرحها شرحا موجزا.

1ـ اللفظ: و هو إشارة إلى التواصل اللغوي و الذي ينقسم بدوره إلى تواصل لغوي شفهي وتواصل لغوي كتابي، أما المشافهة فتمثل الصوت المنطوق من اللغة و هو يمثل الأساس أو الأصل أما الثاني فيمثل الجانب المكتوب أي التواصل من خلال النص المكتوب بين كاتب و قارئ أو متلقي لهذا النص المكتوب.

2ـ الإشارة: و هي بمثابة العون أو المساعدة للفظ لأن الإنسان و هو يتلفظ بالكلام يحدث إشارات ضرورية تعتبر كوسيلة من وسائل الإيضاح كما يمكن أن تنوب عن اللفظ أحيانا.

3ـ الخط :و هو إشارة إلى جانب المكتوب إذ لا يتم التبليغ إلا بالكتابة في مقابل اللفظ الذي يتم التواصل فيه بالمشافهة من خلال الصوت المسموع فهنا يتحول ذلك

(1) الجاحظ، البيان و التبيين، تح: حسن السندوسي، دار المعارف، تونس، 1990،ج1، ص: 75.

الصوت إلى ظاهرة كتابية مرئية يمكن قراءتها وتشغل حيزا مكانيا و يضمن بقاءه لعقود طويلة.

4ـ العقد :و هذا المفهوم يتحدد خاصة في علاقة الدال بالمدلول ذلك أن العقل هو الذي يستنبط المعنى.

5ـ الحال: و يقصد بها الهيئة التي تكون عليها الأشياء المقصودة بالدلالة بما في ذلك اللفظ و الإشارة و العقد و الخط.

و يمكن القول أن حديث "الجاحظ" عن البيان كان من خلال نظرة شاملة للتواصل فبين العملية كيف تتم إنطلاقا من المرسل أو المتكلم انتهاء بالسامع أو المرسل إليه كما لم يغفل عن أنواع التواصل و التبليغ و هذا يوحي بأن البيان في حقيقته هو النص ذاته الذي يؤدي ظهوره إلى" نقل المعنى من ضمير المتكلم حيث يتم التركيب إلى ضمير المخاطب حيث يجري التفكيك".[1]

أما علماء العرب المحدثين فقد تناولوا مفهوم النص بمنظور يلتقي مع ما ذهب إليه القدماء و إن إختلف في الظاهر.

يقول سعيد يقطين :"إن النص هو الخطاب المكتوب أو الشفوي الذي من خلاله نتمكن من قراءته وبما أن النص هو الخطاب فلا بد من كاتب أو متكلم لذلك فإن فعل أو عملية الإنتاج هي التي يمكن إعتبارها الجانب الثالث أي السرد".[2]

فمن خلال هذا التعريف نجد أن "سعيد يقطين" لا يفرق بين النص و الخطاب لا بل إنه يعرف النص بأنه الخطاب المكتوب أو الشفوي كما يشترط وجود كاتب أو متكلم إلا أننا نلاحظ أن سعيد يقطين قد اهتم بنوع خاص من النصوص وهو"النص الروائي"أو "النص السردي".

(1) محمد الصغير بناني، مفهوم النص عند المنظرين القدماء، مجلة اللغة و الأدب، ع12، قسم اللغة العربية،جامعة الجزائر،1997، ص:57.
(2) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي، ص: 42.

- أما بالنسبة لـ "عبد الملك مرتاض" فإنه يعرف النص الأدبي بأنه:"عالم ضخم متشعب متشابك و معقد و رسالة مبدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه فهو لا يرافقه إلا في لحظة المخاض أو لحظة الصفر كما يطلق عليها رولان بارت".[1].

إن المتأمل لبعض الكتب اللسانية يجد أن كلمة "عالم النص" مستخدمة و متناولة بكثرة و بالتالي فإن "عبد الملك مرتاض" قد أحسن وضع مصطلح "عالم" ولكنه أضاف إليه عدة صفات فهذا العالم متشعب متشابك ومعقد وأضاف إليه أنه رسالة مبدعة هذه الرسالة تنجلي وتظهر مباشرة بعد الفراغ من كتابته أو تدبيجه وليس في لحظة المخاض أو الصفر.

- كما يرى أيضا أن النص"شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والإيديولوجية تتضافر فيما بينها لتكون خطابا، فإذا استوى مارس تأثيرا عجيبا من اجل إنتاج نصوص أخرى ، فالنص قائم على التجددية بحكم مقروئيته وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته ، تبعا لكل حالة في مجهر القراءة فالنص من حيث هو، ذو قابلية للعطاء المتجدد تبعد تعرضه للقراءة".[2]

أما "محمد مفتاح" فيرى أن النص"مدونة كلامية وحدثا زمكانيا تواصليا تفاعليا مغلقا في سمته الكتابية توالديا في انبثاقه وتناسله".[3] .

إن في تعريف "محمد مفتاح" للنص جمع صريح بين"النص"و"الخطاب"ذلك انه يراه مدون كلامية أي يكون شفهيا مفتوحا أو يكون في صفة كتابية يتميز بالانغلاق لكنه يشير إلى الوظيفة التواصلية التي تجعل منه توالديا في انبثاقه وتناسله ذلك انه كلما تناقل متلق ما النص فانه يعتبر بمثابة توليد نص جديد من النص الأصلي.

(1) عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:42.
(2) عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "اين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ت، ص:55.
(3) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتجية التناص)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص:120.

ب- عند الغرب:

إذا كان النص في مفهومه اللغوي الغربي يعني النسيج،فان مفهومه الاصطلاحي يقترب كثيرا من دلالة هذا المفهوم المعجمي،رغم أن بعضها ركز على الشكل والبعض الآخر ركز على المضمون في حين نجد فئة ثالثة ركزت على الشكل والمضمون معا.

1- التعريفات الخاصة بالشكل:

ممن اعتمد شكل النص لتعريفه نجد "برينكر "الذي يذهب في احد تعريفاته إلى أن النص"تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزء صغيرا ترمز إلى النص،ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو تعجب". (1)

وبناء عليه فإن النص هو ما تركب من عدة جمل أو نصوص ،وهذا ما جعل "برنارد شبلنر" يعلق على التعريف السابق قائلا:"انه تعريف دائري لأنه يوضح النص بالجملة من خلال النص،وهو تعريف غير منهجي لأنه لم يعتمد في ذلك على مفاهيم النص،وإنما عرف النص بالجملة". (2)

أما "هارفج harvedj " فقد حدد النص بقوله:"هو ترابط للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص". (3)

(1) Brinker،K،texte linguistic،1979،p3
مأخوذ من:علم اللغة والدراسات الأدبية، برند شبلنر، تر: الدكتور محمود جاد الرب، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط1، 1987،ص: 188
(2) المرجع نفسه، ص:188.
(3) سعيد حسن البحيري،علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان، ط1، 1997، ص: 108.

فالنص عنده يحدد على انه امتداد أفقي من خلال ترابط الوسائل اللغوية المكونة له [1]

في حين يرى هاليدي ورقية حسن ان كل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة ان يكون بن هذه الجمل علاقات"[2]

فقد تناول هذان الباحثان النص من منظور شكلي محض،ذلك ان كل متتالية من الجمل تشكل بالضرورة نصا،دون أي إشارة للمعنى الذي ستحمله هذه الجمل،فقط يشترط أن تكون متتالية من الجمل ،هذه المتتالية تجمع بعلاقات تظهر على سطح الجمل وهو إشارة إلى ضرورة توفر أدوات الربط أو كما يطلق عليها وسائل الاتساق.

إن المتأمل للتعريفات السابقة يجدها تعتمد في تحديد مفهوم النص على الجانب الشكلي، اذ تركز فقط على تتابع الجمل من جهة وترابطها الشكلي من جهة أخرى،وان كان "هارفج" قد أضاف إليه أن يكون ترابطا أفقيا يظهر الترابط النحوي في النص.

2ـ التعريفات الخاصة بالمضمون:

لقد ذهب آخرون إلى تعريف النص انطلاقا من المضمون فقط دون اعتبار للشكل،و"لبرينكر" الذي عرف النص سابقا اعتمادا على شكله،تعريف آخر اعتمادا على محتواه أو مضمونه:"انه مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري، ـ موضوعي أو جملة أساس من خلال قضايا منطقية ودلالية". [3]

إذ يرى "برينكر" أن النص عبارة عن مجموعة منظمة من القضايا التي تدور كلها حول موضوع محوري أو جملة أساس تربط بين كل هذه القضايا دون أي إشارة لا للشكل الذي ترد فيه أو الحجم الذي تشغله هذه القضايا أو الشكل الخارجي لها.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص: 108.
(2) ينظر:محمد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص: 13.
(3) البحيري،علم لغة النص،ص: 109

أما "شميت" schmidt فيرى ان النص:"جزء حدد موضوعيا(محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية(انجازية)" [1]

أما "هارتمان" Hartman فقد حدده بأنه"علاقة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسميائي" [2]

نلحظ على تعريفي "شميت" و "هارتمان" أنهما يوليان الجانب الاتصالي للنص أهمية كبيرة في تحديده،إلا أن "شميت" يؤكد على أن يتناول النص موضوعا محوريا أساسيا.

أما "فاينرش" فقد تناوله على انه:"تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا،اذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"[3]

فهو يعتبر النص بمثابة الكل الواحد والموحد المترابط الذي لا يمكن الفصل بين عناصره لأنها تستلزم بعضها بعضا،كما أن هذا الفصل يؤدي إلى صعوبة الفهم للكل وعدم وضوح معناه.

ويؤكد "ديفيد كريستال" David crystal في تعريفه للنص على الامتداد وكونه منطوقا أو مكتوبا ثم يؤكد على الوظيفة الاتصالية ثم يذكر نماذج للنص مثل التقارير الإخبارية والقصائد وإشارات الطريق وغيرها[4]

اذ نجد "ديفيد كريستال" يركز هو الآخر على الوظيفة الاتصالية،communicative fonction دون الاهتمام بشكل النص الخارجي إذ مثل للنصوص الطويلة بالتقارير الإخبارية التي تكون في صفحات عديدة وكذا القصائد،في مقابل إشارات المرور التي تحمل بدورها نصا مثله مثل التقرير.

(1) المرجع السابق، ص: 108.
(2) المرجع نفسه، ص 108.
(3) المرجع نفسه، ص 108.
(4) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء،ط1 2000، ص: 32.

إن التركيز على وظيفة التواصل في تعريف النصوص عنصر مهم جدا وأمر طبيعي،لأن عنصر التواصل بالغ الأهمية في الحياة الإنسانية، فالحياة ذاتها عبارة عن تواصل مستمر للإنسان مع الآخرين.

3ـ التعريفات الجامعة بين الشكل والمضمون:

يرى العديد من الباحثين في مجال النص ضرورة المزاوجة بين الشكل والمضمون عند تعريفه،اذ نجد أن "جلنتس" قد ربط مفهوم النص بالأداء اللغوي في لغة ما،(أي بتحقيقه)ومن ثم فقد فهم تحت نص التكوين اللغوي بوجه عام أي ما ينتج في حدث الآداء أو في سلسلة من أحداث الأداء أيضا،ويراعى هنا عملية الإنتاج حيث لا يشترط في عملية التوصيل وجود المتلقي لحظة الإنشاء أو ان المنشئ لا ينتج ليحاور أو لا ينتج إلا لذاته.وهو شكل لغوي مستقل حيث يحاول "جلنتس" أن يتناول مفهوم النص من خلال توظيف جديد لمصطلحات النحو التحويلي التوليدي،وربطها بمفاهيم تداولية[1].

كما نجد أن مصطلح النص يقترب في كتابات ما بعد البنيوية بمصطلح التناص intertextuality إذ يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى،ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عدة مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه [2]

ولعل التعريف الأكثر تمثيلا في هذا السياق هو تعريف "جوليا كريستيفا" الذي استعمله فيما بعد كثير من السيميائيين والباحثين والطلبة والذي يرى في التناص خاصية أساسية للنص،تقول:"النص لوحة فسيفسائية من الاقتباسات،وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى" [3]

(1) ينظر:سعيد البحيري،علم لغة النص، ص: 114.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 111
(3) جوليا كريستيفا،علم لغة النص، ص:14

كما ترى أيضا أن النص:"ليس مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللا نحوية،انه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالة الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية...". [1]

ثم تورد تعريفا جامعا وشاملا لمفهوم النص إذ تعتبره:"جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر بين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه".[2]

ونظرا لأهمية هذا التعريف فإننا سنحاول تحليله وإعادة قراءته كما يلي:النص باعتباره ملفوظا شخصيا أي انجازا فرديا يعيد التركيبة اللغوية ويوزعها توزيعا جديدا وفق حاجاته التعبيرية ورؤيته الجمالية وعن طريق هذه العملية الازدواجية توزيع/ إعادة بناء،يقدم النص بعملية احتواء وامتصاص بعض العناصر النصية الغريبة عن جهازه اللغوي وإطاره المضموني وينسق بينها،وقد تنتمي هذه العناصر إلى ثقافات متباينة وأجناس أدبية مختلفة.[3]

أما "بارت" R.j.barthes فقد تناول النص قائلا:"النص نشاط وانتاج...النص قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم، إن النص- وهو يتكون من نقول متضمنة،وإشارات وأصداء لغات أخرى وثقافات عديدة- تكتمل فيه خريطة التعدد الدلالي، إن النص مفتوح".[4]

فقد شبه "بارت" النص بالقوة المتحولة هذا التحول ينتج عنه شكلا جديدا يتجاوز كل الأشكال المألوفة والمتعارف عليها،وهو يشير كذلك إلى التناص

(1) المرجع السابق ،ص: 21.
(2) المرجع نفسه، ص 21.
(3) ينظر: د/ حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال،منشورات الاختلاف، ط1،الجزائر،2007، ص: 256.
(4) سعيد البحيرى،علم لغة النص، ص:113.

بقوله:"وهو يتكون من نقول متضمنة"هذه القول والإشارات تولد لنا نصا متعدد الدلالات والمعاني.

ومن التعريفات الجامعة كذلك نجد التعريف الذي نقله كل من "د/سعد مصلوح" و "د/سعيد بحيري" عن "روبرت آلات دي بوجراند" و"الفجانج ديلسلار" أنه:"حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة،ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي:

1ـالسبك cohesion 2ـ الحبك coherence 3ـ القصد intentionality 4 – القبول أو المقبولية acceptability 5ـالإخبارية أو الإعلام informativity 6ـالمقامية situationality 7ـالتناص intertextuality [1]

وفيما يلي سنحاول التطرق لهذه المعايير مع شرح موجز لكل منها:

1ـ**السبك: cohésion**: وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن إستعادة هذا الترابط،ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل،وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية و الأدوات والإحالة المشتركة،والحذف والروابط. [2]

2ـالحبك cohérence :استمرارية المضمون،بمعنى ترابط العلامات الدلالية،فهي ليست مجرد سمة للنصوص،بل أكثر من ذلك قضايا من نتائج الإدراك لدى مستخدم النص[3]

(1) ينظر:صبحي إبراهيم الفقي،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص: 34،33.
(2) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: د/ تمام حسان ط1- عالم الكتب، القاهرة، ص: 103.
(3) فولفانج هانيه و ديتر فيهقيجر،مدخل إلى علم اللغة النصي،تر:فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود ص: 93.

كما يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه،وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص. [1]

3ـالقصد:وهو يتضمن موقف منشئ النص من كونه صورة ما من صورة اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك و الالتحام و أن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، و هناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العلمية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك و الالتحام، و مع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة.

4ـالقبول : و هو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كونه صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك و التحام ، و للقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل و المنتج .

5ـ **رعاية الموقف** : و هي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه و يأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف و أن يغيره ، و قد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر ، و ربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر ، إن مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل. [2]

6ـ التناص: intertextuality: و هو يتضمن العلاقات بين نص ما و نصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء لوساطة أم لغير وساطة ، فالجواب في المحادثة أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة يمثلان تكامل النصوص بلا

(1) ينظر:روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:103.
(2) المرجع نفسه، ص: 104.

واسطة ، و تقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة.

7ـ الإعلامية: Informativity: و هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابل البدائل الممكنة فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل و عند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال ، و مع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع. [1]

و أوثق هذه المعايير صلة بالنص هما السبك و الالتحام و أوثقها صلة بعلم النفس رعاية الموقف و التناص[2]

فهذه المعايير تركز على طبيعة كل من النص و مستعمليه (المتحدث و المتلقي)و السياق المحيط بالنص و المتحدثين.

(1) المرجع السابق، ص: 104،105.
(2) المرجع نفسه، ص: 08.

مراحـــل إنتـــاج النـــص:

يـرى "روبرت دي بوجراند" ، أن إنتاج أي نص لا بد أن يميز بأربع مراحـل لا يمكـن أن نفصل بينها في سياقها الزمني و هي :

1ـ مرحلة التخطيط : (planning) : و يـركز منتج النص في مرحلة الخطة على غرض النص جاعلا ذلك هدفا شخصيا بالنسبة للمعلومات أو اجتماعيا .

كما يركز على المقصود حضوره ليكون من مستقبلي النص ، ثم يجري اختيار نوعه ، وينشأ التوافق بين الخطوات المختلفة المكونة للخطة و بين المعايير العامة لعملية الإنتاج. [1]

2ـ مرحلة التجريد (indeation) : توجه القدرة الإجرائية إلى الكشف عن مراكز الضبط للمحتوى المعلوماتي ، فالفكرة المجردة تكوين من التصورات و العلاقات المنشطة تنشيطا ذاتيا ، و التي توجد في أساس السلوك الخالق للمعنى ، ومن هذا السلوك إنتاج النص. [2]

ـ لا حاجة للمرحلتين السابقتين إلى الاعتماد على اللغة.

3ـ **مرحلة التطوير** : نتاج مرحلتي الخطة و التجريد سواء كانت التعبيرات اللغوية في الحسبان في هذه المرحلة أم لم تكن ،و هذه المرحلة مسؤولة عن التنظيم الداخلي المفصل للمفاهيم و العلاقات ، و مع استمرار مرحلة التطوير تستمر مراكز الضبط في الانتقال من التجريد و تنتشر و تتقاطع [3]

من خلال ما سبق يمكن استنتاج ما يلي:

ـ يمكن التعرف على المجالات الوظيفية التالية على أنها أهداف اجتماعية ممكنة.

ـ إبلاغ المعلومة بواسطة النصوص .

ـ التعلم بواسطة النصوص.

(1) ينظر: روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، ص: 424.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 425.
(3) المرجع نفسه ، ص 426.

- إصدار تعليمات الحدث بواسطة النصوص

- الإقناع بواسطة النصوص.

و مما سبق ذكره يمكن استنباط ثلاث صفات أساسية لتوصيف إنتاج النصوص:

1- يعد إنتاج النص نشاطا لغويا يخدم أهدافا اجتماعية.

2- إنتاج النص نشاط واع و خلاق يحتوي على التطوير المباشر لأصناف الحدث و اختيار الوسائل المناسبة لتحقيقها.

3- يعد إنتاج النص دائما نشاط تفاعلي مرتبطا بالشريك [1] .

و بهذه الصفات الثلاث في القصد و التفاعل و كذلك وضع الهدف الاجتماعي نكون قد ذكرنا في الواقع الجوانب الجوهرية لإنتاج النص، و بذلك أيضا الصفات الأساسية للنصوص ، و لكن توصيفا كافيا لقضايا إنتاج النص ليس ممكنا بعد، فالمتكلم الذي ينتج نصا لا يعيد بذلك إنتاج نص "منته" بشكل أو بآخر مما يكون مخزنا في الذاكرة ببساطة ، بل ينفذ نشاطا بنائيا خالقا، مما يحتاج في تحقيقه و ضبطه إلى معرفة مجتمعية مكتسبة، و كذلك على خبرات مجتمعية. [2]

4- مرحلة التعبير: Expression وتمثل الشبه بين مرحلة التعبير التي يظهر فيها النص السطحي الفعلي ومرحلة التطوير من حيث خضوع كل منهما لمستويات ضبط يجب الالتزام بها لفرض صور ذات ترتيب ما على النص [3]

(1) فولفانج هاني. و ديتير فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 118.
(2) المرجع نفسه، ص: 120.
(3) المرجع نفسه، ص: 429 -431.

من خلال ما تم ذكره يمكن القول أن المتكلم أو الكاتب أو منتج النص -عموما- لابد أن يركز على هدف النص هذا الأخير يمكن أن يكون اجتماعيا أو شخصيا ثم ينتقل إلى مرحل التجريد حيث يتم ضبط المحتوى المعلوماتي،وفي هاتين المرحلتين تبقى عملية الإنتاج ذهنية محضة دون الاعتماد على اللغة أما مرحلة التطوير فهي نتاج المرحلتين السابقتين،وفي هذه المرحلة يتم التنظيم الداخلي المفصل للمفاهيم والعلاقات أما مرحلة التعبير فإنها تتشابه ومرحلة التطوير من حيث خضوع كل منهما لمستويات ضبط يجب الالتزام بها وهنا يظهر النص السطحي الفعلي والذي يجب أن يكون متماسكا وذو ترتيب وترابط على السطح .

التماسك النصي:

من أجل تجاوز إطار الجملة المفردة،عنيت لسانيات النص بالظواهر التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا دقيقا إلا من خلال ما سمي بالوحدة الكلية للنص [1]

ومن هذه الظواهر ظاهرة"الترابط النصي" التي تعتمد على تصور يجمع بين عناصر نحوية تقليدية وعناصر أخرى تستقى من علوم متداخلة مع النحو،ومن الوسائل التي يقوم عليها التحليل النصي ما عبر عنه "دوبجراند" Doubeaugrand بـ"المعايير السبعة"للنصية والمتمثلة في:السبك والالتحام والقصد والقبول ورعاية الموقف والتناص والإعلامية،"ومن هذه المعايير معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص هما (السبك والالتحام) "cohérence , cohésion" [2]

و نظرا لأهمية التماسك النصي فقد نال كبير الاهتمام من طرف علماء النص بداية بتوضيح مفهومه، ومرورا ببيان أدواته أو وسائله وعوامله وشروطه والسياق المحيط بالنص وعلاقته به...

بل و نجد من علماء النص من جعل هذا الموضوع عنوانا لكتبهم.

1ـ مفهومه:

يعد"الاتساق" و "الانسجام" من أهم المظاهر النصية التي ركز عليها علماء لسانيات النص، ولذلك فإن تناول التماسك النصي يقتضي التطرق المفصل لهذين المصطلحين عند مجموعة من علماء اللغة بغية الوصول إلى العلاقة الموجود بينهما.

1ـ1ـالاتساق:

1ـ1ـ1ـالمعنى اللغوي:

ورد في لسان العرب لابن منظور حول المادة اللغوية(و/س/ق/:" وقد وسق الليل واتسق وكل ما انظم فقد إتسق والطريق يأتسق ويتسق أي ينظم حكاه

(1) ينظر : صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، عدد 164 ، الكويت، أغسطس، 1992 ص: 122.

(2) ينظر : روبرت دوبجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:126.

الكسائي، واتسق القمر: إستوى وفي التنزيل:" فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق" [1]

قال الفراء:وما وسق أي ما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها.

و وسقت الشيء:جمعته وحملته،والو سق:ضم الشيء إلى الشيء وفي حديث أحد: إستوسقوا كما يستو سق جرب الغنم أي استجمعوا وانضموا" [2]

فمن خلال تتبع المادة المعجمية (و/س/ق) نجد أن معانيها قد انصبت حول الضم والاستواء والامتلاء والجمع والاجتماع.

1.1.2. المعنى الاصطلاحي:

يقابل مصطلح الاتساق المصطلح الأجنبي cohésion "ويقصد به عادة ذلك التماسك الشديد بن الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته". [3]

فالاتساق عند "محمد خطابي"- يتم من خلال الربط بين الأجزاء المشكلة للنص/الخطاب والاتساق يتحقق فقط من خلال الجانب الشكلي الخارجي للنص،كما أنه لا يفرق بين مصطلحي النص والخطاب لذلك استعمل الثنائية نص/خطاب فالاتساق عنده يندرج ضمن لسانيات النص وتحليل الخطاب على حد سواء،فالاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النص [4]

فخطية النص تعني بأن الاتساق يجعل من النص كلا موحدا، بل يجعل منه نسيجا واحدا أو بنية كلية.

(1) سورة الانشقاق، الآية : 16-17-18.
(2) لسان العرب لابن منظور، مادة (و/س/ق)، مج3 ، ص:927.
(3) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 05.
(4) دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: د/محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ص:17.

ومن هنا فإن الاتساق يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة ولا يحده شيء". [1]

كما أن الاتساق يضمن الترابط والتسلسل من بداية النص إلى نهايته سواء طال أو قصر.

ـ لقد استخدم"تمام حسان" خلال ترجمته لكتاب"النص والخطاب والإجراء" "لروبرت ديبوجراند" مصطلح"السبك" بدل "الاتساق"حيث يرى "دي بوجراند"أن السبك"يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية"surface "على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق progressive occurance بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي séquentiel connectivity بحيث يمكن استعادة هذا الترابط" [2]

فمن خلال التعريف السابق نجد أن الاتساق يتحقق بواسطة مجموعة من الإجراءات أو الأدوات والتي تبدو لها العناصر السطحية مترابطة ومتماسكة يؤدي السابق منها إلى اللاحق،هذا اللاحق الذي يبقينا على صلة وثيق بما سبقه.

ـ ويذهب"صبحي إبراهيم الفقي"إلى أن"مصطلحا cohésion and cohérence فهما يتصلان بالتماسك النصي داخل النص ويرتبطان بالروابط الشكلية والدلالية وهما يمثلان أساسا من أسس الدرس النصي ولهما أدوات وأنواع". [3]

ويرى"الفقي"أن المصطلحين معا يعنيان التماسك النصي ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار احدهما وليكن cohésion ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص". [4]

(1) أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص:96.
(2) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:103.
(3) صبحي إبراهيم الفقي،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ج1، ص:41.
(4) المرجع نفسه، ص:96.

فهذا التعريف يجمع بين المصطلحين معا تحت اسم التماسك النصي ثم يقسمه إلى قسمين شكلي ظاهري على سطح النص والثاني دلالي يهتم بتماسك أجزاء النص الدلالية دون أن نغفل سياق النص والظروف المحيط به.

ـ ويخصصه د/"سعد مصلوح"،بعد ترجمته بمصطلح"السبك"بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية فهي ظاهر النص...أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية...ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي grammatical dependency ويتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي:

1ـ في الجملة 2ـفيما بين الجمل 3ـ في الفقرة أو المقطوعة

4ـ فيما بين الفقرات أو المقطوعات 5ـ في جملة النص [1]

فمن خلال التعريف نجد أن السبك عبارة عن مجموعة الوسائل التي تضمن الاستمرارية على سطح النص، هذه الوسائل أطلق عليها د/"مصلوح" مصطلح جديد وهو مصطلح "الاعتماد النحوي"، فيذكر أن التماسك يتحقق من خلال الربط النحوي في الجملة الواحدة وصولا إلى النص ككل.

أما" محمد مفتاح" فيرى أنهما مشتقين من مفهوم أكبر وهو"الالتحام" حيث عبر عن ذلك بقوله:"الالتحام الذي نشتق منه التنضيد والتنسيق، ومع أنه من الصعوبة بما كان الفصل بين هذين المفهومين،فإننا سنفعل ذلك مواضعة، وهكذا،لأننا سنعني بالتنضيد الجمل التي سنجد فيها أدوات العطف ومختلف الضوابط التي تعلق جملة

(1) سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول، مجلد 10،عدد 1- 2 يوليو 1991، ص: 154.

بجملة،ويعنى بالتنسيق العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها". [1]

فمن خلال التعريف السابق نجد أن "مفتاح" قد أطلق على الاتساق مصطلحا جديدا وهو التنضيد والذي يتحقق بواسطة أدوات العطف ومختلف الأدوات التي تربط جملة بأخرى وأطلق على "الانسجام" أو "الحبك" مصطلحا آخر وهو "التنسيق" ويقصد به العلاقات المعنوية والدلالية والمنطقية بين الجمل،هذه الروابط لا تكون ظاهرة بل خفية نستنتجها منطقيا.

من خلال التعاريف السابقة نجد أن مصطلح "الاتساق" ـ وإن تعددت اصطلاحاته فإن مفهومه واحد وهو يعني الترابط والتماسك والتلاحم على سطح النص بواسطة أدوات ووسائل ظاهرة بين جمله وفقراته.

ترى ما هي هذه الوسائل والأدوات التي تضمن هذا الترابط ؟

(1) ينظر : محمد مفتاح، ديناميكية النص (تنظير و إنجاز) ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2 حزيران، 1990 ص :44.

أدوات الاتساق ووسائله:

من طبيعة أي علم أن تكون له مصطلحات وأدوات يقوم عليها،تميزه عن باقي العلوم،هذه المصطلحات تعتبر خير دليل على اكتمال هذا العلم واستقلاله وتكامل رصيده الاصطلاحي الخاص به لهذا كان من البديهي أن تفرز لسانيات النص العديد منها ولعل أهمها ما يسمى بـ"وسائل الإتساق" وإن اختلف علماء النص في وصف هذه الأدوات التي تحقق التماسك إلا أن هناك اتفاق على أدوات مشتركة تمثل الأدوات الرئيسية للتماسك النصي، وعلى الرغم من كثرتها وتعددها إلا أن علماء النص قد اهتموا بتوضيح معانيها وحدودها،وسنعرض لبعض هذه الآراء لحصر هذه الأدوات مقتصرين على الرئيسية منها فقط،ولعل أبرز من تناولها نجد "هاليداي ورقية حسن" في كتابهما" التماسك في الإنجليزية" والذي اعتمد على خمس أدوات هي:

الإحالة" référence" الاستبدال" substitution" الحذف "ellipsis" العطف "conjunction" ثم التماسك المعجمي "lexical cohésion" [1]

وفيما يلي سنتناول كل أداة بالتفصيل.

1ـ الإحالة" référence":

تتوفر كل لغة طبيعته على مجموعة من العناصر تملك خاصية الإحالة،والإحالة تعني استخدام أداة أو وسيلة لتعود على اسم سابق أولا حق تفاديا للتكرار ، وقد ذهب الباحثان "هاليداي و رقية حسن " إلى :"أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها" [2]

أما " الزناد" فيطلق تسمية العناصر الإحالية" (Anaphors) على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء

(1) Halliday M- A - K and Ruquaya Hasan, cohesion in English, 1976, longman, London, p 40.
(2) محمد خطابي ،لسانيات النص ، ص: 16،17.

أخرى من الخطاب؛ فشرط وجودها هو النص ؛و هي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما و بين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر ".[1]

فالإحالة تعني أن هناك عناصر في النص لا يتم فهمها إلا من خلال ربطها بما سبقها أو بما سيلحقها. فهي تعني العلاقة بين العبارات من جهة و بين الأشياء و المواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه هذه العبارات؛ فالإحالة "تنشأ من استخدام الضمائر بدلا من الأسماء الظاهرة التي يكون ذكرها قد تقدم في بداية النص أو بداية الفقرة".[2]

فالتعريف السابق ركز على الإحالة القبلية و ذلك من خلال استخدام الضمائر بدلا من الأسماء التي سبق ذكرها في بداية النص أو الفقرة .

فالإحالة عبارة عن " علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية؛ إلا أنها تخضع لقيد دلالي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه".[3]

فالإحالة ليست مجرد روابط شكلية ظاهرية نحوية و إنما تخضع لقيود دلالية و هي وجوب مطابقة العنصر المستعمل للإحالة و العنصر المحال إليه سواء كانت قبلية أو بعدية.

أنواع الإحالة:

الإحالة أنواع سنعرض لها فيما يأتي:

1-إحالة داخل النص(Endophora) :

و في هذا النوع من الإحالة يطلب من القارئ أو المتلقي أن يبحث في النص ذاته للوصول إلى الشيء المحال إليه "و هي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة".[4]

(1) الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 118.
(2) إبراهيم خليل ، في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط1، 2007 ، ص: 192.
(3) محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص:17.
(4) الأزهر الزناد ، نسيج النص، ص: 118.

فالإحالة داخل النص معناه أن طرفي الإحالة. العنصر المحيل و العنصر المحال إليه كلاهما موجود في النص و هي بدورها تنقسم إلى:

1.1 إحالة قبلية (anaphora):

و يطلق عليها أيضا الإحالة بالعودة أو الإحالة على السابق " و هي إستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة ".[1]

و بالتالي فإن العنصر المحال إليه قد ذكر أولا؛ ثم يأتي المحيل في موضع متأخر حتى يعود على " مفسر " سبق التلفظ به [2]

و الإحالة القبلية تقتضي وجوب المعرفة المسبقة للعنصر المحال إليه و هي أكثر الأنواع دورانا في الكلام [3] فوظيفة الإحالة القبلية هي الإشارة لما سبق من ناحية و التعويض عنه بعنصر آخر من ناحية أخرى فيكون النص متماسكا دائما.

1.2.إحالة بعدية(cataphora)

أو الإحالة إلى عنصر لاحق "و هي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص و لاحق عليها؛ و من ذلك ضمير الشأن في العربية".[4]

ففي هذا النوع من الإحالة يتم استعمال كلمة أو عبارة العنصر المحيل للإشارة إلى كلمة أو عبارة أخرى سوف تأتي لاحقا حيث يكون المحال إليه متأخر في النص أو المحادثة...

2.إحالة خارج النص (EXophora) :

و هنا تكون الإحالة خارج حدود النص، إذ يشير المصطلح إلى" الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف الخارجي عن اللغة ؛ غير أن هذا الموقف يشارك الأقوال اللغوية ".[5]

(1) صحبي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، بين النظرية و التطبيق، ص: 38.
(2) ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:118.
(3) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص ، ص:117.
(4) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.
(5) صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، ص :41.

أو هي " إحالة لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم ".[1]

فإذا كانت السابقة بقسميها قبلية وبعدية تبقينا دائما داخل النص و لا تخرج عنه ؛ فإن هذا النوع من الإحالة يجعلنا نبحث عن العنصر المحال إليه خارج النص و في هذا إشارة إلى سياق النص و الظروف المحيطة به ؛و نجد هذا النوع بكثرة خاصة عند استعمال ضمير الشأن في النص القرآني ؛ أو حين تدخل ذات الكاتب و شخصيته في داخل النص مما يحيلنا إلى المقام و بالتالي إلى خارج النص أو إلى شيء كامن في السياق المقامي.

و مهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم أساسا على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه سواء كانت قبلية أو بعدية ؛داخل النص أو خارجه.

و يمكن أن نمثل للإحالة بنوعيها بالرسم التوضيحي التالي:

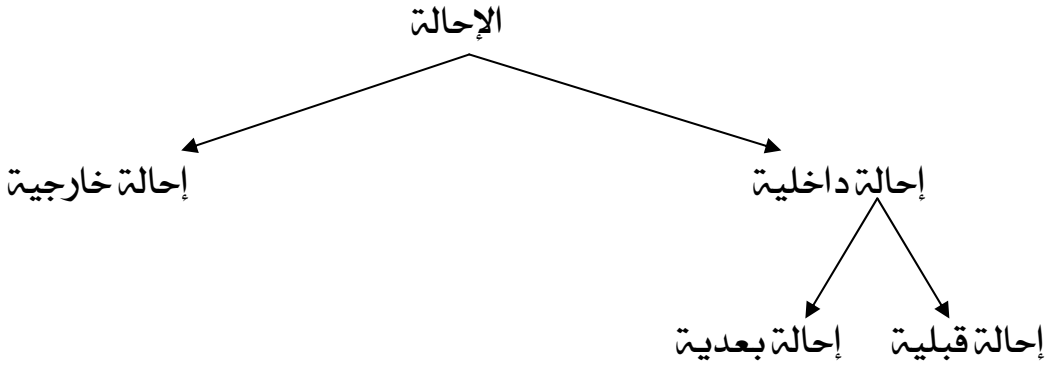

(1) ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:119.

المدى الإحالي :

تنقسم الإحالة باعتبار المدى الذي يفصل بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه إلى قسمين :

1ـ إحالة ذات مدى قريب :

و تجري في مستوى الجملة الواحدة حيث تجمع بين العنصر الإحالي و مفسره حيث لا توجد فواصل تركيبية جملية .

2ـ إحالة ذات مدى بعيد:

و تكون بين الجمل المتصلة أو الجمل المتباعدة في فضاء النص فالإحالة هنا لا تتم في الجملة الأصلية ؛ فهنا تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل.

العنصر الإحالي:

إن العنصر الإحالي هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره و هو يمثل أبسط عنصر في بنية النص الإحالية و ينقسم إلى قسمين :

1ـعنصر إحالي معجمي:

يعود على مكون مفسر له يدل على ذات أو مفهوم مجرد، و عدد العناصر الإحالية المعجمية كبير في المعجم و نظامه محكم في عمله.

2ـعنصر إحالي نصي:

يعود على مكون مفسر له يمثل مقطعا من النص و عددها محدود في المعجم.[1]

(1) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 132.

وسائل الاتساق الإحالية:

تطلق الإحالة عموما على قسم من الألفاظ لا يملك دلالة مستقلة بل يعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في النص؛ و هذا الترابط بين العنصرين لا يتم إلا من خلال وسائل و أدوات إحالية ؛ تتمثل حسب رأي "هاليداي و رقية حسن" في : الضمائر و أسماء الإشارة و أدوات المقارنة و فيما يلي سنعرض كل أداة منها بالتفصيل.

1ـ الضمائر:

لقد تناولت اللسانيات النصية موضوع الضمائر من زاوية الاتساق و تجدر الإشارة هنا إلى أن الضمائر الدالة على المتكلم و المخاطب تحيلنا إلى خارج النص بشكل نمطي (مقامية) ولا تكون في هذه الحالة ـ إحالة داخل النص ـ إلا في الكلام المستشهد به و الذي يحتوي على أحد الضمائر الدالة على المتكلم أو المخاطب ؛ أو في الخطاب السردي أما الضمائر التي تؤدي دورا هاما في اتساق النص فهي تلك التي يسميها المؤلفان بـ" أدوارا أخرى "و تندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا و تثنية ؛ و هي على عكس الأولى ، تحيل قبليا بشكل نمطي و يصدق كل ما قيل عن الضمائر المحيلة إلى الشخص ضمائر الملكية ، ما خلال كون هذه الأخيرة مزدوجة الإحالة أي أنها تتطلب محالين اثنين : مالكا و مملوكا.[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا و دلالة داخليا "endophoric" وخارجيا "exophoric" وسابقة "anaphoric" و لاحقة "cataphoric"[2]

كما نجد أن هناك من وسع مفهوم الضمائر وجعلها ليست مقتصرة فقط على ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فحسب بل تعداها إلى ضمائر الإشارة وأسماء

(1) ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18.
(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 137.

الموصول. ورأى أنها تقوم بنفس وظيفة الضمائر من حيث الإشارة والمرجعية والربط، فالإشارة قد تكون إلى سابق أو لاحق أو خارج النص، و الحديث نفسه ينطبق على الإسم الموصول[1]

2ـ أسماء الإشارة:

تعد أسماء الإشارة من بين الأدوات التي ستهم في الإحالة داخل النص، ويذهب الباحثان "هاليداي" و "رقية حسن" إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها إما حسب الضرفية: الزمان (الآن، غدا...) والمكان(هنا، هناك...)، أو حسب الحياد أو الإنتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...)، والقرب(هذه، هذا...) [2]

وتقوم أسماء الإشارة بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محلية إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزء لاحقا بمجرد سابق، ومن ثم تساهم في إتساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان" الإحالة الموسعة" أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية جمل[3]

فأسماء الإشارة تتميز بإمكانية الإحالة القبلية و البعدية، كما أن إسم الإشارة المفرد (هذا، هذه) يتميز بالإحالة الموسعة أي قدرته على تعويض جملة أو فقرة كاملة أي متتالية من الجمل.

3ـ المقارنة: وتنقسم إلى:

أـ عامة: ويتفرع منها التطابق والتشابه و الاختلاف.

بـ خاصة: وتتفرع إلى كمية وكيفية

أما من منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم لا محالة بوظيفة اتساقية[4]

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص: 138.
(2) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 19
(4) المرجع نفسه، ص 19.

وبناء عليه فإن وسائل الاتساق الإحالية كثيرة ومتعددة، منها ما يختص بالإحالة المقامية كضمائر المتكلم والمخاطب ومنها ما يختص بالإحالة النصية كأسماء الإشارة التي تحيل قبليا وبعديا، وكذلك اسم الإشارة المفرد الذي يتميز بالإحالة الموسعة أي قدرته على تعويض ومطابقة جملة أو فقرة، بالإضافة إلى المقارنة وهي تتحقق بواسطة ألفاظ قد تدل على الاختلاف أو التشابه أو التطابق، كما يمكن أن تكون كمية أو كيفية، دون أن نغفل دور ضمائر الغيبة سواء كانت بصيغة المفرد أو الجمع والتي تختص بالإحالة داخل النص.

نظرة القدماء للإحالة:

إن المتتبع للتراث النحوي العربي، يجد أن قضية الإحالة قد تناولها علماء العرب القدماء وذلك حين تناولوا بعض القضايا النحوية كالإسناد، وكذلك ضرورة وجود الرابط في جملة الصلة، والخبر الجملة وهذا نوع من التأكيد على ضرورة التماسك ولكن على مستوى الجملة فقط.

إذ يعد النحو العربي اللبنة الأساس في ظهور فكرة " الارتباط النصي" فقد أكد القدماء دور التماسك وأهميته، ولتحقيق هذا التماسك حصر علماء اللغة وسائله في أدوات نحوية مثل: العطف، الفصل، الوصل، الترقيم، أسماء الإشارة و أدوات التعريف والأسماء الموصولة والحال والزمان والمكان والإعراب والرتبة والإسناد.

وما يمكن قوله عن هذه الوسائل أن النحو العربي قام على علاقة الإسناد وعلاقة العمل والتأثير، ومن ثم جاء الارتباط، حيث لا يمكن أن يستغني المسند عن المسند إليه وكذلك العامل لا يستغني عن المعمول غير أن هذه العلاقات التي ذكرها النحويون خاصة بالجملة فقط[1]

ولذلك يقول سيبويه تحت باب "المسند" و"المسند إليه": " وهما ما لا يغني "يستغني" واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه...والفعل والفاعل..." [2]

وقرينة الإسناد من القرائن المعنوية التي يصعب فهمها، فهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل أو نائب الفاعل، وقرينة الإسناد محتاجة غالبا إلى عدد من القرائن اللفظية حتى تتضح[3]

ومن هذه القرائن الحركة الإعرابية التي تساعدنا في تحديد المسند سواء كان فاعلا أو خبرا.

---

[1] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 71.
[2] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1408هـ/ 1988م، ج1، ص: 23.
[3] ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص: 192.

ويشير سيبويه إلى أهمية الضمير الذي يحيل إلى السابق وإلا أصبح الكلام غير حسن ومن أمثلة ذلك:

- يوم الجمعة ألقاك فيه.
- أقل يوم لا أصوم فيه.
- يوم الجمعة صمته.

حيث كان المضمر" الهاء" هو الأول (يوم الجمعة) و لا يحسن في الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم (السابق) فلا يذكر علاقة الإضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال في الأول ومن حال بناء الاسم عليه وتستغله بغير الأول....

ـ ولكنه قد يجوز في الشعر، وهو ضعيف في الكلام، قال الشاعر ، وهو أبو النجم العجلي(من بحر الرجز):

قد أصبحت أم الخيار تدعي على ذنبا كله لم أصنع

وقال امرؤ القيس: (المتقارب)

فأقبلت زحفا على الركبتين فثوب لبست وثوب أجر

وقال النمر بن تولب:

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر

.... يريدون: نساء فيه ونسر فيه، فهذا ضعيف[1]

ويعلق السيرافي في الهامش قائلا:

"حذف الهاء يكون في ثلاثة مواضع: في الصلة، والصفة والخبر، ...وحذفها في الخبر قبيح".[2]

فقد وقف الإعمال من عدمه على وجود الضمير من عدمه فوجود الضمير الرابط بين المعمول المتقدم والعامل المتأخر يجيز العمل مثل: قابلت عليا وزيدا رأيته

[1] سيبويه، الكتاب، ص: 84، 87، 88.
[2] المصدر نفسه، ص 84.

ويذكر سيبويه أنه " اختير النصب هاهنا لأن الاسم الأول مبني على الفعل، فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم..." [1]

فقد استخدم "سيبويه" مصطلح "الإعمال" بمعنى الربط بين كلمتين أحدهما سابقة والثانية لاحقة عليها وهذا نفسه معنى الإحالة، التي تستوجب أداة تحيل بها أو تعوض بها بين كلمتين أو جملتين، كما استخدم كلمة المعمول المتقدم والعامل المتأخر وهو ما يسمى الآن بالعنصر المحيل والعنصر المحال إليه.

وقد عرف النحو العربي هذا النوع من الإحالة، وعقد له بابا هو " ضمير الشأن" أو "عودة الضمير على متأخر" حيث يكون الضمير في صدر جملة بعده تفسر دلالته وتوضح المراد منه، ومعناها معناه وفي سبيل ذلك أعطى ابن هشام شروطا لعودة هذا الضمير على متأخر[2]

ولعل من أهم المواضع التي تستدعي وجوب الضمير الرابط خاصة عند وقوع الخبر جملة إذ يشترط في الجملة الواقعة خبرا أن تشمل على ضمير رابط يربطها بالمبتدأ إلا إذا كانت بمعناه وهذه الروابط أنواع: [3]

1ـ الضمير الراجع إلى المبتدأ: وهو أصل الروابط وأقواها(الزارع فضله كبير)

2ـ إعادة المبتدأ السابق: {القارِعَة ـ ما القارِعَة } [4]

3ـ الإشارة إلى المبتدأ: قوله تعالى: { ولِباسُ التقْوى ذلِكَ خيْرٌ} [5]

والجدير بالذكر أن النحاة قد شبهوا الضمائر بالحروف، ولذلك كانت الضمائر البارزة تؤدي وظيفتها في الربط كما تؤديها أدوات المعاني الرابطة، لأن الضمير البارز

---

(1) المصدر السابق، ص: 278.

(2) ينظر: ابن هشام الأنصاري(ت/761هـ)، مغني اللبيب، تقديم إميل يعقوب، حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ- 1998م، ج2، ص: 205، 206.

(3) صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص: 132.

(4) سورة القارعة، الآية: 1-2.

(5) سورة الأعراف، الآية: 26.

يعتمد على إعادة الذكر، في حين تعتمد أدوات الربط على معانيها الوظيفية التي تحد نوع العلاقة المنشأة.[1]

كما أن وجود هذا الضمير يشير إلى تعلق الجملة الثانية بالضمير، ولولا وجود هذا الضمير لنشأ لبس في فهم الانفصال بين الجملتين.[2]

وبالتالي نجد أن النحويين العرب القدامى قد تناولوا مفهوم الإحالة وضرورة التماسك في إطار حديثهم عن قضاياهم النحوية عبر أبواب النحو المختلفة، إلا أنهم يركزون على قضية الاتساق على مستوى الجملة فقط، حيث نجدهم في معرض حديثهم عن الإسناد يركزون على الابتداء والفاعلية، وغير ذلك مما يتعلق بالجملة ويلحون على ضرورة وجود الرابط في جملة الصلة والخبر الجملة، وهذا خير دليل على تناولهم لقضية الاتساق ولكن على نحو ضيق وهو نحو الجملة فقط، إذ يركز سيبويه على ضرورة وجود الضمير الذي يحيل إلى السابق حتى يكون الكلام مفهوما وسليما، وجليا و واضحا، فإذا لم يتوفر الكلام على هذا الضمير –على مستوى الجملة باعتبارها نصا صغيرا- كان هذا الكلام غير حسن.

وإذا كانت هذه نظرة النحويين، فإن علماء البلاغة أيضا قد تناولوا هذه القضية من خلال حديثهم عن النظم، وبخاصة عند "عبد القاهر الجرجاني" عند تناوله فكرة "التعليق النحوي" حين يقول:" فالألفاظ لا توضع متجاورة دون تعليق بعضها ببعض، وإنما يرتبط بعضها ببعض بـ (علاقات نحوية) لا يتم بدونها كلام ولا يفهم حديث، يقول:" ... لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض وتجعل هذه بسبب من تلك..."[3]

---

(1) ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1997، ص: 52.

(2) المرجع نفسه، ص: 193.

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1989، ج2، ص: 249.

فاللغة عند "عبد القاهر الجرجاني" ليست مجرد مجموعة من الكلمات المتجاورة والمتراصة بقدر ما هي شبكة مترابطة من العلاقات النحوية الضرورية في الكلام والتي بدونها لا نفهم الحديث.

كما أشار "الجرجاني" إلى ضرورة "توخي معاني النحو": " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها..." [1]

فالنظم هو وضع الكلام في الموضع الذي يقتضيه علم النحو، ويعمل بقوانينه حيث يقول:"لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها برقاب بعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[2]

وفي هذا إشارة إلى ضرورة التماسك والترابط بين الكلمات عند النظم.

من خلال عرضنا لبعض الآراء –الموجزة- لبعض النحويين والبلاغيين القدماء تأكد لنا إدراكهم لكثير من الجوانب المرتبطة بالتماسك النصي –على مستوى الجملة- شكليا ودلاليا غير أن هذا لم ينته إلى صورة نظرية متكاملة مثل نظرية النحو المتصلة بالجملة، وهذا ما يجعلنا مطالبين بتطوير هذه النظرة باعتبار النص هو الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بمحاولة تطبيق الروابط والأدوات لمعالجة النصوص كاملة، وما العرض السابق إلا محاولة للتأصيل وربط التراث العربي القديم مع هذا التصور الجديد في دراسة تماسك النصوص.

---

[1] المصدر السابق، ص: 253.
[2] المصدر نفسه، ص: 249.

2ـ الاستبدال substitution:

يعد الاستبدال ثاني أهم وسيلة من وسائل الاتساق في النصوص والاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، ويعد الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة علاقة اتساق[1]. على أن مختلف علاقات الاستبدال النصي قبلية فالاستبدال وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص فهو العلاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، وبناء عليه يعد الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص. فالاستبدال علاقة تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات وهو في معظم الحالات علاقة قبلية تجمع بين العنصر المستبدل، والعنصر المستبدِل.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع :

1ـ استبدال اسمي، ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل آخر، آخرون...

2ـ استبدال فعلي، ويمثله استخدام الفعل: يفعل.

3ـ استبدال قولي باستخدام ذلك، لا. [2]

ويسهم الاستبدال في اتساق النصوص في خلال العلاقة القائمة بين العنصرين المستبدل و العنصر المستبدل ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية (أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة)

وهناك من أطلق عليه مصطلح "الإبدال" بدلا من الاستبدال وأدرجه ضمن أدوات التماسك الداخلية. [3]

ويرجع أصل فكرة الاستبدال إلى (دي سوسير) حول العلاقات الرأسية المتحققة على المستوى النحوي، والعلاقات الرأسية المتحققة على المستوى الصرفي، أي العلاقات بين أبنية الجمل والأبنية الصرفية. [4]

---

(1) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19.
(2) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 123.
(3) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 120.
(4) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 30.

3ـ الحذف ellipsis:

أجازت العربية كغيرها من اللغات حذف أحد العناصر من التركيب عند استخدامها، ولما كانت المواقف لا تسع لكثير من الوقائع الفعلية وكان موقفها شديد التحديد، فإن المتكلم يعهد إلى الاقتصاد بواسطة الحذف أو الاختزال. [1] والحذف أصبح ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية تفاديا للتكرار.

والحذف " هو علاقة داخل النص وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[2]

فالحذف فراغ بنيوي – في الجملة الثانية يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق... [3]

وهناك من ذهب إلى أن الحذف هو " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"[4]

و" قد يحدث حذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"[5]

فالحذف إذا هو الاستغناء عن بعض العناصر في البنية السطحية للنص، هذه الأخيرة ذات محتوى دلالي في البنية العميقة التي تقوم في الذهن، وهذا المحتوى المفهومي يوسع ويعدل ويفهم بواسطة العبارات المحذوفة وبالتالي الربط بين بنية النص السطحية، وبنيته العميقة، والحذف نستشفه من خلال قرائن معنوية أو مقالية في النص تشير إليه وتدل عليه، وفي حذف هذه العناصر معنى أحسن وأبلغ لا نتوصل

---

(1) ينظر: روبيرت دي لوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 93.
(2) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 21.
(3) المرجع نفسه، ص 21.
(4) ينظر: روبيرت دي لوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 301.
(5) د/ طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1983 ص: 23. من كتاب مصطفى عفيفي، نحو النص، ص: 125.

إليه لو ذكرنا تلك العناصر، كما أن هذه الجمل المحذوفة تكون أساسا للربط بين أجزاء النص من خلال محتواها الدلالي.

ولقد تطرق علماء العرب لهذه القضية وذكروا شروطا للحذف إذ نجد "الزركشي" أفاد بأنه:" من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إما من لفظه أو من سياقه، وإن لم تكن من معرفته فيصير اللفظ مخلا بالفهم ... وهو معنى قولهم: لابد أن يكون فيما أبقي دليل على ما ألقي، وتلك الدلالة مقالية أو إحالية."[1] وقد ذكر "ابن هشام" شروطا ثمانية للحذف، أولها وجود دليل إحالي أو مقالي أو صناعي..."[2]

وهذا تأكيد على ضرورة وجود دلالة على العنصر المحذوف إما من خلال اللفظ أو السياق أو المقال، فإن لم ندرك ذلك لا يتحقق الفهم والإفهام، فمن شروط الحذف أن نبقي دليل يوصلنا إلى العنصر المحذوف سواء كان الدليل من خلال المقال أو السياق أو من خلال الإحالة إليه.

وهو ما أكده ابن جني(ت 392هـ) في كتابه الخصائص:" وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب ومعرفته"[3]

وقد تم التمييز بين العديد من أنواع الحذف و المتمثلة أساسا في:

1ـ **حذف الاسم**: كما في حذف الاسم المضاف والمضاف إليه واسمين مضافين وثلاثة متضايفات والموصول الاسمي والصلة والموصوف والصفة و المعطوف عليه والمبدل منه والمؤكد والمبتدأ والخبر والمفعول والحال والتمييز والاستثناء ولا شك أن في هذه المواضع اسما وعبارة وجملة، إذ قد يكون الحال جملة وكذلك الصفة والخبر وفيها أيضا عبارة مثل: حذف ثلاثة متضايفات.

---

(1) الزركشي(بدر العين): البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت- لبنان، تح: محمد أبو الفضل، ط3، 1980 ج3، ص: 111، 112.

(2) ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، د ت، ج2، ص: 163.

(3) ينظر: ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، دط، دت، ج2، ص: 360.

وحذف الاسم يعني حذفه داخل المركب الاسمي فقط.

2ـ حذف الفعل: وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب أو معهما، ولا شك أيضا أن حذف الفعل مع المضمر المرفوع يمثل جملة وهو عكس الأول إذ يتم الحذف داخل المركب الفعلي.

3ـ حذف الحرف أو الأداة: كما في حذف حرف العطف وفاء الجواب و واو الحال وقد وما النافية وما المصدرية وكي المصدرية و أداة الاستثناء ولام التوطئة والجار وأن النافية ولام الطلب وحرف النداء... [1]

4ـ حذف الجملة: كما في حذف جملة القسم، وجواب القسم وجملة الشرط وجملة جواب الشرط.

5ـ حذف الكلام بجملته

6ـ حذف أكثر من جملة[2]

وقد فصل "ابن جني" في مسألة الحذف، وأعطى نماذج لمواضع كثيرة ومختلفة لمواضع الحذف ومن ذلك:

1ـ حذف الجملة: كجملة القسم والشرط والخبر وغيرها

2ـ حذف المفرد: ويكون على ثلاثة أضرب: اسم و فعل وحرف

2ـ1ـ حذف الاسم: حذف المبتدأ، الخبر، المضاف الموصوف وغيرها

2ـ2ـ حذف الفعل: فيتم حذفه والفاعل فيه فيكون بمثابة حذف جملة أو يحذف وحده.

2ـ3ـ حذف الحرف: كما يحذف الحرف الزائد على الكلمة لمعنى أو حذف حرف من نفس الكلمة. [3]

---

[1] ينظر: صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص: 193.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 194.
[3] ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 381.

وقد أشار "الجرجاني" إلى أن العرب يطرد من كلامهم حذف المبتدأ (المسند إليه) حيث يبنى الأسلوب على طريقة القطع والاستئناف. [1]

كما تحدث كذلك عن محاسن الحذف فقال:" هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2]

وقد ذكر الباحثان " هاليداي ورقية حسن" ثلاثة أنواع من الحذف:

1. الحذف الاسمي: أي حذف اسم داخل المركب الاسمي
2. الحذف الفعلي: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي
3. الحذف داخل شبه جملة[3]

علاقة الحذف بالاستبدال:

من المسائل التي أثارت الخلاف بين النصين علاقة الحذف بالابدال إذ أن كلا منهما يمثل علاقة إبدال بين عنصرين أحدهما متقدم والثاني متأخر، وإذا كانت علاقة الإبدال تترك أثرا وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، فعلاقة الحذف لا تخلف أي أثر، بل تترك فراغا بنيويا يملأه القارئ أو المتلقي اعتمادا على الجملة الأولى أو على السياق الخارجي، إذ لا يحل محل المحذوف شيء[4]، والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول " استبدالا بالصفر" أي أن علاقة الحذف لا تترك أثرا أو هي ما يعرف بالاكتفاء بالمبنى العدمي. Substitution by zero

علاقة الحذف بالإحالة:

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 172.
(2) المصدر نفسه، ص: 121.
(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 21.
(4) المرجع نفسه، ص 21.

أما العلاقة بينهما فهي واضحة على حد تعبير" صبحي ابراهيم الفقي" وهي من الجوانب التي تولد أهمية الحذف في تحقيق التماسك النصي نظرا لوجود دليل مذكور يسهم في تقدير المحذوف. [1]

فالحذف لا يتأتى إلا بوجود قرينة، هذه الأخيرة تحيلنا إلى المحذوف مباشرة ومن هنا فالعلاقة بين الإحالة والحذف وطيدة جدا وهو ما يؤكده "ابن جني" بقوله:" إن الحذف بطبيعته علاقة مرجعية لما سبق وأحيانا يكون الحذف مرجعيته خارجية والأخيرة تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال، لكن الحذف المرجعي للخارج- خارج النص- ليس له مكان في التماسك .[2]

فابن جني يشير إلى أن الحذف علاقة مرجعية إحالية ولكنها إحالة قبلية فقط أما إذا كان يحيلنا إلى خارج النص(المقام) فإنه لا يحقق التماسك لأن أكثر الأماكن التي تتوفر فيها تلك المرجعية تكون على مستوى الجملة الواحدة[3] وهو عادة علاقة قبلية.

ولعل ما يجعل الحذف مختلفا عن الإحالة والاستبدال هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص. [4]

4- الربط:Junction

إذا كان إعادة اللفظ والإحالة المشتركة والحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات، فإن الربط يشير إلى العلاقات بين المساحات وبين الأشياء التي في هذه المساحات. [5]

---

[1] روبيرت دي لوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 340.
[2] صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 201.
[3] ينظر: صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص: 203.
[4] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 21. 22.
[5] روبيرت دي لوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 346

وفيما يلي سنفصل الحديث عن هذه الأداة المهمة من أدوات الاتساق لتكون النظرة جلية أكثر فالوصل هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[1]

فالربط أو الوصل – عند الباحثان" هاليداي ورقية حسن" هو ترابط بين اللاحق والسابق بشكل مرتب ومنظم.

1ـ التوابع عند القدماء:

من الملاحظ أن العلاقات بين المفردات في الجملة ـ أو الجمل ـ تقوم على أساس الاتصال والربط، وهذا الأخير يجعل منها جملة واحدة لها معنى دلالي موحد، وفي هذا تحدث ابن جني قائلا:" في حال الوصل أعلى رتبة في حال الوقف، ذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة وإنما تنجر من الجمل ومدارج القول، ولذلك كانت حال الوصل عندهم أشرف وأقوم من حال الوقف".[2]

أما" سيبويه" فإنه تناول التوابع أيضا وأشار إلى أنها "هي الأسماء التي لا يسميها الإعراب، إلا على سبيل التبع لغيرها وهي خمسة اضرب: تأكيد ، وصف ،وبدل وعطف بيان وعطف بحرف" .[3]

وقد سار" الجرجاني" على نهجه، حيث يقول: " واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول انه فيه خفي غامض، ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب" .[4]

هذا وقد ذكر الجرجاني شروطا لعطف جملة على أخرى نوردها فيما يلي: [5]

1. أن يكون حكمها حكم المطلق.
2. أن يكون للأولى محل من الإعراب .

---

(1) Hallyday & r- Hasan cohésion in engliche, p 227 نقلا عن محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.
(2) ابن جني: الخصائص، ج1، ص: 120.
(3) سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 35.
(4) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص : 187.
(5) المرجع نفسه، ص: 175.

3ـ أن تنتقل الواو إلى الثانية .

مما سبق ذكره يبين لنا إدراك علمائنا العرب لأهمية الربط خاصة حروف العطف وتكمن أهميتها في أنها وسيلة لفظية معينة على إبراز العلاقات النحوية السياقية ويضاف إلى هذا أن الربط يحتل المكان الأوسط في علاقتين على طرفي نقيض هما: الإرتباط، والانفصال، وهو بهذا يؤدي وظيفته التركيبية المهمة في بناء الجملة والنص. [1]

2ـ التوابع عند النصيين:

لقد أكد النصيون على أهمية وظيفة الربط بين الجمل وركزوا خاصة على أهمية العطف، فهذا" الأزهر الزناد" يتناوله بقوله:" بعد النظر في وجوه الربط بين الجمل في النص نتبين أن حضور أداة الربط مشروط بخلاف بين الجملتين أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين"[2]، وتتمثل هذه الوسائل في جملة من الأدوات تربط بين الجمل في مستوى النص وهناك أنواع من الربط: [3]

- ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل: الواو في العربية .
- ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يدخل في معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى مثل:"الفاء"، و"ثم" و"أو" وغيرها في العربية حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين. [4].

---

[1] ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية،شركة مصر العالمية للنشر والتوزيع لونجمان، دار توبقال للطباعة ، القاهرة ، 1997، ص 158.
[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 56.
[3] المرجع نفسه، ص: 37.
[4] المرجع نفسه، ص: 37.

ـ أنـــواع الربـــط:

لقد ميز" دي بوجراند" بين أربعة أنواع من الربط وتتمثل في: [1]

1. **ربط يفيد مطلق الجمع**: ويتم فيه ربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما.
2. **ربط يفيد التخيير**: ويتم فيه ربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار.
3. **ربط يفيد الاستدراك**: ويكون هذا النوع من الربط على سبيل السلب، ويتم فيه ربط صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض.
4. **ربط يفيد التفريغ**: ويبين فيه العلاقة بين صورتين من صور المعلومات و المتمثلة في علاقة التدرج، أي تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى.

أما الباحثان" هاليداي ورقية حسن" فقد ركزوا أيضا على 4 أنواع من الوصل وهي: [2]

1. الوصل الإضافي:

يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين "و"، "أو" وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...، وعلاقة الشرح، وتتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر...، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو...

2. الوصل العكسي:

" الذي يعني على عكس ما هو متوقع" فإنه يتم بواسطة أدوات مثل: (but,yet)

---

[1] روبيرت دي لوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 146، 147.
[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.

3ـ الوصل السببي:

4ـ فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط....

5ـ الوصل الزمني:

6ـ وهو العلاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا.

ونظرا لأهمية العطف في تحقيق الترابط على سطح النص تجدر الإشارة إلى أنه توجد أربعة أنواع من العطف وهي: [1]

أ – الـــوصل:

ويربط بين شيئين لهما نفس المكانة، كأن يكون كلاهما صائبا في عالم النص، وأكثر ما يستعمل للدلالة على الوصل هو حرف العطف "الواو" وفي حالات أقل: "كذلك وفضلا عن ذلك وبالإضافة إلى ذلك".

ب ـ الفصل:

ويربط بين شيئين لهما مكانتان بديلتان كأن يكون أحدهما فحسب صائبا في النص، ويشار إلى الفصل في معظم الحالات باستعمال أداة العطف"أو" .

جـ ـ وصل النقيض:

ويربط بين شيئين لهما نفس المكانة، ولكنهما يبدوان متدافعين أو غير متسقين في عالم النص، كأن يكون سببا ونتيجة غير متوقعة، ويستدل في أكثر الحالات على وصل النقيض باستعمال "لكن"، وفي بعض الحالات باستعمال أخواتها من مثل: "بيد أن"،" غير أن".

---

[1] ينظر: إلهام أبو غزالة، علي خليل محمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبيرت دي لوجراند و ولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997، ص: 107- 110.

د ـ الإتباع:

ويربط بين شيئين تعتمد مكانة أحدهما على مكانة الآخر كالأشياء التي تكون صائبة في ظروف معينة أو مع وجود دوافع معينة (شرط سابق/ حادث/ سبب/ نتيجة...) ويتمثل الإتباع في قائمة كبيرة من التعبيرات العطفية من مثل: لأن، لـ ، لكي...

3ـ الاتساق المعجمي:

ويعد آخر مظهر من مظاهر اتساق النص إلا أنه مختلف عنها جميعا، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترض والعنصر المفترض، ولا عن وسيلة شكلية (نحوية)للربط بين العناصر في النص وهو حسب رأي الباحثان" هاليداي ورقية حسن" فينقسم إلى نوعين: 1ـ التكرير 2ـ التضام

وفيما يلي سنتطرق لكل نوع بالتفصيل.

أـ التكرار: وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما. [1]

ويذكر "الزناد" أن"الإحالة بالعودة نوع آخر من الإحالة تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد،و الإحالة التكرارية تمثل أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام".[2]

والتكرار عادة لا يكون في بداية الجمل بل يكون في ثناياها أو أواخرها، ولا يقتصر على الألفاظ بل قد يتعدى إلى الجمل أو الفقرات.

فتكرار الكلمة أو الجملة يحيلنا قبليا إلى ما سبق ذكره في النص وبالتالي يساهم التكرار في الربط بين أجزاء النص والتكرار قد يكون بإعادة اللفظ ذاته أو لفظ آخر مرادف له في المعنى أو شبه مرادف أو باستعمال عنصر يكون عاما أو مطلقا مما يجعلنا دائما نربط بينه وبين اللفظ المكرر في موضع سابق في النص.

---

[1] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 24.

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.

ب- التضام: وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك.

والعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي:

- علاقة تعارض: وهناك من يطلق عليها علاقة تضاد، وكلما كان هذا التضاد حادا كان أكثر قوة وقدرة على الربط النصي.
- علاقة الكل بالجزء.
- علاقة الجزء بالجزء.
- علاقة بين عناصر من نفس القسم. [1]

إلا أن القارئ قد يجد صعوبة لإيجاد السياق الذي تترابط فيه العناصر المعجمية لأنه يعتمد فقط على حدسه اللغوي وعلى معرفته لمعاني الكلمات.

من خلال التطرق لوسائل الاتساق توصلنا إلى أن أهم وسائله هي:

1- الإحالـــة

2- الاستبدال

3- الحـــذف

4- الوصـــل

5- الاتساق المعجمي

فالاتساق هو الطريقة التي يتم بواسطتها الربط بين العناصر على سطح النص الظاهر، وتسهم العلاقات الاتساقية في تمييز النص من اللانص وذلك نظرا لأهمية وجودهم على سطح النص، فالإحالة تضمن تلاحم النص، فتكون بنية متماسكة مترابطة كما أنها تشكل ذاكرة داخلية يتمكن من خلالها القارئ من اقتصاد مجهود الاحتفاظ بكل العناصر اللسانية، فغياب الإحالة يجعل فهم النص عسيرا

[1] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 25.

كما تتشكل أيضا علاقة خارجية بين النص والمتلقي إذ تحيلنا إلى سياق النص والظروف المحيطة به، ويتحقق ذلك بواسطة ضمير المتكلم والمخاطب. ولكن ليست الإحالة وحدها هي المسؤولية عن تحقيق هذا الاتساق، فالحذف هو الآخر له أهمية كبرى لا نستطيع إغفالها، إذ يساعدنا على تجنب التكرار وتجاوز الثغرات والفراغات في المعنى وفي بناء النص كما أن وجود دليل على العنصر المحذوف يساعدنا على تأويله وبالتالي الربط بين أجزاء النص.

كما لا ننسى دور الاستبدال باعتباره ثاني أداة من أدوات الاتساق وهذا يؤكد أهميته في تحقيق التماسك، إذ يسهم في نمو نسيج النص مع خلق الاستمرارية في ظاهره، كما أن تكرار الوحدات المعجمية باعتباره أداة من أدوات الاتساق المعجمي تعبر عن وحدة موضوع النص.

ويمكن التمثيل لأدوات التماسك النصي حسب رأي "صبحي إبراهيم الفقي" من خلال المخطط التالي: [1]

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 120.

أدوات التماسك النصي:

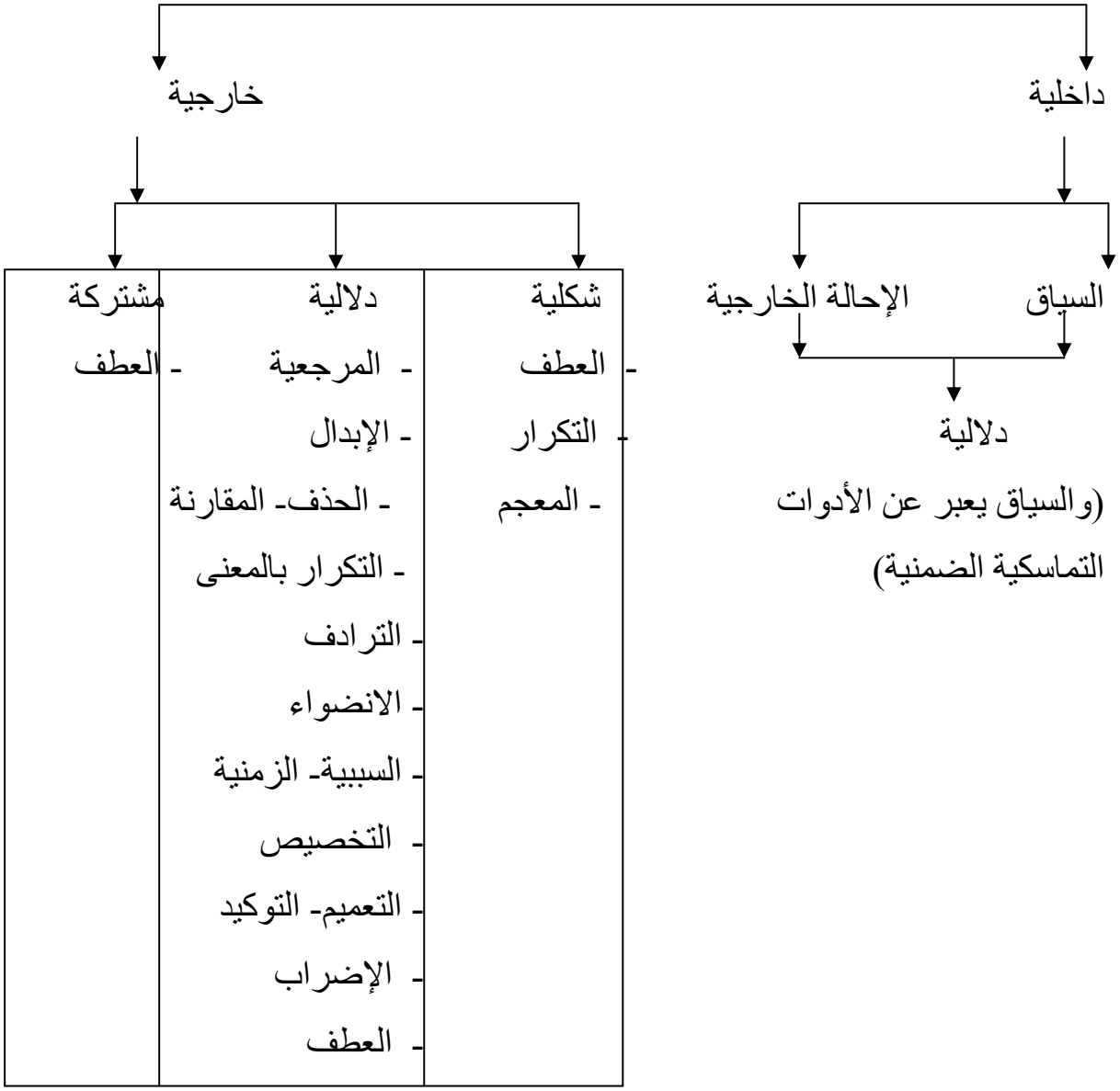

إن مصطلح الاتساق يتصل ويرتبط ارتباطا وثيقا مع مصطلح آخر وهو "الانسجام" وكلاهما يمثل موضوع لسانيات النص الرئيسي فبعد أن تطرقنا للاتساق وأدواته وتوصلنا إلى أنه تحقيق الترابط الظاهر في النص، أي يهتم ببنية النص الشكلية. ترى ما هو الانسجام؟

والسؤال الأهم ما هي الوسائل التي تسهم في انسجام النصوص؟

ثم ما هي علاقة الاتساق بالانسجام، هل يمكن أن يكون نص ما منسجما دون اتساق والعكس؟، وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في ما سيأتي من البحث إن شاء اللّه.

الانسجام:

إذا كان الاتساق يختص برصد الاستمرارية الظاهرية والشكلية للنص، فإن الانسجام يهتم ببنية النص الداخلية، فهو يتحقق بفضل مجموعة من العلاقات الدلالية ومن هنا فإن الانسجام يهتم- على عكس الاتساق- بمعنى النص واستمراريته الدلالية ولعل هذا ما جعل الباحثان "هاليداي ورقية حسن" يؤكدان على أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام، من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده.

وبناء على ذلك اهتمت الدراسات اللسانية النص بدراسة الأدوات التي تسهم في انسجام النصوص.

وسنحاول فيما سيأتي التعرف على ماهية الانسجام اللغوية والاصطلاحية مع الإشارة إلى أهم الأدوات التي تسهم في تحقيق وبناء نص منسجم.

مفهوم الانسجام:

أ- لغة:

ورد في لسان العرب" لابن منظور" أن المادة اللغوية (س/ج /م) تدل على عدة معاني أهمها : "سجم :سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجمانا وهو قطران الدمع وسيلأنه ، قليلا كان أو كثيرا وكذلك الساجم من المطر، والعرب تقول: دمع ساجم ، ودمع مسجوم : سجمته العين سجما، وقد اسجمه وسجمه و السجم: الدمع واعين سجوم : سواجم وكذلك عين سجوم و سحاب سجوم و انسجم الماء و الدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب ، سجمت السحابة مطرها تسجيما و تسجاما إذا صبته ، سجم العين و الدمع الماء يسجم سجوما و سجاما إذا سال و انسجم"[1]

[1] ابن منظور: لسان العرب، المحيط، مادة (س.ج.م)، مج2، ص: 103.

فالمتبع للمادة اللغوية (س/ج/م) يجدها مرتبطة بالعديد من الاشتقاقات لعل أهمها: انسجم، منسجم، ساجم، مسجوم، و من أبرز المعاني التي تتناولها هذه المادة المعجمية نجدها كلها تدور حول معاني القطران، الإنصباب، الصب، و السيلان.

2ـ اصطلاحا:

لقد حضي مفهوم الانسجام باهتمام أغلب علماء النص، وان اتفقوا على أنه يعني تماسك النص من الناحية الدلالية، إلا أننا نلمح بعض الاختلاف في تحديد ماهيته "فروبرت دي بوجراند" يوظف مصطلح الالتحام بدل الانسجام " و هو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، و استرجاعه و تشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية و العموم و الخصوص "[1] و من ثم فمصطلح coherence أو " الحبك" كما ترجمه د/ سعد مصلوح " يعني الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم و العلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم" [2]

في حين يجعله كريستال " الاتصالات المنطقية المقدرة للاستعمال اللغوي "[3] أما "جوليا كرستيفا" و" رولان بارت" فإنهما تطرقا إلى مفهوم الانسجام من خلال تعريفهما للنص باعتباره " إنتاجية دلالية تتحقق ببناء انسجام العمل و تماسكه و لكن ليس على الجزئي ، كما هو الحال عند" هاليداي" ، و لكن على المستوى الكلي بتوسيع مفاهيم الربط و التعليق و الإحالة و الحذف التي أقرها هذا الأخير" [4]

فالتعريف السابق يتناول النص باعتباره إنتاجية ليست نحوية و إنما دلالية و هذه الإنتاجية لا تتحقق إلا بانسجام البناء في العمل، و كذا تماسكه ، هذا الأخير لا يتم على المستوى الجزئي كما ذكره" هاليداي" و لكن على المستوى الكلي

---

(1) روبيرت دي لوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.
(2) سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، ع1، 2، يوليو 1991، أغسطس 1991، ص: 154.
(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 94.
(4) محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف، الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، إيتراك، القاهرة، ط1، 2001، ص: 03.

للنص، و ذلك من خلال توسيع المفاهيم التي اقرها "هاليداي" و التي تسهم في الترابط الشكلي الظاهري للنص و هي الربط و التعليق و الإحالة و الحذف...

و بالتالي" ف جوليا كرستيفا" و " رولان بارت" قد اهتما بجانبي الإتساق و الانسجام معا عند تعريفهما للنص فقد اتبعا نفس منهجية "هاليداي" و وسعا بعض المفاهيم التي تناولها الأخير، و ذلك لأن" هاليداي و رقية حسن" قاما بدراسة وسائل الاتساق في كتابتها، و لكنهما أغفلا المفاهيم المتعلقة بالانسجام .

ولهذا انطلق "تصور الدراسة للنص من نظرية البلغارية "جوليا كرستيفا" والفرنسي "رولان بارت" ولكن بإضافة هذه النظرية بمفاهيم لغوية وردت ضمن النظرية اللغوية عند" هاليداي" ومن ثم كان النص هو: الكيفيات اللغوية التي يتحقق بها العمل انسجامه وتماسكه في كليته الدلالية " [1] .

وقد أشار "محمد مفتاح" إلى" انه يقصد بالانسجام ما يكون من علاقة بين عالم النص وعالم الواقع" [2] ويبين ان "بتوفي " " و"دانش"و " فندايك " لهم مقارباتهم الخاصة تهتم جميعا بانسجام النص و تماسكه وتسلسله ولعل أشيع هذه الأعمال هي انجازات "فندايك " فقد ركز على مفهومين أساسيين في تحليل الخطاب: [3]

1ـ مراعاة علائق الانسجام الخطي الموجود بين الجمل .

2ـ البنية الكبرى أو مدار الحديث، وقد فصل القول في آليات الانسجام الخطي بالاعتماد على عدة علائق مثل: المطابقة والتداخل وعلاقة الجزء بالكل والإطار وهذا المفهوم ينتمي الى مجال علم النفس المعرفي وأما مدار الحديث فعني به تكثيف خطاب طويل في كلمة أو في تركيب بالاعتماد على المعرفة اللغوية، وعلى معرفة العالم وعلى معرفة السياق، ومن هنا فإن الانسجام يتعلق بـ:"تحليل الخطاب" .

---

(1) المرجع السابق، ص: 03.
(2) محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ص: 35.
(3) المرجع نفسه، ص: 38.

وهناك من أطلق على الانسجام مصطلح "تحليل الخطاب" فمن" ضمن القضايا الجوهرية التي تم الاهتمام بها في مجال تحليل الخطاب "الوظيفة التواصلية للغة" والتي تقتضي وجود طرفين أساسيين هما : المتكلم والمخاطب"[1]

وقد أكد العالم اللغوي الشهير" فرديناند دي سوسير" ferdinand de saussure على الوظيفة التواصلية للغة ،حيث اعتبر آلية التواصل الألسني ذات طبيعة نفسية واجتماعية قبل كل شيء، فاللغة عنده كنز يدخره الأفراد الذين ينتمون إلى مجموعة واحدة عبر ممارسة الكلام وهي منظومة نحوية موجودة بالقوة في كل دماغ وتحديدا في أدمغة مجموعة أفراد، إذ إنما لا توجد تامة عند الفرد وإنما عند الأفراد"[2]

فاللغة عند" دي سوسير" كنز يدخره مجموعة من الأفراد ينتمون إلى جماعة لغوية واحدة، ومن ثم فإن آلية التواصل تتطلب وجود متكلم ومستمع (مخاطب)، وبناء عليه فإن الانسجام يتطلب دراسة العلاقة بين النص والمتلقي، فمصطلح cohérence الذي يعني في أحد ترجماته الانسجام- وهو المعتمد في الدراسة- يعني العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب أو معاني الجمل في النص"[3] .

فالانسجام مرتبط بمعاني الأقوال أو معاني الجمل في الخطاب أو النص ولا يهتم بطريقة ترابط هذه الجمل على المستوى الشكلي السطحي وإنما يرتبط بالبنية العميقة حيث أشار " د/ سعيد حسن بحيري" إلى ضرورة التفريق بين الربط الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية(الروابط) والتماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويمكن تتبع إمكانيات الأول على المستوى السطحي

(1) علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001 ص: 93.
(2) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، السداسي الثاني، دط، 1986، ص: 05.
(3) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 94.

للنص، إلا أن الثاني يتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص... [1]، ويرى "فنديك" أن التماسك يتحدد على مستوى الدلالات، حين يتعلق الأمر بالعلاقات القائمة بين التصورات والتطابقات والمقارنات والتشابهات في المجال التصوري كما يتحدد على مستوى الإحالة أيضا، أي ما تحيل إليه الوحدات المادية في متوالية نصية". [2]

و يجعل "هاليداي ورقية حسن" cohésion متضمنا علاقات المعنى العام لكل طبقات النص ،والتي تميز النصي من اللانصي، ويكون علاقة متبادلة مع المعاني الحقيقية المنتقلة للنص مع الآخر فالتماسك cohésion إذن لا يركز على ماذا يعني النصي بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا"[3].

فهما لم يستخدما مصطلح coherence للتماسك الدلالي، ومع ذلك جعل ذلك غيرهما مصطلح coherence مرتبطا بالروابط الدلالية، على حين يعني مصطلح cohesion العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجمل. [4]

وبالتالي فهما يؤكدان على أن مصطلح cohérence مختص بالروابط الدلالية في بنية النص الداخلية أو العميقة، ذلك أن النص ليس مجموعة من الجمل التي تلي إحداها الأخرى كما أنه وحدة دلالية وليس وحدة نحوية لأن الوحدة التي تميز النص هي وحدة معنى في سياق، ويرتبط النص في كليته بالمحيط الذي وضع وصنع فيه والنص بوصفه وحدة وظيفية فهو متسق على المستوى الداخلي. [5]

فهذا التعريف يركز على الجانب الدلالي للنص، ويرى بأنه وحدة دلالية وليس وحدة نحوية كما أشار وأكد على ضرورة ربط النص بسياقه،نظرا لأهميته الكبرى في فهم المحتوى الداخلي للنص لأنه في كليته مرتبط بالمحيط الذي صنع فيه.

---

(1) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص:122.

(2) المرجع نفسه، ص: 122

(3) Halliday & r- hasan cohession in english, p26

(4) صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 95.

(5) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1985، ص: 324.

فالانسجام لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية، يضمن الانسجام التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول "موضوع الكلام" [1].

فالانسجام يتعلق بتصور المتصورات أي بتسلسل أثر المعاني في النفس التي تنظم العالم النصي، كما يضمن الانسجام التتابع والتسلسل والاندماج للمعاني التي تدور كلها حول موضوع واحد هو موضوع الكلام:

- ويمكن اعتبار الانسجام فهما للمعنى ووصفه من خلال عمليات "الجرد" و"التنضيد" و"التصنيف" التي تنتمي إلى عالم وصف المعنى وذلك رغبة في السعي نحو التجانس coherence هذا التجانس الذي يتجلى في رسم مجموعة من العناصر المعروضة للدراسة كنظام système متسق ذي خصوصية"[2].

فهذا التعريف قد أضاف مصطلحا آخر للانسجام وهو التجانس وأكد على أنه فهم للمعنى ووصفه من خلال عمليات الجرد والنضيد والتصنيف التي نعتمد عليها للوصول إلى المعنى.

- وقد استخدم "فنديك "(vandijk) في تحليله للنص مفهوم "الانسجام" ويعني به" الأبنية الدلالية المحورية الكبرى- وهي أبنية عميقة تجريدية" وذلك بخلاف الاتساق الذي يتمثل في"الأبنية النحوية الصغرى، وهي أبنية تظهر على سطح النص"[3] ولعل" فنديك" من خلال التعريف السابق قد اعتمد على مصطلحين لسانيين قد عرفا عند العالم اللساني "تشومسكي" من خلال توظيف مصطلح"البنية العميقة" المرتبطة بمفهوم الانسجام و"البنية السطحية" التي يتحقق من خلالها مفهوم الاتساق.

---

(1) منذر عياش، العلماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ص: 133.
(2) ينظر: عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية، ط1، 1990، ص: 45.
(3) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 132.

ومن خلال سرد أهم الآراء والمفاهيم المتعلقة بمصطلح "الانسجام" فإنه يمكن حصر أهم خصائصه والمتمثلة في: [1]

1ـ يعد الانسجام شرطا وقواما لتوفر خاصية "النصية".

2ـ إن النص هو وحدة التبليغ والتبادل ويكتسب انسجامه وفصاحته من خلال هذا التبادل والتفاعل، ولذلك ينبغي تجاوز إطار الجملة للاهتمام بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.

3ـ لا تستقيم نصية قطعة نصية إلا بانسجامها، وهذا لا يتأتى إلا عند إدراج النص ضمن إطار السياق، ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص، وبعده التدأولي.

4ـ للانسجام علامات خاصة، متميزة تحدد النص في بعده الجزئي وفي بعده الكلي؛ أما البعد الجزئي أو الميكرونصي فالانسجام المحلي فيه علامات: أفعال الكلام التي يحويها النص و تحدده كذلك علامات الخطاب المختلفة.

أما البعد الكلي أو الماكرونصي فالتوجه الحجاجي التدأولي العام للنص يحدد انسجام النص العام.

5ـ يختص معيار الانسجام بمجموعة من العلوم الأخرى مثل الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس الإدراكي وأتنوغرافية التبليغ، الفلسفة والذكاء الاصطناعي، وغيرها من العلوم.

ـ وتجدر الإشارة إلى أن هناك من جمع بين المصطلحين coherence و cohesion وجعلهما يمثلان معا التماسك النصي، ومن ثم وجب التوحيد بينهما في مصطلح واحد وليكن التماسك cohesion والذي نقسمه إلى التماسك الشكلي (السطحي) والتماسك الدلالي(العميق) وهذا ما يؤكده "محمد مفتاح "عند قوله:" المقولة العامة

[1] ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القبة، حيدرة، الجزائر، دط، 2000، ص: 168- 171.

هي التماسك، وأما المفاهيم الخاصة فهي التنضيد والاتساق والتشاكل والترادف[1] وبهذا المفهوم يصبح التماسك شاملا للأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في ترابط عناصر النص الداخلية والخارجية" وهذا ما أكده أيضا" صبحي إبراهيم الفقي" حيث يرى أن مصطلحي " الاتساق والانسجام" (cohesion et coherence) يتصلان بالتماسك النصي، ومن ثم وجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما وليكن cohesion، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص،و الثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.[2]

ـ وبالتالي فقد جعل السياق ضمن العلاقات الدلالية المهمة التي تساعدنا على فهم النص، بل ومن علماء اللغة من جعل التماسك بين الجمل راجعا أساسا إلى التماسك بين الظروف المحيطة بها فترتبط العبارتان فيما بينهما إذا كان مدلولهما أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مترابطة فيما بينها[3].

ـ فالحكم على عبارتان أنهما متماسكتان لا يتأتى إلا إذا كانتا مرتبطتان بسياق خارجي واحد، وكانت الظروف المحيطة بهما واحدة.

وتكمن أهمية التماسك في: [4]

- جعل الكلام مفيدا.
- وضوح العلاقة في الجملة .
- عدم اللبس في أداء المقصود .
- عدم الخلط بين عناصر الجملة.

---

(1) محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ط1، 1996، ص: 125.
(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 96
(3) د/ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 261.
(4) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 74.

ومما سبق يتبين لنا أن التماسك من عوامل استقرار النص ورسوخه، ومن ثم تتضح أهميته في تحقيق استقرار النص بمعنى عدم تشتيت الدلالات الواردة في الجملة المكونة للنص. [1]

- وأخيرا يمكن القول أن هذا الترابط الشديد بين المصطلحين (الاتساق والانسجام) يؤكد بأنهما وجهين لعملة واحدة هي ترابط النص ووحدته، فلا نستطيع دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر مع بقاء الروح في أحدهما، إذ لا بد أن يجتمع الاثنان ويتفاعلان للحكم على تلاحم النص و وحدته الكلية.

[1] المرجع السابق، ص: 74.

وسائل الانسجام:

إن الانسجام ليس ثاويا في النص ،بل إن المتلفظ المشارك هو الذي يتولى بناءه ... إن الحكم الذي يقتضي بأن النص منسجم أو غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجة التي يخولونها للمتلفظ. [1] فبالإضافة إلى السياق توجد العديد من الوسائل التي تعنينا للوصول إلى الحكم على مدى انسجام النص ويمكن إجمال أبرز العلاقات الحابكة فيما يلي: [2]

1ـ السببية:

وذلك كما في قوله تعالى:" فقَالَ لهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا ، فكَذّبُوهُ فعَقَرُوهَا فدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بذَنبِهِمْ فسَوَّاهَا " [3] وقوله تعالى: { لوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللّهُ لفَسَدَتَا} (4) .

فالفساد مثلا أسبابه هو وجود آلهة أخرى غير الله تعالى.

2ـ الزمنية:

مثل: عاد جون إلى منزله في الساعة السادسة وتناول عشاءه في الثامنة.

3ـ الإبداليـــة:

كما في قوله تعالى:" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[5] .

---

(1) ينظر:دومينيك مونقانو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياش، منشورات الاختلاف، ص: 20.
(2) ينظر: مجلة عالم الفكر، د/ جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، ع2، المجلد 32 أكتوبر، ديسمبر، 2003، ص: 149.
(3) سورة الشمس، الآيتان: 13- 14.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 22.
(5) سورة سبأ، الآية: 24.

4ـ المقارنـــة:

كما في قول الشاعر:

أنت إذا جدت ضاحك أبـدا وهـو إذا جـاء دامـع العـين.

5ـ التضمن:

ويشمل علاقة الكل ـ الجزء وعلاقة الملكية، وذلك كما في هذا المقطع القصصي الذي استشهد به" فان دايك": اتخذت "كلير راسل" طريقها إلى المكتب ... ثم جلست إلى المنضدة، لقد كانت حقيبتها ممددة في ترتيب، وكانت منشفتها باردة كالثلج، والمحبرة مملوءة..."

فالمكتب مفهوم أعم يتضمن الغرفة والمنضدة تتضمن المحبرة...

1ـ **الإجمال ـ التفصيل:**

وذلك كما في قوله تعالى: { يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [1]

في حين يذكر" فنديك "مجموعة من العلاقات التي تسهم في انسجام النصوص وتتمثل في: [2]

1ـ تطابق الذوات.

2ـ علاقات التضمن – الجزء الكل ـ الملكية.

3ـ مبدأ الحالة المفترضة للعوالم .

4ـ مفهوم الإخبار.

---

[1] سورة هود، الآيات: 105- 108.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 37.

5ـ التطابق الإحالي.

6ـ تعالق المحمولات.

7ـ العلاقات الرابطة بين المواضيع الجديدة، علاقة الرؤية، التذكر...

أما مظاهر انسجام الخطاب عنده فهي تتجلى في:

1ـ ترتيب الخطاب: ويسميه" فنـدايك "الترتيـب العـادي للوقـائع في الخطـاب، وذلـك أن ورود الوقائع في متتالية معنية يخضع لترتيـب عـادي تحكمـه مبـادئ مختلفـة علـى رأسها معرفتنا للعالم ... على أن مبـدأ الترتيـب لـيس صـارما إلى درجـة اسـتحالة تغـيير الترتيب في متتالية ما، بل يحتمل أن يحدث التغيير ولكنه يكون مـصحوبا بنتـائج تجعل التأويل مختلفا من زاوية تداولية.

ثم ميز بين نوعين من الترتيب أولهما حر والثاني مقيد، ويكـون حـرا إن لم يحـدث فيـه التغيير أي أثر دلالي، ويكـون مقيدا إن أحدث فيه التغيير أحد هذين الأثرين. [1]

كما بين الباحث" فان دايك" أن هناك علاقات تحكم هذا الترتيب وتتمثل في: [2]

- العام – الخاص.
- الكل ـ الجزء.
- المجموعة ـ المجموعة الفرعية ـ العنصر.
- المتضمن ـ المتضمن.
- الكبير ـ الصغير.
- الخارج ـ الداخل.
- المالك ـ المملوك.

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 38.
[2] المرجع نفسه، ص: 39.

2ـ الخطاب التام والخطاب الناقص:

ويرى "فان دايك" أن علماء النص لا يولون هذا المظهر اهتماما معينا، والمقصود لدى" فان دايك"بالخطاب التام أن كل الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب ولأن الوقائع التي تصف مقاما ما غير قابلة للحصر فإن الخطابات ليست تامة ولا تحتاج إلى أن تكون كذلك، بمعنى أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات "الضرورية" ومن ثم فإن "فان دايك" يميز بين: [1]

- الخطاب التام/ الخطاب الصريح.
- الخطاب الناقص/ الخطاب الضمني.

ولكن تمام الخطاب ونقصانه ليس مظهرا قارا ملازما لكل أنواع الخطاب. [2]

3ـ موضوع الخطاب البنية الكلية:

يعد موضوع الخطاب بنية دلالية بواسطتها يصف" فان دايك" انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة "إجرائية" حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب، ويعتبر"فان دايك" نفسه أن هذا المفهوم"فضفاض" . [3]

وما دمنا بصدد الحديث عن وسائل الانسجام، تجدر الإشارة إلى مقاربة كل من الباحثين"براون" و "يول" نظرا لأهميتهما.

ولعل أهم ما يميز مقاربتيهما هو اختزالهما لوظائف اللغة في عنصرين هما: [4]

أـ **وظيفة نقلية**: أي أن إحدى الوظائف التي تخدمها اللغة هي نقل المعلومات أو تناقلها بين الأفراد والجماعات.

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص40
[2] المرجع نفسه، ص: 40.
[3] المرجع نفسه، ص :42.
[4] المرجع نفسه، ص: 48.

ب- **وظيفة تفاعلية**: أي قيام شكل من أشكال التفاعل اللغوي بين فردين أو بين مجموع أفراد عشيرة لغوية.

ونشير إلى أن الباحثان لم ينفيا بقية الوظائف الأخرى.

وتتميز مقاربة"براون" و "يول" كذلك في مجال تحليل الخطاب بأنها: اهتمت بالمتكلم /الكاتب والمستمع/ القارئ وجعلتهما في رحم العملية التواصلية، إذ لا يتصوران قيام عملية تواصلية بدون أخراف مساهمة فيها، حيث لا يتسنى فهم وتأويل الخطاب بصفة عامة إلا بوضعهما في سياقهما التواصلي زمانا ومكانا ومقاما".[1]

إذ أكدا على ضرورة وجود خرفي التواصل المتكلم والمستمع، وهما لا يتصوران قيام عملية تواصلية بدون الأخراف المساهمة فيها، كما أن فهم الخطاب وتأويله تأويلا صائبا لا يتحقق إلا من خلال وضعه في سياقه التواصلي زمانا ومكانا ومقاما، وهذا تأكيد على ضرورة ربط النص بالسياق لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب، لأن ظهور قول واحد في سياقين مختلفين يؤدي بنا إلى تأويلين مختلفين قد يكونا متباعدين كليا.

ومن أهم مبادئ الانسجام عند الباحثان"براون" و"يول":

أ- السياق وخصائصه(سنفصل الحديث عنه لاحقا)

ب- مبدأ التأويل المحلي

ج- مبدأ التشابه

د- مبدأ التغريض[2]

[1] ينظر: علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري، ص: 96.
[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص:52.

ويمكن أن نختصر نظرة الباحثين "برأون" و"يول" حول معيار الانسجام في النقاط التالية: [1]

1ـ أنهما يهتمان بالانسجام في النص منظورا إليه من جهة المتلقي، وذلك بدراسة العمليات التي يوظفها هذا الأخير لبناء انسجام النص.

2ـ أنهما يستعملان مفاهيم متماثلة (في بعض الأحيان) مثل معرفة العالم والمدونات والأخر.

3ـ أنهما معا يعتبران الانسجام مرتبطا بالقدرة على التأويل .

4ـ أنهما يتعاملان مع النصوص والخطابات المستعملة لأغراض تواصلية (أي يتحقق فيها شرط التفاعل).

5ـ أن "برأون" و"يول" يدعوان محلل الخطاب إلى الاحتياط أثناء توظيف نتائج الذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي، وينتقدان كثيرا من الاقتراحات التي صيغت في هذا المجال، وخاصة الكيفية التي فهم بها الاستدلال مثلا.

[1] المرجع السابق، ص: 89، 90.

التماسك والسياق:

لم يعد السياق محور اهتمام علم اللغة النصي وحده، فقد كان ولا يزال محور اهتمام علم اللغة بصفة عامة، فالتماسك النصي يتحقق بواسطة وسائل لغوية، وأخرى غير لغوية، هذه الأخيرة تتمثل في السياق الخارجي، ولأنه يعتبر من أهم الوسائل التي تساعدنا على فهم أدق للنص وبالتالي يعد من أهم وسائل الانسجام – كان لا بد من التطرق إليه بنوع من التركيز.

بداية ما هو السياق؟ كيف وظف هذا المصطلح عند العلماء العرب القدماء؟ ثم كيف تناوله علماء اللغة المحدثون؟.

1ـ السياق لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور:"السوق معروف، ساق الإبل، وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة...، وقد انساقت وتساوقت الابل تساوقا إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، وساق إليه الصداق والمهر سياقا، وأساقه وإن كان دارهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق فاستعمل في ذلك الدرهم والدنانير وغيرهما ...والسياق: المهر، وساق بنفسه سياقا، نزع بها عند الموت، تقول رأيت فلانا يسوق سواقا أي: ينزع نزعا عند الموت".[1]

فالمتتبع للمادة المعجمية –سوق- يجد أنها تدل في الغالب على التتابع والترابط والدفع أو هو المهر، حيث أخلق العرب مصطلح السياق على المهر الذي يدفع إلى المرأة، وعلاقة الترابط بينهما أنه كان يدفع إليها عددا من الإبل، فالسوق المرتبط بالإبل تعدت دلالته إلى المهر.

[1] ابن منظور، لسان العرب ،ص:314.

2ـ اصطلاحا:

السياق(contexte) هو لفظ يتكون من سابقة con تعني المشاركة أي توجد أشياء مشاركة في توضيح النص، with the text وهي فكرة تتضمن أمورا أخرى تحيط بالنص كالبيئة المحيطة، والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال. [1]

ففي هذا النص إشارة واضحة إلى أهمية السياق ودوره في فهم النص، وقد أشار "هاليداي" و"رقية حسن "في كتابهما الموسوم بـ"اللغة ، السياق والنص" إلى أن وضوح النص وجلاء معناه مرتبط بمعرفتنا للبيئة المحيطة به، بل واعتبر أنها الجسر الرابط بين النص والحال أو المقام.

ونظرا لأهمية السياق البالغة في فهم النص فقد حضي باهتمام علماء اللغة عامة، وعلماء النص بصفة خاصة ،ولعل من أهم المدارس التي اهتمت بالسياق نجد مدرسة "فيرث"(firth) حديثا، وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بالسياق ودوره في توضيح المعنى لم يكن مقتصرا على المدارس الحديثة فقط، بل تناوله علماء العرب القدماء، وبحظ وافر من الدراسة بدءا بعلماء النحو، ومرورا بعلماء البلاغة ووصولا إلى علماء التفسير والأصول.

أ ـ السياق عند القدماء:

لقد ورد مصطلح السياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ أخرى تؤدي نفس المفهوم من مثل، الحال، الأحوال، الدليل، القرينة، القرائن، المقام، الموقف... فالبلاغيون بوجه خاص يستخدمون مصطلحي الحال والمقام للدلالة على ما نسميه سياق الموقف، وكان أول من استخدمه بهذا المعنى – السياق- ويراد به السياق اللغوي

(1) Halliday & r- hasan, language, context and text, p: 05.

نجد الشافعي(ت 204هـ) حين عقد بابا في الرسالة أسماه:"باب الصنف يبين سياقه معناه".[1]

- وقد كان يعبر عن هذا المصطلح عند علماء البلاغة العبارة الشهيرة –"لكل مقام مقال"، وربط البلاغيون السياق بالصياغة وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبته لما يليق به مقتضى الحال.

غير أن اللافت للنظر أن يوجد البلاغيون بين مصطلحي الحال والمقام حيث يستخدمان مترادفين، قال الخطيب" القزويني":" مقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإخلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف... وكذلك لكل كلمة مع صاحبتها مقام".[2]

فالنص السابق يؤكد على ضرورة مطابقة الكلام لمقتضيات الحال أو المقام، فالمقام الذي يتطلب التعريف يختلف عن المقام الذي يستدعي التنكير، ونفسه مقام الإخلاق يختلف عن المقام الذي يستوجب منا التقييد... وضم الكلمات بعضها إلى بعض يجب أن نراعي فيه المقام الذي ستقال فيه.

وعموما يمكن القول أن البلاغيون إجمالا يوحدون بين المقام والحال ولعل النص التالي يؤكد على ضرورة مراعاة المقام وموافقته للمقال:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل خبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام

(1) ينظر: الجرجاني: التعريفات، تح: إبراهيم الابياري، دار البيان للتراث، ص: 62.
(2) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ص: 7، 8.

على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[1]

فعلى الرغم من كثرة المعاني، وتزاحمها في النص نتيجة تعدد الأقدار بين المعاني والكلام والمستمعين والحالات والمقامات، فالنص السابق يفرق بين المصطلحين:"الحال والمقام" إلا أن المعنى الظاهر والأساسي في النص هو ضرورة مراعاة المقام في الكلام وضرورة مطابقته لظروف المتكلمين وخبقاتهم و أحوالهم الاجتماعية، فالمقال ليس إلا الألفاظ المناسبة للمقام الاجتماعي الذي يجري فيه الحديث بالإضافة إلى أن هناك اعتبارات أخرى مهمة في تقدير وقبول الألفاظ من المتكلم مثل العمر والنوع.[2]

وقد نقل الجاحظ عن ابن المقفع قوله:" إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو..."[3].

وسياسة المقام كما تتضح من كلامه قبل ذلك تتمثل في:

1- الإيجاز والإخناب بمراعاة عدم الإملال.

2- التفريق في الكلام استنادا إلى موضوعه:"كأن يقول فرق بين صدر الخطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب[4].

فمن خلال هذه اللمحة الموجزة والتي تضمنت بعض آراء البلاغيين العرب القدماء، تأكد لنا أن مراعاة المقام عنصر مهم جدا عند إنتاج النص، وكذا مراعاة أحوال

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط4، ج1، ص: 138، 139.
(2) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 146.
(3) المصدر نفسه، ص: 106.
(4) المصدر نفسه، ص: 106.

المتكلمين وظروفهم الاجتماعية وفي كل هذا تأكيد على أهمية السياق وضرورة مراعاته لفهم النص، بحسب المقام الذي كتب أو قيل فيه.

كما تناول أيضا اللغويون العرب قضية السياق، وضرورة مراعاته لفهم الجملة فقد عني اللغويون بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها فتطرق" سيبويه" بعد أن أشار إلى أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك... [1] تطرق إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام فقال: " فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب".

فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيك أمس وسآتيك غدا.

وأما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره: فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، و شربت ماء البحر...

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس. [2]

فالحكم على الأمثلة السابقة بالحسن أو القبح أو الكذب... مبني على حسن التركيب، ثم مدى موافقة هذا التركيب مع الواقع الخارجي مثل شربت ماء البحر، فهذا المثال كذب لأننا عدنا إلى ماء البحر في الواقع فوجدنا أنه من المستحيل أن يشربه أحد ولو القليل فما بالك أن يشربه كاملا.

فمن خلال الأمثلة السابقة نستشف إلماح" سيبويه "إلى قضية التوافق بين التركيب اللغوي والواقع الخارجي.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 24.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 25، 26.

كما أشاروا إلى أن تعدد الدلالة المعجمية للألفاظ لا يكون إلا خارج السياق فأما في السياق، فإن الدلالة واحدة، وهذا ما يؤكده" الأنبا ري" بقوله: "إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظ على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحدا" [1] فقد خص" الأنبا ري" في التعريف السابق اللفظ الدال على ضدين ولكنه من خلال ما يتقدمه وما يأتي بعده فإننا نستطيع التوصل إلى دلالة اللفظ على أحد المعنيين دون الآخر، لأنه لا يراد منه عند الإخبار إلا معنى واحدا وليس المعنيين معا مجتمعين في نفس الموضع، وإذا كان الاستعمال"حال التكلم والإخبار" يحدد دلالة اللفظ بالسياق الذي يرد فيه، وهو ما سبق وما يلحق اللفظ فإن في هذا إشارة واضحة إلى سياق النص الذي يحدد الدلالة في المتعدد.

لم يكن انصراف النحاة إلى الإعراب وحده – وإن كانوا معنيين به عناية فائقة فقد احتوت كتب النحو على إشارات عميقة لغير قرينة الإعراب من القرائن النصية الأخرى، كما احتوت على إشارات مهمة إلى الترابط في سياق الجملة أو الجمل، مما يعني وعيهم بسياق النص وإن لم يشيروا إليه بلفظه صراحة من خلال اهتمامهم بتحليل الجملة من حيث ترتيبها وارتباط ألفاظها وتمامها فأشاروا إلى الرتبة وأهميتها دلاليا والعناية بالرتبة إما مراعاة لحال المتكلم أو لحال المخاطب أو للموقف بكامله.

كما أكد اللغويون على أن الحذف لا يتم إلا بوجود قرينة دالة على المحذوف من خارج النص أو الجملة وهي الحال كما يقول" ابن جني":" قد حذفت العرب الجملة والمفرد

[1] أبي بكر الأنبا ري: الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960، ص: 06.

والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[1] ، فوجود الدليل أو القرينة يمنع عن التكليف في تأويل علم الغيب من أجل معرفته ، و لكن الدليل يهدينا مباشرة إلى المحذوف و إذا كان سياق النص دل على المحذوف أو بعبارة النحاة أغنى عن المحذوف في الأمثلة السابقة فإن "الرماني"، ذهب إلى أن مراعاة الموقف تتحكم في الحذف في باب التحذير" لأن التحذير مما يخاف منه وقوع المحذوف، فهو موضع إعجال لا يحتمل تطويل الكلام لئلا يقع المخوف بالمخاطب قبل تمام الكلام"[2] .

فمراعاة الموقف مهم جدا عند الحذف و الاختصار في الكلام لأن الإخالة و الإخناب قد تؤدي إلى وقوع المخوف بالمخاطب قبل إكمال الكلام و لهذا كان الحذف و الاختصار هو الأحسن في هذا الموقف.

و لأنه قد يكون في دلالة الموقف ما يجعلها تنوب مناب اللفظ حتى تصبح في حكم الملفوظ.

- و ليست القرائن الحالية المشار إليها إلا الموقف، فهيئة المتكلم واحدة من مكونات سياق الموقف الشيء أولاها النحاة عنايتهم[3] .

- و إجمالا هذه بعض الإشارات الدالة على إدراك النحاة للسياق و تعويلهم عليه لفهم دلالة الجملة ،و لكن السياق عندهم يعتمد عليه خاصة لتقدير الناقص أو لتحديد المتعدد فعلا.

و بالتالي فإن إشارات النحاة للسياق أو القرينة الدالة كان ظاهرا و بصورة واضحة خاصة عند الحذف.

---

(1) ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1416هـ، ج2 ص: 326.

(2) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1295هـ، ج1، ص: 268.

(3) ينظر: ابن جني: الخصائص، ج1، ص: 238.

لقد كان المفسرون من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، و استعانوا به باعتباره وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم و سوره و لذلك وضعوا شروخا للمفسر يتمكن من خلالها تفسير القرآن تفسيرا سليما، و لعل أوضح ما يصلح لبيان أن المفسرين اعتنوا بالمخاخب و حاله و اعتباره في التفسير هو حديثهم عن المكي و المدني حيث تناولوا بالإشارة أماكن نزول الآيات، و إذا كان يفهم من النسبة إلى مكة و المدينة المكان ، فإنه يفهم منه أيضا حال المشمول بهما (أهل مكة و أهل المدينة كما يفهم منه زمان نزول القرآن باعتبار الهجرة و ما قبلها) [1].

ـ و قد كان للمفسرين في معرفتهم للمكي و المدني خريقان نقلهما السيوخي في الإتقان[2]:

الأول منهما سماعي و معرفته كمعرفة أسباب النزول، و الآخر قياسي، و هو مبني على دراسة نصية موضوعية لما ضمه المسموع من المكي و المدني، فلما عرف موضوعاهما سماعا قيس ما لم يسمع على أسلوب ما، سمع بعد تحليله من حيث الصياغة و المضمون.

فالتحليل النصي لسور القرآن الكريم يستوجب المعرفة المسبقة بعناصر لها ارتباط مباشر بالسياق كأسباب النزول، و مكانه.

ـ كما أشار الأصوليون إشارات مقتضبة إلى السياق، و لكنها واضحة في بيان أهميته لفهم النص.

---

[1] ينظر: د/ ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى، 1423، مكة المكرمة، ط1 ص: 112.

[2] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج1، ص: 275.

و من خلال ما سبق يتأكد لنا اهتمام علماء العرب بالسياق و ضرورة مراعاته من أجل توضيح المعنى و بخاصة عند البلاغيين و هو ما تلخصه العبارة الشهيرة "لكل مقام مقال" كما اهتم به النحويون خاصة لتقدير المحذوف ، إذ كان السياق هو السبيل للوصول إليه، كما اهتم به المفسرون عند تحليل أي القرآن الكريم و سوره من خلال معرفة أسباب النزول و التي لها علاقة كبيرة بمحتوى السورة، و كذا مكان نزولها لأن السور المكية تختلف عن المدنية في جوانب عديدة، و بالتالي فتفسيرها يكون مختلفا هو الآخر.

بـ السياق عند المحدثين:

ـ لقد عرف علماء الغرب السياق شأنهم في ذلك شأن العرب، فخصصوا له العديد من الدراسات المرتبطة به نظرا لأهميته في إبراز المعنى، و سنحاول في هذه الصفحات التالية التطرق إلى نظرة العلماء الغربيين للسياق، بدءا ب "دي سوسير" باعتباره رائد الدراسات اللغوية الحديثة، و وصولا إلى" فيرث" باعتبار أن مساهماته و آرائه كان لها عظيم الأثر في هذا المجال.

يرى" دي سوسير" " أن مفهوم السياق لا ينطبق على كلمات فرادى فحسب، و إنما على مجموعات من الكلمات و الوحدات المركبة مهما بلغت من الطول و التنوع كالكلمات و المشتقات وأجزاء الجمل و الجمل الكاملة"[1].

فدلالة السياق عند"دي سوسير" لا تتأتى من الكلمات منفردة بل يجب أن تكون مع مجموعة من الوحدات بغض النظر عن خول هذه الوحدات أو تنوعها.

و لعل أهم ما تناوله" دي سوسير" لتأكيد أهمية السياق تظهر في قوله " و الكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، و لما هو لاحق بها، أو لكليهما معا"[2].

ـ إذ يؤكد على أن معنى الوحدة اللسانية لا يظهر و لا تكتسب قيمتها إلا من خلال ربطها أو مقابلتها بما هو سابق عليها أو لا حق لها، أو بمراعاتهما معا، و في هذا تأكيد على ضرورة مراعاة السياق.

ـ و لقد أكد" فندريس"، أن الكلمة المفردة لها معنى معجمي أساسي و يرى أن " الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات ... إنما هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في

---

[1] فرديناند سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وزميليه، الدار العربية للكتاب، 1975، تونس، ص: 186.

[2] المرجع نفسه، ص: 186.

كل مرة تستعمل فيها جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، و السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، و السياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، و هو يخلق لها قيمة حضورية"[1].

فالسياق يعطي للكلمة الواحدة معان متعددة بناء على السياق الذي توضع فيه ولكنها دلالات مؤقتة تزول بزوال السياق المحيط بها، كما أن السياق يضفي عليها دلالات جديدة و يخلصها من الدلالات الماضية المتراكمة في الذاكرة والتي تتميز بالثبوت والاستقرار، وفي هذا تأكيد على أهمية السياق.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن السياق عند" دي سوسير" و"فندريس" لا يتجاوز عندهما السياق اللغوي أي علاقة الوحدة المعجمية بغيرها في متوالية نصية تتسم بالخطية.

وقد أدرك" مالينوفسكي" أهمية العلاقة المتمثلة بين النص والسياق وأنه ينبغي معرفة السياق حتى نتمكن من تفسير النص وفهمه، وما يؤكد ذلك بوضوح هو قوله:" الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطا لا ينفصم، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ"[2]، فالكلام والسياق ـ سياق الموقف ـ مرتبطان ارتباطا وثيقا لدرجة أنه لا يمكن أن نفصل بينهما كما أن سياق الموقف مهم جدا لفهم دلالة ومعاني الألفاظ.وإذا كانت المكونات الدلالية لأي نص لا تظهر إلا من خلال السياق حيث يصرح "فيرث"(firth) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة سواء كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية ، وهي ما أخلق عليها" فيرث" سياق الموقف، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات

(1) فندريس: اللغة، تر:عبد الحميد الدواخلي وزميله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص: 254.
(2) د/ علي عزت: اللغة ونظرية السياق، مقال في مجلة الفكر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ع 76 ، 1971 ، ص: 22، نقلا عن كتاب دلالة السياق لـ: د/ ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ص: 186.

أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها [1].

ونرى أنه من الطبيعي أن يمثل السياق دورا بارزا في تحديد معنى النص، ومن ثم تحديد تماسكه، وذلك لأن اللغة وليدة الاحتكاك في المجتمع فهي بطبعها اجتماعية ومن ثم فالمجتمع يحيط باللغة وبيان معناها بالتأكيد يرجع إلى المجتمع ويوضح " د/ صبحي إبراهيم الفقي" هذه العلاقة بالرسم التالي: [2]

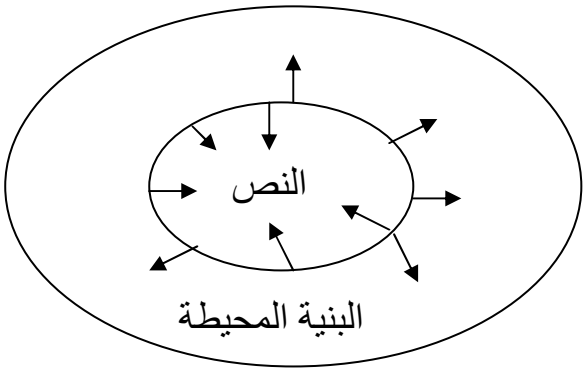

[1] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط2، 1977، ص: 28، 29.
[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 106، 107.

ويذهب "برأون" و"يول" (1983) كإخار عام إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب(والسياق لديهما يتشكل من المتكلم والكاتب والمستمع القارئ، الزمان والمكان) لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين[1].

إلا أن السياق ليس جهازا يمكن للملاحظ الخارجي الإحاخة به، بل يجب النظر إليه عبر التصورات (المتباينة في كثير من الأحيان) التي يتصورها المشاركون، فلكي يسلك هؤلاء السلوك المناسب يجب عليهم باعتماد إشارات متنوعة استكشاف نوع الخطاب الذي يندرجون وينخرخون فيه[2].

بناءا على ما سبق تأكد لنا أهمية السياق ودوره البالغ الأهمية في تحقيق انسجام النص بصفة خاصة، فمراعاة السياق عنصر مهم جدا للحكم على تماسك النص.

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 52.
(2) ينظر: دومينيك مونقانو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 27.

دور المتلقي في الحكم على تماسك النص:

إن أركان النص كثيرة منها: المتلقي، بل لعله أهمها فهو المرآة التي تعكس لنا الوجه الثاني للنص ولهذا لم يغفل علماء اللغة وبخاصة منهم علماء النص عن دوره فالنص حوار قائم بين قائل النص والنص والمتلقي، وقد أكد على أهميته مقولة "بارت":" ... إن النص مفتوح، ينتجه القارئ في عملية مشاركة لا مجرد استهلاك، هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف..." وبالتالي فعلماء النص يجعلون للقارئ مكانا جوهريا في عملية التفسير لا يقل عن مكان أو دور المنتج[1].

فالنص إذا منتج من خرف الكاتب أو المتكلم الأصلي وهذا إنتاج أولي وبما أنه مفتوح، فإن فهم المتلقي للنص وتأويله له يعتبر بمثابة عملية إنتاج ثانية لأنه ليس مجرد مستهلك سلبي بل يعتبر مساهما في عملية الإنتاج بفعل القراءة التي لا تبتعد عن بنية النص.

فالقارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى، لأن النص لم يكتب إلا لأجله" فالنص ليس له وجود إلا عندما يتحقق وهو لا يتحقق إلا من خلال القارئ، ومن ثم تكون عملية القراءة هي التشكيل الجديد لواقع مشكل من قبل، هو العمل الأدبي نفسه"[2]

فالقارئ هو الوحيد القادر على إثبات وجود النص وتحقيقه، والقارئ المقصود هنا هو الذي يدرك خبيعة المنتج وخبيعة النص والوسائل المستعملة في النص وسياقه، والذي يدرك كل هذه العناصر نطلق عليه اسم القارئ أو المتلقي النموذجي أو المثال إن صح

(1) حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 112.
(2) نبيلة إبراهيم: القارئ في النص، مجلة فصول، عدد الأسلوبية، مجلد5، ع1، ص: 102.

التعبير، فكم من قارئ لا يفهم ما يقرأ وكم من قارئ يفهم جزءا مما قرأ، وكم من قارئ يفهم ما قاله أو كتبه المنتج كله[1].

فالمتلقي للنص إذا ليس على إخلاقه بل يجب أن تتوفر فيه الكفاءة التي تمكنه من استيعاب النص وتفكيكه، وتتمثل تلك الكفاءة في معرفة لغة النص وأسلوبه وسياقه والقارئ الذي تتوفر فيه هذه الكفاءة هو المقصود، لأنه القادر على الحكم على تماسك النص من عدمه .

[1] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 111، 112.

البنية الإحالية للضمائر:

تلجأ العربية إلى الربط بواسطة لفظية حين تخشى اللبس في فهم الإنفصال بين معنيين أو في فهم الارتباط بينهما، والواسطة اللفظية إما أن تكون ضميرا منفصلا وإما متصلا، وما يجري مجراه من العناصر الإشارية، كالاسم الموصول واسم الإشارة وإما أن تكون أداة من أدوات الربط.

"وليس الربط بالضمير كالربط بالأداة، فوظيفة الربط بالضمير ناشئة مما سبق الضمير من إعادة الذكر، وفي هذا تعليق وإئتلاف وربط"[1]

وعن هذا الحديث يقول "سيبويه" (ت 180هـ):" وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضمر إسما بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه"[2]

كما تحدث عن التماسك على مستوى الجملة الواحدة وعن قوة التماسك بين المبتدأ وخبره حيث يقول:"... وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الإسم المبتدأ أو المبني عليه، وهو قولك: عبد اللّه أخوك، وهذا أخوك"[3] فنلاحظ أن التماسك والترابط القائم بين المبتدأ (عبد اللّه) وخبره (أخوك) لما يحمله الثاني من علاقة المرجعية بواسطة الضمير(الكاف) الذي يربطه بالمبتدأ.

وقد قسم القدماء الضمائر إلى نوعين: متصل ومنفصل ؛" فالمتصل ما لا ينفك عن إتصاله بكلمة، كقولك: أخوك ،وضربك ،ومر بك وهو على ضربين بارز ومستتر، فالبارز ما يلفظ به كالكاف في أخوك والمستتر ما نوي كالذي في: زيد ضرب، والمنفصل ما جرى مجرى المظهر في استبداده كقولك: هو أنت"[4]

(1) مصطفى حميدة، نظام الربط والارتباط في تركيب الجمل العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان بيروت- لبنان، ط1، 1997، ص: 155.
(2) سيبويه، الكتاب، ج1، ص:278.
(3) المرجع نفسه، ص: 278.
(4) المبرد: المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1399هـ، ج4 ص: 128.

فهذه الألفاظ- كما ذكرنا- قامت مقام ما يكنى بها عنه وقد قال شارح كتاب المفصل أن " لا فرق بين المضمر والمكنى عند الكوفيين، فهما من قبيل الأسماء والمترادفة فمعناهما واحد، وإن إختلفا من جهة اللفظ أما البصريون فيقولون أن المضمرات نوع من المكنيات فكل مضمر مكنى، وليس كل مكنى مضمر"[1]

ولما كانت الضمائر مع غيرها من عناصر الإحالة تقوم بدور فعال في تماسك النص، لذا أولاها علماءه أهمية بالغة في دراساتهم، فهي تقوم مقام الشخوص المشاركة في عملية التلفظ ، وإذا نظر إليها من زاوية التماسك أمكن التعبير فيها بين أدوار الكلام(speach roles) التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم ،والمخاطب[2]

إذا أريد تشكيل المعنى وإبرازه نعتمد في ذلك على وضع الضمائر داخل النص إذ أن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي، في كونها تحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النص(مرجعية سابقة) وإذا وقعنا في غموض الإحالة لجأنا إلى السياق الخارجي وذلك لأن سياق المقام في الخطاب يتضمن (سياقا للإحالة) وهو تخيل ينبغي أن يبنى من النص نفسه، بحيث أن الإحالة داخله يجب أن تكون نصية[3]

ومن هنا ندرك أهمية الضمائر في الإحالة وفي الربط بين أجزاء الجملة الواحدة أو النص ولعل المقاطع التالية من الرواية تؤكد ذلك:

أ- الضمائر البارزة المنفصلة:

الضمير البارز هو ما استقل بالنطق ولم يتصل بغيره[4] ومثاله ما وظف في هذه المقاطع:

(1) الزمخشري، المفصل في صفة الإعراب، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص: 166.
(2) ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 117.
(3) Halliday. Hasan, cohesion in English, p: 50.
(4) سعد كريم الفقي، قواعد اللغة العربية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2008، ص: 17.

" من الذي ينكر أنه هو الذي علم الشعب البلقاني دروس الوطنية الشريفة العالية"[1]

حيث أحال ضمير الغيبة المنفصل(هو) قبليا إلى الرجل النقي الصالح "الأسقف أتين".

" إن الأمة التي ترضى بضياع حريتها واستقلالها وتقبل أن تضع يدها في يد غاصبها إنما هي أحط الأمم وأدناها، وأحقها بالزوال والفناء"[2]

فقد أحال ضمير الغائب المؤنث"هي"قبليا إلى كلمة الأمة، والأمة المقصودة هنا هي الأمة التي وظفت بأنها ترضى بضياع حريتها واستقلالها...

" لأنهم يعلمون أن قطرات الدماء التي يبذلونها في سبيل حريتهم واستقلالهم إنما هي المداد الأحمر الذي تسجل لهم به في صفحات تاريخهم آيات المجد والفخار"[3]

فقد أحال ضمير الغائب المؤنث قبليا إلى"قطرات الدماء"وربطتها بما جاء بعديا فكانت تلك القطرات من الدماء بمثابة المداد الأحمر الذي به تسجل به في صفحات تاريخهم آيات المجد والفخار، فكانت الجمل مرتبة متناسقة.

ثم تتواصل الإحالة القبلية لـ " لأسقف أتين" رجل الدين التقي الصالح من خلال المقطع التالي:

" من منا يجهل أنه هو الذي استطاع وحده من بين أبناء البلقان جميعا أن يقف أمام ملكه وقفة الأسد الهصور"[4]

فقد خلق الضمير(هو) من خلال إحالته القبلية نوعا من الاستمرارية الدلالية، وذلك أنه وبعد طول حديث من المتكلم، "الجندي الروماني أورش" عاد ليذكر بأمجاد

(1) المنفلوطي، في سبيل التاج، دار النفيس، الجزائر، ص: 07.
(2) المرجع السابق، ص: 08.
(3) المرجع نفسه، ص: 08.
(4) المرجع نفسه، ص: 08.

الرجل ومكانته وبدوره البارز في استنهاض الهمم واستثارة حفائظ النفوس وبالتالي كان تماسك النص دلاليا وسطحيا.

" استمعوا مني أيها القوم كلمة واحدة هي فصل الخطاب في قضيتكم هذه ولا أطلب منكم أن تسمعوا مني سواها"[1]

فقد أحال ضمير الغائب المؤنث "هي"قبليا إلى كلمة "كلمة واحدة" ووصفها بأنها فصل الخطاب ولا يريد منهم الضابط "ألبير" إلا أن يسمعوا منه هذه الكلمة ولا يسمعون سواها، حيث ربطت ما قبلها بما جاء بعدها.

" أنتم تعلمون جميعا صلتي بالقائد "برانكومير" مكانتي عنده"[2]

فالجماعة المخاطبين في هذا المقطع هم القوم الذي ذكرت في موضع سابق من الرواية، إذ خاطبهم الضابط "ألبير" وأخبرهم بأنهم يعلمون أيضا مكانته عنده، فأفاد الضمير المنفصل"أنتم"الربط بين أجزاء النص وبأن الخطاب كله موجه إلى قومه كلهم وليس إلى فرد واحد فقط.

" إن "الأمير برانكومير" اليوم غيره بالأمس وإن تلك النفس العالية المرتفعة التي كنت تعرف بالأمس مكانها بين جنبيه قد استحالت اليوم إلى نفس تواقة متطلعة تصبو للمعالي وتفتتن بالعروش، وأنه هو الذي يدعو بنفسه إلى نفسه"[3]

لقد أحال ضمير الغائب مفرد قبليا إلى كلمة " الأمير برانكومير" وربطتها بما بعدها حيث أصبح هذا القائد ذو نفس تواقة متطلعة تصبو للمعالي، كما أنه أصبح يدعو لنفسه بنفسه.

" وسمع الخطيب إسم "قسطنطين" يتردد مرارا في أفواه الهامسين، فصاح في القوم" أنتم مخطؤون جميعا فيما تذهبون إليه، فإن ابن قائدنا وزهرة شبيبتنا ضابط

(1) المرجع السابق، ص:10.
(2) المرجع نفسه، ص: 10.
(3) المرجع نفسه ، ص: 10.

فرقتنا أعلى همة مما تظنون" فصرخ "لازار": قل من هو الشخص الذي تريد؟"[1]

فقد وظف الضمير المنفصل في المقطع السابق مرتين، أحال في الأولى قبليا إلى كلمة "القوم" وكان بصيغة جمع المخاطبين حيث خاطب "أورش" كلا من الضابط "ألبير" والشعب الذي كان حاضرا في ذلك الموقف، وأكد لهم بأن الاستنتاج الذي توصلوا إليه من أن "قسطنطين" هو السبب في التغير المفاجئ الذي أصاب القائد "برانكومير"- والده- قد كان خاطئا كليا، مما جعل "لازار" يتحمس أكثر لمعرفة الشخص المسؤول عن هذا التحول والذي جعل من "برانكومير" رجلا صغير النفس مبتذلا.

حيث أحال ضمير الغائب المفرد "هو" بعديا إلى كلمة "الشخص" وربطها بالأحداث السابقة عليها.

" لأنه لم يكن موسيقارا بوهيميا كما زعم، ولم يكن اسمه "بانكو" كما يسمونه، بل هو الضابط المشهور "إبراهيم بك" أحد أركان حرب القائد التركي العظيم"[2]

لقد وظف ضمير الغائب المفرد للإحالة قبليا إلى كلمة"موسيقارا بوهيميا" فالذي إدعى بأنه موسيقارا مسكينا إنما كان الضابط المشهور" إبراهيم بك"، حيث فسرت وعرفت هذه الجملة بالضابط وربطتها بما سبقها في أول المقطع من خلال ضمير الغائب"هو".

" وكانت لا تزال تتحدث في مجالسها العامة والخاصة بنبوءة قديمة تنبأ لها بعض المتنبئين ومجملها أن كاهنا عرافا دخل منزل أبيها وهي طفلة لعوب لا تزال تحوم حول مهدها، فنظر إليها وقال لأمها: إن ابنتك هذه ستكون ملكة عظيمة الشأن في مستقبل أيامها"[3]

(1) المرجع السابق ، ص:11.
(2) المرجع نفسه، ص: 11.
(3) المرجع نفسه، ص: 12.

فقد أحال ضمير الغائب المؤنث"هي" إلى إسم سابق عليها في النص وهو إسم المرأة البيزنطية التي تزوجها والد "قسطنطين" والتي تسمى "بازيليد"الفتاة الجميلة الساحرة.

" وربما كان اهتمامها بهذه النبوءة وتصديقها إياها هو السبب في قبولها الزواج من شيخ هرم"[1]

ففي هذا المقطع وظف الضمير المنفصل مرتين، الأول وهو "إياها" والذي أحال قبليا إلى كلمة النبوءة، أما الثاني فهو الضمير المنفصل الغائب المذكر المفرد"هو" والذي أحال قبليا إلى "وربما كان اهتمامها بهذه النبوءة وتصديقها إياها" فالسبب في قبول"بازيليد" الزواج من القائد "برانكومير""الشيخ الهرم"- رغم حسنها وجمالها- إنما يرجع إلى إهتمامها بنبوءة الكاهن العراف الذي دخل بيت أبيها وهي خفلة صغيرة، ولولا تصديقها لها ما كان لمثلها أن يقبل الزواج بمثله.

" ها قد بدأت تتحقق نبوءة ذلك العراف الخبير التي تنبأ لي بها، وما هو بالكاذب ولا المتخرص"[2]

فقد أحال الضمير"هو" قبليا إلى كلمة "العراف الخبير" وربطتها بما بعدها، فقد تأكدت "بازيليد" بأن الكاهن الذي تنبأ لها بأنها ستكون عظيمة الشأن في مستقبل أيامها ما هو بالكاذب ولا المتخرص لأن نبوءته قد خيل إليها أنها قد بدأت تتحقق على يد هذا الشيخ الهرم الذي قبلت الزواج به لأجلها رغم جمالها وصغر سنها.

" فركع "قسطنطين" بجانبها وسأل أباه العفو عنها، وقال له: إنني قد أنقذت حياتها بالأمس، فأنقذ أنت حياتها اليوم"[3]

فقد أحالنا ضمير المخاطب المفرد"أنت" مقاميا داخل النص أي إلى السياق، وهي وظيفة ضميري المخاطب والمتكلم على حد سواء، والمخاطب المقصود هنا هو القائد

(1) المرجع السابق، ص: 12.
(2) المرجع نفسه، ص: 13.
(3) المرجع نفسه، ص: 14.

"برانكومير" فقد سأله "قسطنطين" أن ينقذ حياة تلك الفتاة النورية المسكينة اليوم كما فعل هو ذلك بالأمس.

"إننا الآن في حرب مع عدو قاهر جبار تنقم منه جوره وظلمه واستضعافه إيانا واستطالت علينا"[1]

لقد وظف الضمير المنفصل"إيانا" في المقطع السابق، وكان بصيغة جمع المتكلمين، وبالتالي فقد أحال مقاميا داخل النص، والمقصود بـ"إيانا" هنا كل الحاضرين في الموقف أو السياق الذي كان يتحدث فيه "قسطنطين" فما في ذلك شعب البلقان بكامله ولعل الحاضرين في ذلك المقام كان أبرزهم والده القائد "برانكومير"و زوجته الملكة "بازيليد" و تلك الفتاة النورية التي كان يريد قتلها باعتبارها أسيرة عندهم، إضافة إلى المتحدث بصيغة جمع المتكلمين و هو "قسطنطين"، فقد أفاد 'الضمير"إيانا" التواصل الدلالي لصيغة الجمع، و بأنهم جمع في حال واحدة و إحساس واحد و هو الشعور بظلم العد و القاهر وجوزه و استضعافه لهم.

" إنما الإثم على الذين يقترفون الذنوب وهم يعملون مكانهم من الرذيلة"[2]

فقد أحال ضمير الجمع الغائب فيليا إلى" الذين يقترفون الذنوب"فالإثم حسب رأي "قسطنطين" لا يقع إلا على الذين يقترفون و يذنبون ذنبا و هم مدركون لمكانه من الرذيلة، والواو هنا واو الحال و قد أفاد مع الضمير المنفصل "هم" الربط بين خرفي المقطع السابق، إضافة التواصل الدلالي بصيغة الجمع دائما من حيث الشكل و المضمون.

" فقالت له مرة وهي تحاوره: إنك تحدثني يا مولاي كأنك لا تعرف من أنا"[3]

فقد وظف الضمير المنفصل في المقطع السابق مرتين، الأولى كان ضمير الغائب المفرد"هي"وفي هذا إحالة قبلية إلى كلمة "الفتاة المسكينة" والتي ذكرت في موضع سابق وبعيد على سطح النص، ولكن الضمير"هي" جعل التواصل بين

(1) المرجع السابق ، ص: 15.
(2) المرجع نفسه ، ص: 16.
(3) المرجع نفسه، ص: 18.

مقاخ الرواية ممكنا جدا، والثانية كان ضمير بالمتكلم المفرد"أنا" والذي أحالنا إلى مقام النص وسياقه ولكنها تبقى إحالة داخلية للنص، ذلك أن المتحدث هنا ليس ذات الكاتب، إنما كان خطابا سرديا وظف ضمير المتكلم "أنا" والمتحدث دائما هي تلك الفتاة المسكينة.

" لا تصدقي يا "بازيليد" شيئا مما يقولون، فـ"قسطنطين" أبـرّبي وأعظم حبا وإخلاصا من أن يعترض سبيل رغبة يعلم أني أرغبها واصبر إليها، ولا أعلم أنه يبغضك، أو يضمر لك في نفسه شيئا من الشر الذي تذكرين، بل هو يحترمك، و يجلك إجلاله إياي..." [1]

فقد وظف الضمير المنفصل في المقطع السابق مرتين، الأولى كان ضمير الغائب المفرد "هو" والذي أحال قبليا إلى كلمة"قسطنطين" والثاني ضمير النصب المنفصل"إياي" والتي أحالت إلى المقام أو سياق النص لأنه جاء بصيغة المتكلم فـ"برانكومير" يفند مقولة "بازيليد" والتي فحواها أن "قسطنطين" يضمر لها الشر والبغضاء، ويؤكد لها أنه يحترمها و يجلها إجلاله إياه.

" أما أنا فإني خادمك الأمين المخلص القائم بتنفيذ أوامرك وتجييش الجيوش لك و إمدادك بما تحتاج إليه من العدة والمؤونة، وأعلم أن الأمة لم تضف عليك بالعرش والتاج ولا رأت أن أحدا أجدر بهما منك، ولكنها ظنت بك أنت وأنت حصنها المنيع(...) أن يشغلك الملك عن شأنك الذي أنت فيه" [2]

فقد وظف الضمير"أنا" الذي أحال مقاميا داخليا إلى كلمة "الملك" السابق عليها في أول المقطع من الرواية، والذي قام بزيارة "برانكومير" في قصره كما وظف أيضا ضمير المخاطب"أنت" ثلاث مرات في المقطع السابق من الرواية وفي ذلك إحالة مقامية داخلية إلى القائد "برانكومير" ،في المرة الأولى، وفي المرة الثانية أفاد التأكيد

(1) المرجع السابق ، ص: 21.
(2) المرجع نفسه ، ص: 22، 23.

والتعظيم لشخص"برانكومير" ووصفه بأنه حصن الأمة المنيع ودرعها الواقية، وأحال في المرة الثالثة إلى القائد "برانكومير" دائما، فتوظيفها على سطح النص أفاد استمرار الدلالة المتعلقة بالقائد "برانكومير" من خلال الإحالة مرة والتأكيد مرة أخرى فكان لها كبير الأثر في الربط بين أجزاء النص المتباعدة من حيث الشكل والدلالة.

" فكان جزائي عندك أن ضننت علي بالعرش الذي أنا عماده وملاكه وحامل قوامه وعمده"[1]

فقد أحال الضمير المنفصل"أنا" إحالة مقامية داخلية إلى شخص القائد المتحدث في هذا المقطع، وهو "برانكومير"،حيث ـ وبعد خول حديث عن فضله الكبير على الأمة وانتصاراته المجيدة الخالدة ومعاركه الرامية التي استمات فيها للدفاع عن وخنه وحرية شعبه، يستأنف حديثه قائلا بأن كان جزاؤه أن يبخل عليه بتاج الملك الذي يرى بأنه أحق وأجدر به من الملك الذي توجوه به وهو التقي "الأسقف أتين".

"أما حمايتكم إيانا من أعدائنا فليس لنا على وجه الأرض عدو سواكم فاحمونا من أنفسكم قبل أن تحمونا من غيركم"[2]

فقد وظف ضمير النصب المنفصل "إيانا"بصيغة جمع المتكلمين، وفي هذا إحالة مقامية داخلية في النص، فـ" بازيليد" كانت تفهم جيدا نوايا الجاسوس التركي، وكانت تتحدث بصيغة الجمع فهي والأمة جميعا كانوا يعلمون أنه لا عدو لهم على وجه الأرض غير أعدائهم الأتراك وذلك في ردها على قول الجاسوس"ولنحميكم من أعدائكم المجريين الذين يطمعون في امتلاك بلادكم واغتيالها"[3]

(1) المرجع السابق ، ص: 24.
(2) المرجع نفسه، ص: 27.
(3) المرجع نفسه ، ص: 26.

ثم تواصل "بازيليد" حديثها قائلة:" وهب أن المجريين أعداؤنا كما تقولون فهل يطمعون في شيء أكثر مما تطمعون فيه أنتم؟"[1]

فقد وظف في المقطع السابق ضمير الرفع المنفصل بصيغة جمع المخاطبين "أنتم" وفي ذلك إحالة مقامية داخلية إلى الجاسوس التركي "بانكو" وكل الأتراك الذي يسعون جاهدين لخداع عقلها والاستيلاء على تربة البلقان ،فقد أفاد الضمير "أنتم" الربط بين أجزاء المقطع السابق وهذا المقطع وأن المخاطب دائما والمقصود بالحديث هم الأعداء التركيين، فأكدت له "بازيليد" بأن الأعداء الذين يزعم بأنهم خامعين في البلقان لا تختلف ولا تبتعد مطامعهم عن مطامعكم أنتم يا أعداءنا التركيين.

" ولتعلم أن الذي أسعى لإعطائك إياه وتسليمك زمانه إنما هو الوخن بأجمعه: أرضه وسماؤه وبره وبحره وخيراته وثمراته وحرية أهله وسعادتهم وأن الثمن الذي أتقاضاه في سبيل ذلك ثمن بخس ضئيل لا يزيد عن كرسي من الخشب مملوء بالذهب يسميه الجهلاء عرشا وهو في البلد المغلوب على أمره المسلوب حريته واستقلاله سجن ضيف (...) فأنا أبيعك هذا الوخن الثمين وآخذ منك ذلك الكرسي الحقير، وأنا أعلم قيمة ما أعطي وقيمة ما آخذ"[2]

لقد ارتأيت نقل هذا المقطع رغم طوله نظرا لأنه يزخر بضمائر رفع ونصب منفصلة متقاربة من حيث موقعها في المقطع فقد تنوعت بين "إياه، هو، أنا" ولكل إحالته على سطح النص.

فقد أحال الضمير"إياه" بعديا إلى كلمة "الوخن" كما أن الضمير المنفصل "هو" أحال بعديا إليها كذلك وفي هذا تأكيد على أن "بازيليد" كانت تدرك وتعي جيدا قيمة الشيء الذي ستعطيه وتمنحه للأعداء، أليس هو الوخن بأرضه وسمائه وبره وبحره وخيراته وحرية أهله؟، وقد أحال الضمير المتصل"الهاء" قبليا إلى كلمة "الوخن"

(1) المرجع السابق، ص: 27.
(2) المرجع نفسه، ص: 28.

كذلك ولو حذفنا ضمير الغائب المنفصل "هو" لكانت الجملة مشتتة من حيث المعنى وذلك أن هذا الضمير أفاد تأكيد الشيء الممنوح وقيمته، كما أحال الضمير "هو"في المرة الثانية قبليا إلى "كرسي مملوء بالذهب" وربطها بما بعدها، فهذا الكرسي الذي يسميه الجاهلون عرشا، وهو في حقيقته لا يعدو كونه سجنا ضيقا إذا سلب البلد حريته واستقلاله، ثم نجد الضمير"أنا)" المتكلم، والذي وظف مرتين وأحال مقاميا داخليا إلى ذات المتكلم وهو "بازيليد" وهي بذلك تؤكد بأنها هي من سيبيع هذا الوخن الثمين، وبأنها تعلم قيمة ما تأخذ وقيمة ما تعطي.

" الحب شقاء كله، وأشقى المحبين جميعا أولئك الذين يحبون بلا أمل ولا رجاء!

إنهم يذرفون دموعهم وهم عالمون أنهم يسكبونها في أرض قاحلة جدباء، ويسهرون لياليهم وهم يعتقدون أن ظلمتها لا تخسر عن فجر منير أو صبح سعيد "[1]

ففي المقطع السابق وظف الضمير المنفصل لجمع الغائبين "هم" وفي المرتين معا أحال قبليا إلى كلمة "أشقى المحبين"، وربطتها بما بعدها فهم يعلمون أنهم يذرفون دموعهم في أرض قاحلة كما أنهم يسهرون لياليهم الطوال وهم يعتقدون بأن الصبح لن ينجلي أبدا.

والضمير "هم" مع "الواو" أفاد ربط الجملة الحالية بما سبق.

" أو فتاة بائسة مسكينة كتب لها شقاؤها أن يعلق قلبها بعظيم من عظماء الحياة المدللين بأنفسهم ومكانتهم، فلا تستطيع الصعود إليه في سمائه وليس من شأن مثله أن يهبط إليها في أرضها، فهي تبكيه ولا يشعر ببكائها"[2]

فقد أحال الضمير المنفصل"هي" قبليا إلى كلمة " فتاة بائسة مسكينة" وأكد لنا استمرار الحديث عن نفس الفتاة التي ذكرها في أول المقطع، والتي وصفها بأنها بائسة مسكينة، وأكثر الناس شقاء في هذه الحياة، لأنها أحبت واحدا من

(1) المرجع السابق، ص: 29.
(2) المرجع نفسه، ص: 30.

عظماء الحياة، ولا أمل لها في الفوز به ... فهي تبكيه دائما، ولكنه لا يشعر ببكائها، حيث أفاد الضمير"هي" الربط بين أجزاء النص المتباعدة، وجعلها كلا موحدا شكلا ودلالة.

" فكانت إذا جن الليل وأخذت الجنوب مضاجعها جلست في فراشها تساهر الكوكب وتطالعه، وتزفر زفرات حرى موجعة، وهي لا تعلم ماذا تشكو ولم تبكي!" [1]

لقد تواصل التماسك الشكلي على سطح النص، وذلك من خلال الضمير المنفصل"هي" والذي أحالنا قبليا إلى "الفتاة المسكينة" التي سبق ذكرها قبل مقاطع عديدة من الرواية، فهذا الضمير أحالنا قبليا وربط بين أجزاء النص المتباعدة، فبعد أن وصفت لنا حالة "ميليتزا" وعذابها وشقاؤها الذي تعانيه وتكابده من هذا الحب استمرت الإحالة إليها من خلال الضمير "هي" وبأنها تساهر الكوكب وتطالعه وتزفر زفرات حرى موجعة.

" قال، ولم لا تحبينها؟ قالت: لأني لا أحب صاحبها، قال: وهل تعرفينه؟ أليس هو ذلك الرجل البائس المسكين الذي يختلف إلى الأميرة من حين إلى آخر ليسمعها أناشيد قومه وأغانيهم فتعود عليه ببعض نوالها؟ قالت: إنه ليس بسائل يا سيدي ولا مسكين، بل هو الضابط العظيم "إبراهيم بك" "[2]

فقد أحال ضمير الرفع المنفصل"هو" قبليا إلى كلمة "صاحبها" فقد ظن "قسطنطين" أن صاحب النغمات الشجية التي يسمعها هو ذلك الرجل البائس المسكين فربط الضمير"هو" ما كان قبله بما جاء بعده.

ثم نجد الضمير"هو" في موضع آخر من المقطع السابق وهو يحيلنا قبليا إلى "الرجل البائس المسكين".

فهذا الرجل هو نفسه الضابط العظيم "إبراهيم بك".

(1) المرجع السابق، ص: 31.
(2) المرجع نفسه، ص: 32.

ثم استمرت الإحالة إلى ذلك البائس المسكين بعد عدة مقاطع من الرواية سردت فيها"ميليتزا" مدى معرفتها لذلك الرجل ومدى علاقتها به، وكيف أنها قضت في معسكره أسوأ أيامها وأشقاها وأكثرها بؤسا وألما، والمقطع التالي يؤكد استمرار الإحالة القبلية إليه:

" و كانت تتكلم و"قسطنطين" لاه عنها بقصة ذلك الجاسوس لا يكاد يشعر بشيء مما حوله، ثم التفت إليها وقال لها: إذن هو جاسوس متنكر!" [1]

فقد أفاد الضمير المنفصل "هو" الإحالة قبليا للغائب وهو الرجل المسكين البارز في جزء سابق من الرواية وربطها بما جاء بعده، أي: إن ذلك الرجل البائس هو جاسوس متنكر ليس إلا.

"قالت إن كنت تريد أن ترفع أمر الرجل إلى أبيك ليعرف حقيقته فاعلم أنه يعرفه حق المعرفة، بل هو أعلم به مني ومنك!"

فقد أحال الضمير "هو" قبليا إلى كلمة "أبيك" فوالد "قسطنطين" كان يعرف ذلك الجاسوس حق المعرفة، بل كان أعلم به منهما "أي قسطنطين ومليتزا"

" فإن كنت لا تزال في ريب من ذلك، فدونك الغرفة المجاورة لغرفة الأميرة فأدخلها برفق وهدوء، ودع أذنك على خصاص الباب المغلق بينهما، كما صنعت أنا قبل ساعة"[2]

فقد أفاد الضمير المنفصل"أنا" الإحالة المقامية الداخلية لذات "ميليتزا" وربطتها بما سبق عليها، وهي الأحداث التي قامت بها "مليتزا" قبل ساعة فقط من حديثها الآن، فقد دخلت الغرفة المجاورة لغرفة الأميرة، كما أنها وضعت أذنها على خصاص الباب المغلق وسمعت فحوى الاتفاق بين أبيه وزوجته والجاسوس التركي.

" إنني لا أزال على العهد الذي عاهدتك عليه مذ فارقتك حتى الساعة لم أندم ولم أتردد (...) فأنا أقدم على الجريمة إقدام الهادئ المطمئن (...) أقسمت لك بأن أخون وخني، وها أنا

(1) المرجع السابق، ص:33.
(2) المرجع نفسه، ص:34.

ذا أخونه كما أردت راضيا مستسلما لا أندبه ولا أرثى له فرضاك هو الوخن كله بل هو الدنيا بأجمعها" [1]

فقد أحال الضمير المنفصل "أنا" إحالة داخلية مقامية إلى ذات القائد "برانكومير" فهو يؤكد بأنه يقدم على ارتكاب أفضع جريمة ولكن بكل هدوء واخمئنان، وكانت العبارة السابقة عليه كلها بصيغة الضمير المستتر "أنا" أو من خلال "تاء المتكلم" التي لحقت بالفعل "عاهدتك، فارقتك"، وأفاد "أنا" الإحالة المقامية بالإضافة إلى الربط بين خرفي الجملة، فهو يقدم على الجريمة إقدام الهادئ المطمئن لأنه فارق زوجته قد عاهدها على ذلك.

كما نجد الضمير المنفصل"هو" مرتين والذي أحال قبليا إلى كلمة "رضاك" فقد اعتبر "برانكومير" أن رضا زوجته هو الوخن بل أكثر من الوخن فرضاها هو الدنيا بأجمعها وفي ذلك ربط للاحق بالسابق مما يؤكد الاستمرارية الشكلية والدلالية بين أجزاء النص.

" فتضعضع "قسطنطين" أمام هذه اللهجة الرزينة الهادئة، وجثا على ركبتيه وقال له: عفوا يا أبت، لقد أخطأت في سوء ظني بك، فأنت أشرف من أن تضع نفسك حيث أرادوا أن يضعوك "[2]

لقد أحال الضمير "أنت" إحالة داخلية مقامية ذلك أن "قسطنطين" كان يخاطب أباه، في ذلك الموقف وقال له بأنك أشرف يا أبت من أن تقدم على خيانة وخنك وتتآمر مع أعدائك لأنك قد عاهدت اللّه- قبل أن تعاهدهم- على أن تكون أمينا لوخنك ووفيا له.

ثم تواصلت الإحالة بواسطة الضمير المنفصل"أنت" ذلك أن "قسطنطين" كان يحاول إقناعه بالعدول عن الفكرة التي تجول بخاطره، وأن يراجع نفسه قبل ارتكاب أفضع جرم في الدنيا كلها.

(1) المرجع السابق، ص: 37.
(2) المرجع السابق، ص: 39.

" أسرع بإشعال النار أو عد أنت إلى قصرك وخذ لنفسك راحتها فيه ودعني أتولى عنك إشعالها(...) ، فإذا ضاع وخني وكان ضياعه على يدك أنت فقد فقدت في ساعة واحدة جميع ما أحب في هذه الحياة"[1]

فالمقطع السابق وعلى رغم التباعد الكبير بين جزأيه على سطح النص إلا أن توظيف الضمير "أنت" جعل الربط بينهما دائما ومتواصلا، فـ"قسطنطين" قد خلب من أبيه في المرة الأولى العودة إلى قصره ليرتاح ثم أخبره وبعد خول حديث دار بينهما، بأنه إذ ضاع الوخن وكان ضياعه على يدك "أنت" والتي أفادت هنا التخصيص والتأكيد فسيفقد في ساعة واحدة جميع من يحب في هذه الحياة.

" كيف يهنؤك ذلك الملك وأنت ترى أمتك المسكينة راسفة في قيود الذل والاستعباد (...)، كيف يهنؤك ذلك العيش وأنت ترى أبناء وخنك أسارى أذلاء في قبضة أعدائهم"[2]

فقد وظف الضمير المنفصل "أنت" مرتين في الخطاب السابق، وقد أفادت تحقيق الإحالة الداخلية المقامية إلى شخص "برانكومير" الحاضر في ذلك الموقف أو المقام، فقد تعجب "قسطنطين" من والده وتساءل إن كان سيهنأ والده بالملك وهو يرى أمته المسكينة راسفة في قيود الذل والاستعباد و أبناء وخنه أسارى.

والضميرين معا واقعان في صدر جملة حالية، والمقطع السابق على الرغم من تباعد جزأيه على سطح النص إلا أن المحال إليه الموحد بواسطة الضمير "أنت" جعل منهما مترابطان ومتماسكان شكلا ودلالة، ذلك أن المقصود بالمعاني السابقة كلها يبقى القائد "برانكومير".

" إنها أصوات الملائكة الأبرار يصيحون ويصخبون وهم وقوف من يدي ربهم"[3]

(1) المرجع السابق، ص:41،40.
(2) المرجع نفسه، ص: 45.
(3) المرجع نفسه، ص: 47.

فقد وظف الضمير المنفصل"هم" والذي وقع في صدر جملة حالية للإحالة القبلية إلى كلمة "الملائكة" وربطتها بما جاء بعدها، فالملائكة وقوف بين يدي ربهم لا لعبادته وإنما كانوا يصيحون ويصخبون.

" ولكن المصاب العظيم الذي عم الجيش و شمل الأمة بأسرها هو موت قائدنا العظيم "ميشيل برانكومير"، (...) أما الذي خلفه في قيادة الجيش فهو ولده الضابط الشجاع منقذ الأمة والوخن"قسطنطين برانكومير"[1]

فقد وظف ضمير الرفع المنفصل "هو" مرتين في الخطاب السابق ، إذ أحال في المرة الأولى قبليا إلى كلمة "المصاب العظيم" وفسره فيما جاء بعده، وهو موت القائد العظيم حيث ربط الضمير"هو" السابق وفسره باللاحق أما في المرة الثانية فقد أحال بعديا إلى كلمة "قسطنطين"، لأنه جاء مذكورا بعدها، وهو المقصود بتولي قيادة الجيش بعد موت أبيه.

حيث ربط"هو" السابق باللاحق في المقطع السابق، كما أكد الاستمرارية الدلالية وذلك أن "قسطنطين" ووالده كلاهما بطلان وكلاهما عظيمان.

" إنني لم أقتل أبي بل أحييته، لأنه إن كان يحيا اليوم في قلوب الناس حياة العظمة والمجد، وكان تمثاله إليها معبودا يطيف به الشعب ويقبل أركانه ويتبرك بلمسة واستلامه وكان اسمه بخغراء الأسماء الشريفة المسجلة في التاريخ- فإنما ذلك يفضل الضربة التي ضربته إياها"[2]

فقد أحال ضمير النصب المنفصل "إياها" قبليا إلى كلمة "الضربة" وأفادت بأن الفاعل أو الذي قام بضربه هو نفسه المتحدث وهو "قسطنطين"، ويرى بأن حياة المجد والعظمة التي يحياها أبوه في قلوب الناس، وتمثاله الذي هو بمثابة الإله المعبود، وباسمه

(1) المرجع السابق ، ص:50.
(2) المرجع نفسه ، ص: 52.

اللامع كل ذلك تحقق له بفضل الضربة التي تلقاها من "قسطنطين" والتي كانت سببا في اعتقاد الناس بموته الشريفة ذودا عن وخنه وأبناء أمته.

" قال: ضعي يدك على الخنجر وأقسمي به، قالت: افعل على شرط واحد، قال: وما هو؟ قالت: أن تهديني إياه بعد ذلك، قال: وماذا تصنعين به، قالت: أقتل به نفسي يوم يحل بك مكروه، فناولها إياه"[1]

ففي هذا المقطع نجد ثلاث ضمائر منفصلة: الأول وهو ضمير الرفع المنفصل"هو" والذي أحالنا قبليا إلى كلمة شرط واحد والثاني والثالث فكلاهما ضميري النصب المنفصلين "إياه" والذي أحال في المرة الأولى قبليا إلى كلمة "الخنجر" فقد خلبت "ميليتزا" من "قسطنطين" أن يهديها الخنجر بعد أن تضع يدها عليه وتقسم به.

وبعد أن عرف "قسطنطين" سبب استهدائها له، ناولها إياه فأحال كذلك قبليا إلى كلمة "الخنجر" فالمحال إليه كان واحدا.

فكان المقطع السابق متماسكا شكليا من خلال الضمائر المختلفة للإحالة ودلاليا ذلك أن الحوار كله كان يدور حول موضوع القسم وسبب استهداء "ميليتزا" الخنجر المقسوم عليه.

" فقد رابني منه مذ ولى قيادة الجيش عفوه عن الأسرى الذي يقدمون إليه وإنزاله إياهم منزلة الإكرام والاعتزاز"[2]

فقد أحال الضمير المنفصل "إياهم" قبليا إلى كلمة الأسرى، فـ"قسطنطين" ومنذ أن تولى قيادة الجيش أصبح ينزل الأسرى منزلة الإكرام والاعتزاز فربط الضمير "إياهم" اللاحق عليه بالسابق وأفاد الضمير "هم" المتصل به أن المحال إليه هو جمع وليس مفرد.

" وأنني لم أقدم إليك مقدمي هذا في هذه الساعة العصيبة إلا لتخليصك وإنقاذك وإنقاذ الوخن وأبنائه، فرفع نظره إليها مندهشا وقال: أنت؟ قالت: نعم أنا"[3]

(1) المرجع السابق، ص: 55.
(2) المرجع نفسه، ص: 58.
(3) المرجع نفسه ، ص: 59.

ففي المقطع السابق نجد الضميرين المنفصلين: "أنت" للمخاطب المؤنث، وضمير المتكلم "أنا" وكلاهما أحال إحالة مقامية داخل النص إلى شخص "بازيليد" أرملة القائد "برانكومير" فقد تعجب "قسطنطين" واندهش عندما أخبرته بأنها الوحيدة القادرة على تخليصه من المحنة التي هو فيها، وعبر عن ذلك قائلا: أنت، فأجابته "بازيليد": نعم أنا.

حيث أفاد الضمير "أنا" تأكيد "بازيليد" وثقتها الكبيرة في نفسها وبقدرتها على تخليصه من المأزق الذي هو فيه.

" قال: أريد أن أقول: إنني أنا الذي قتلته بيدي جزاء له على خيانته لوخنه قالت: أنت يا ولده ويا فلذة كبده؟ قال: نعم، وأنت التي وضعت بيميني ذلك السيف الذي قتلته به(...)، نعم أنا الذي قتلته واقترفت أعظم جريمة يقترفها إنسان في العالم"[1]

لقد تعددت الضمائر المنفصلة في المقطع السابق وتراوحت بين "أنا، أنت، أنت" أي ضميري المتكلم والمخاطب، فقد أحال الضمير "أنا" في المرة الأولى والثانية إحالة مقامية داخلية إلى شخص "قسطنطين" حيث أكد بأنه هو الذي قتل والده، وقد أعاد تلك العبارة مرتين وأكدها لفظيا من خلال تكرارها، "أنا الذي قتلته" ثم نجد الضمير "أنت" والذي أحال مقاميا كذلك إلى "قسطنطين" فقد اندهشت "بازيليد" من تلك الحقيقة التي أقرلها بها وعاتبته قائلة: أنت يا ولده ويا فلذة كبده؟ فكان جواب "قسطنطين" بـ"نعم" وحملها مسؤولية فعلته قائلا:" وأنت التي وضعت بيميني ذلك السيف الذي قتلته به" فأحال الضمير "أنت" مقاميا إلى شخص "بازيليد" لأنه لم يكن حاضرا في ذلك المقام سواهما فكان الحوار متماسكا من خلال هذه الضمائر.

" وهنا دخل الملك والجنود من حوله، يتقدمهم "لازار"، وهو يصيح، وهم يصيحون من خلفه: إنه خائن يا مولاي"[2]

(1) المرجع السابق ، ص: 64.
(2) المرجع نفسه ، ص: 65.

نجد ضميري الغائب للمفرد مرة وللجمع مرة أخرى، حيث أحال الضمير "هو" قبليا إلى كلمة "لازار" وأحال الضمير "هم" قبليا إلى "الجنود" وهذا يؤكد مدى التطابق الإحالي بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، كما ربطت الضمائر اللاحق عليها بالسابق، فقد دخل الجنود ومعهم "لازار" وهم يصيحون أي وصف لحالتهم عند الدخول وكانوا جميعا يرددون عبارة: إنه خائن يا مولاي.

" فصاح الجمهور: ليسقط الخائن ! ليقتل المجرم ! أو اهجموا عليه ليفتكوا به فاعترض الملك خريقهم، وقال لهم: دعوه وشأنه فإن أمره موكول إلى مجلس القضاء، أما نحن فليس بين أيدينا إلا أن نفكر الآن في الطريق إلى الدفاع عن وخننا وحمايته"[1]

فقد أحال الضمير المنفصل "نحن" مقاميا إحالة داخلية وقد شمل الضمير "نحن" شخص الملك المتحدث في هذا المقطع كما شمل أيضا الجمهور الذي كان يصيح، ورأى الملك بأنه يجب عليهم جميعا التفكير في أمر أهم وأخطر وهو إيجاد حل وخريقة للدفاع عن وخنهم وحمايته وبالتالي فقد شمل الضمير نحن كل الحاضرين في ذلك المقام بما فيهم الملك المتحدث.

" وقال: ماذا تريد أن تقول؟، قال : أنت تعلم يا مولاي أنني جندي قديم ولدت في ساحة الحرب، و قضيت حياتي في ميادينها، ولا أمنية لي في الحياة غير أن أموت فيها وأنت الآن قائد الجيش وصاحب الأمر والنهي فيه"[2]

فقد أحال الضمير المنفصل "أنت" مقاميا إحالة داخلية إلى ذات المتكلم وهي تؤكد حضوره ومثوله أمام"قسطنطين" فقد كان يخاخبه بصيغة أنت والتي وظفها في خطابه مرتين فكان الخطاب متماسكا دلاليا باعتباره أن المخاخب دائما هو الملك، فقد خلب منه "قسطنطين" أن يسمح له بأن يموت في ساعة الحرب باعتباره صاحب الأمر والنهي في ذلك المقام.

(1) المرجع السابق ، ص: 67.
(2) المرجع نفسه، ص: 67.

"أنت المجرم وأنا المعاقب، أنت الخائن و أنا المأخوذ بخيانتك، أنت المتمتع بنعمة الشرف العظيم الذي لا تستحقه وأنا المتسربل بسربال الخيانة الدائمة التي لا أستحقها؟"[1]

فالمقطع السابق يتمثل في مقارنة "قسطنطين" لحاله وحال أبيه، ورأى بأن والده الذي نصب له تمثال عظيم في الساحة العامة لا يستحق هذه المكانة العالية، وقد تكرر الضميرين "أنا" و"أنت" في هذا المقطع وأفاد الإحالة الداخلية المقامية، فـ"قسطنطين" لم يكن يحدث والده، بل الكلام كله موجه لتمثاله على اعتبار أنه كان مقيدا بأغلال إلى قاعدته فكان "قسطنطين" يراوح بين الضميرين "أنا" للإحالة إلى نفسه والضمير "أنت" للإحالة إلى تمثال أبيه في ذلك المقام، وكان يتعجب من مفارقات القدر، فهو المعاقب وهو المتسربل بسربال الخيانة.

كما رأى بأن القدر قد أخطأ مرتين إذ رفع والده من حيث يستحق الوضع ووضعه هو من حيث يستحق الرفع، فأفاد الضميرين " أنا ، أنت" استمرار الإحالة المقامية والربط بين أجزاء المقطع السابق.

" فإنكم لن تستطيعوا أن تصلوا إليه أو تلحقوا به إهانة من الإهانات التي تضمرونها في أنفسكم، فإن أبيتم إلا أن تفعلوا فاعلموا أنني أنا الفتاة الضعيفة المسكينة قادرة على أن أخلصه من أيديكم"[2]

فقد خاخبت "ميليتزا" في المقطع السابق كل الجماهير التي كانت تتدافع لتنفيذ قرار الحاكم الذي يقتضي بأن ينالوا من "قسطنطين" ما يشاؤون ـ إلا أن يسلبوه حياته.

(1) المرجع السابق ، ص: 71.
(2) المرجع نفسه ، ص: 75.

فتصدت لهم "مليتزا"، وأكدت لهم بأنها قادرة على حماية "قسطنطين" والذود عنه، فأحال الضمير"أنا" إحالة مقامية داخلية إلى ذات "ميليتزا" كما أفاد أيضا ـ بالرغم من أنها فتاة ضعيفة ومسكينة ـ إلا أنها قادرة على تخليصه من بين أيديهم.

فأفاد الضمير المنفصل "أنا" الربط بين المعاني السابقة مع تأكيد تواجد "ميليتزا" في نفس المقام حيث يتواجد "قسطنطين" وأولئك الجماهير.

كانت هذه أغلب المقاطع التي اعتمدت على الضمير المنفصل للربط بين أجزائها حيث تنوعت بين ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب واللتان أفادتا الإحالة المقامية الداخلية في النص، فكان لهما أثر عظيم في إجلاء المعنى والربط بين أجزاء النص فالإحالة المقامية جعلت المعنى أكثر وضوحا ودقة، بالإضافة إلى ضمائر الغائب التي أحالت في أغلبها إحالة قبلية إلى شيء مذكور قبلها مما جنبنا الكثير من التكرار إضافة إلى التواصل الدلالي والربط بين أجزاء الفقرة أو الفقرات، ذلك أن المحيل قد يحيلنا إلى عنصر مذكور قبل عدة فقرات مما يجعل النص متسلسلا مترابطا ومتماسكا شكلا ودلالة.

ب- الضمائر البارزة المتصلة:

والضمير المتصل هو ضمير إتصل بعامله لذلك لا يمكن أن يبتدئ به أول الكلام أو يستقل بنفسه مهما كانت الوظيفة النحوية التي يقتضيها العامل من رفع أو نصب أو جر ويشكل مع عامله لفظة واحدة، ويكون عندئذ مبنيا عليه لأنه يعد كأحد الأحرف التي تبنى منها تلك الكلمة فلا نجده منعزلا عن عامله [1]

فالضمائر المتصلة هي الضمائر التي تتصل بآخر الكلمة سواء كانت اسما أم فعلا أم حرفا وتقع في محل رفع أو نصب أو جر [2]

وفيما يلي سنعرض لأهم المقاخع التي إعتمدت على الضمائر المتصلة لتحقيق الإحالة والربط بين أجزاء النص.

1- الضمائر التي في محل رفع: وهي ضمائر الإسناد (تاء الفاعل، نا الدالة على الفاعلين ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة، ياء المخاخبة) [3]

"إجتمع جنود الفرقة البلقانية ذات ليلة في معسكرهم يشربون ويطربون ويرقصون على نغم قيثار الموسيقار البوهيمي المسكين "بانكو" (...) فيرقصون على غنائه ويطربون و يحسنون إليه مما فضل من زادهم وشرابهم، ثم جلسوا بعد فراغهم يتحدثون في شأن ذلك الحادث العظيم(...) فانقسموا في رأيهم قسمين..." [4]

لقد أفادت "واو" الجماعة الحماية المتصلة بالأفعال "يشربون ،يطربون ،يرقصون يرقصون، يطربون، يحسنون، جلسوا، يتحدثون، انقسموا" قبليا إلى الفاعل وهو كلمة " جنود الفرقة البلقانية" حيث أفادت "الواو" المتصلة بالأفعال السابقة نسبتها كلها إلى فاعل واحد مذكور في أول المقطع رغم تباعدها على سطح النص إلى أنها أفادت معنى أن كل تلك الأفعال قد قام بها فاعل واحد مذكور قبلها.

(1) ينظر: الحاج صالح (عبد الرحمن): "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي " في تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص: 380.
(2) عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص: 43.
(3) عفت وصال حمزة: أساسيات علم النحو، دار إبن حزم، بيروت- لبنان- 2003، ص: 55.
(4) المنفلوطي: في سبيل التاج، ص: 07.

" فأصبحوا كما تراهم اليوم حماة الوخن و ذادته يبذلون في سبيله من ذات أيديهم وذات نفوسهم ما لا يبذل مثله إلا الأمم الراقية الشريفة في سبيل الذود عن حريتها واستقلالها، ويقدمون إلى الموت زرافات ووحدانا فرحين متهللين كأنهم ذاهبون إلى مراقص "فيدين" وملاعبها لأنهم يعلمون أن قطرات الدماء التي يبذلونها في سبيل حريتهم واستقلالهم إنما هي المداد الأحمر الذي تسجل لهم به في صفحات تاريخهم آيات المجد والفخار" [1]

لقد أحالت"الواو" المتصلة بالفعل "أصبح" قبليا إلى كلمة "الرجال والنساء والفتيان والفتيات" وهي في محل رفع إسمها.

أما "واو" الجماعة المتصلة بالأفعال "يبذلون، يقدمون، ذاهبون، يعلمون" أحالت قبليا إلى الفاعل الذي كان سابقا عليها وبعيدا على سطح النص، فأفادت "واو" الجمع الربط حيث أفادت بأن الذي قام بكل تلك الأفعال السابقة هو فاعل واحد إرتبطت أجزاؤه بواسطة حرف العطف "الواو" إذ لم يكن كلمة واحدة فقط، وفي ذلك تفصيل أكثر وإيضاح للمعنى.

"إستمعوا مني أيها القوم كلمة واحدة هي فصل الخطاب في قضيتكم هذه ولا أخلب منكم أن تسمعوا مني سواها، فالتفت الجمع فإذا الضابط "ألبير"(...) يقول إنكم تعلمون جميعا صلتي بالقائد برانكومير"[2]

لقد أحالت "واو" الجماعة المتصلة بالفعل"إستمعوا" في أول الخطاب السابق بعديا إلى كلمة "القوم" التالية عليها، ثم أحالت في الأفعال: "تسمعوا، تعلمون" قبليا إلى الفاعل وهو كلمة "القوم" و"واو" الجماعة في محل رفع فاعل.

وبالتالي أفادت نسبة كل الأفعال السابقة إليهم وربطتها به حيث خلب منهم "ألبير" وهو جندي قديم عاش مع القائد "برانكومير" زمنا طويلا من القوم الحاضرين أن يستمعوا

(1) المرجع السابق، ص: 08.
(2) المرجع نفسه، ص: 10.

منه كلمة واحدة ستكون فصل الخطاب كما ذكر بمدى معرفتهم بصلته الوثيقة بالقائد.

" فظل يهمس في أذنه ساعة خويلة كان يتردد فيها اسم الأميرة "بازيليد" زوجة القائد الجديدة، حتى تم لهما الاتفاق على ما يريدان، ثم أسلما عيونهما إلى الكرى فناما"[1]

لقد أفادت "ألف الإثنين" المتصلة بالأفعال:"يريدان، أسلما، ناما" بأن الفاعل مثنى وليس مفردا ولا جمعا، حيث أحالت قبليا إلى الفاعلين وهما الجاسوس المتنكر والجندي "لازار" كما أفادت إشتراكهما معا في القيام بتلك الأفعال.

"إن اللّه لم يخلق الضعفاء والمساكين ليكونوا ترابا لنا تدوسه أقدامنا وتطؤه نعالنا كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا، ولم يمنحنا القوة والعزة لنتخذ منها أسواط العذاب نمزق بها أجسامهم ونستنزف بها دماءهم وكل ذنوبهم عندنا أنهم أذلاء مستضعفون لا يملكون من القوة والعزة مثل ما نملك، ولا يذودون عن أنفسهم بمثل ما نذود " [2]

لقد وظف في المقطع السابق الضميرين المتصلين"نا" الدالة على جمع الفاعلين أو المتكلمين و "واو" الجماعة كذلك.

حيث إتصل الضمير الأول بالفعل "وجدنا" وقد أحال مقاميا إلى ذات المتحدث المفرد بصيغة الجمع وهو "قسطنطين"، أما "واو" الجماعة فقد إتصلت بالأفعال: "يكونوا يملكون، يذودون" وهي في محل رفع مبتدأ في الفعل "يكونوا" وفي محل رفع فاعل في الفعلين "يملكون، يذودون" وقد أفادت الإحالة القبلية إلى كلمة "الضعفاء والمساكين" فربطت آخر المقطع بأوله، كما أفادت نسبة المعاني إلى الفاعل المذكور سابقا.

(1) المرجع السابق ، ص:11.
(2) المرجع نفسه ، ص: 15.

" إنما الإثم على الذين يقترفون الذنوب وهم يعملون مكانهم من الرذيلة ومكان أنفسهم من إقترافها و يحولون زمام حياتهم بأيديهم من خريق الخير إلى خريق الشر إيثارا لها وافتنانا بها أولئك هم الآثمون المذنبون" [1].

لقد أحالت "واو" الجماعة المتصلة بالأفعال "يقترفون، يعلمون، يحولون" بعديا إلى كلمة "الآثمون المذنبون"، فقد فسر "قسطنطين" أولا معنى الإثم أو الذنب الذي يقع فقط على الذي يقترفه مع علمه لمكانه من الرذيلة، كما أنه يقع على الذي يحول زمام حياته بيده فكل من يقوم بهذا نطلق عليه الآثم أو المذنب، فارتبط أول المقطع بآخره من خلال "واو الجماعة" التي أحالت إلى الفاعل المذكور بعدها إرتباخا شكليا ودلاليا.

" وذلك لأن الناس مراؤون مخادعون يزعمون لأنفسهم من الفضائل والمزايا ما تنكره نفوسهم عليهم، فهم يحتقرون المذنب ويزدرونه لا لأنهم أخهار أبرياء كما يزعمون، بل ليوهموا الناس أنهم غير مذنبين، ولو أنهم تكاشفوا وتصارحوا وصدق كل منهم صاحبه الحديث عن نفسه لتتاركوا وتهادنوا" [2]

لقد كانت كل أفعال المقطع السابق بصيغة الجمع، وقد أحالت"واو الجماعة" المتصلة بالأفعال "مراؤون، يزعمون، يحتقرون، يزدرون، يوهموا، تكاشفوا، تصارحوا تتاركوا، تهادنوا" إحالة قبلية إلى الفاعل المذكور قبلها وهو كلمة "الناس" المذكورة في أول المقطع، فكانت كل الأفعال التالية عليها مرتبطة بها ومنسوبة إليها فقد حققت "واو الجماعة" الترابط الشكلي من خلال إفادتها لمعنى الجمع الذي حققته "الواو" إضافة إلى تحقيق الإستمرار الدلالي وذلك من خلال وحدة المحال إليه وارتباط كل الأفعال التالية عليه به من حيث المعنى والدلالة.

" فكان جزائي عندك أن ضننت علي بالعرش الذي أنا عماده وملاكه وحامل قوائمه وعمده، وآثرت به كاهنا مأفونا لا شأن له في حياته سوى أن يمسح رؤوس

(1) المرجع السابق ، ص: 15.
(2) المرجع نفسه ، ص: 19.

الأخفال ويهمهم حول أسرة الموتى، فبئس ما جررت على نفسك من الويل في فعلتك التي فعلت و بئس الساعة التي رأيت فيها هذا الرأي القاتل الخطل، لقد فللت بيدك سيفك الذي كان يحميك"[1]

في المقطع السابق وجه القائد "برانكومير" خطابه إلى شعبه الذي وصفه بالخائن وقد خاخبهم بصيغة المفرد"أنت" إستصغارا له فجاءت "تاء" الفاعل متصلة بالأفعال من أول المقطع إلى آخره، للدلالة على أن المحال إليه واحد حيث نجد " ضننت، آثرت جررت، فعلت، رأيت، فللت" وقد أحالت "تاء الفاعل" مقاميا إلى الشعب الذي كان يخاخبه "برانكومير" والذي كان يطل عليه من نافذة من أعلى قصره والخطاب السابق لم يوجه إليهم مباشرة وإنما كان يحدث نفسه به، فكان الخطاب متماسكا من خلال "تاء الفاعل" التي أفادت بأن كل تلك الأفعال فاعلها واحد وهو المخاخب في ذلك المقام.

" قالت: لم أر في حياتي منذ نشأت حتى اليوم عفيفا قط إبتسم في وجهي! قال: ذلك لأن الناس مراؤون مخادعون يزعمون لأنفسهم من الفضائل والمزايا ما تنكره نفوسهم عليهم، فهم يحتقرون المذنب ويزدرونه، لا لأنهم أخهار أبرياء كما يزعمون بل ليوهموا الناس أنهم غير مذنبين ولو أنهم تكاشفوا وتصارحوا وصدق كل منهم صاحبه الحديث عن نفسه لتتاركوا وتهادنوا "[2].

لقد اتصلت "واو الجماعة" بأغلب أفعال المقطع السابق، حيث نجد: " يزعمون يحتقرون، يزدرون، يوهموا، تكاشفوا، تصارحوا، تتاركوا، تهادنوا" وقد أحالت قبليا إلى كلمة "الناس" الذين يظهرون عكس ما يخفونه، ويزعمون بأنهم أخهار أبرياء فيحتقرون المذنب ويزدرونه ليوهموا الناس بأنهم غير مذنبين والحقيقة عكس ذلك، كما أفادت بأن المحال إليه و المتحدث عنه واحد حيث قامت بدور هام لتماسك المقطع

(1) المرجع السابق ، ص: 24.
(2) المرجع نفسه ، ص: 19.

السابق إذ ربطت بين أجزائه من جهة كما أفادت نسبة المعاني المتعلقة بتلك الأفعال إلى فاعل واحد، فكان لها دور بارز من خلال إحالتها القبلية.

" وكان يساعدها على فهمه واستكناهه تلك الأحاديث التي كانت تسمعها تدور من حين إلى حين بين القائد وزوجته عندما كانا يمران بها أو يقفان على مقربة منها وهي جالسة تحت بعض الجدران أو في ظلال بعض الأشجار لا يحفلان بها ولا يلقيان لها بالا فقد سمعته مرة يقول لها:(...) ولقد عشت حياتي كلها قانعا من العيش بتلك اللذة الوحشية الدموية (...) حتى رأيتك تتطلعين إلى تاج الملك و تشتهين أن تضعيه فوق رأسك"[1]

لقد وظف في المقطع السابق كل من "ألف الاثنين" و "ياء المخاخبة " و"تاء الفاعل" حيث إتصلت الأولى بالأفعال " كانا، يمران، يقفان، يحفلان، يلقيان" وهي في محل رفع إسم "كان" في الفعل الناقص "كانا" وفي محل رفع فاعل في الأفعال المتبقية ولقد أفادت الإحالة القبلية إلى كلمة القائد وزوجته وهو مثنى أما "ياء المخاخبة" فقد إتصلت بالفعلين "تطلعين، تشتهين"وقد أحالت مقاميا إلى المخاخب في ذلك المقام وهي "بازيليد" المذكورة في مقطع محذوف، أما "تاء الفاعل" فقد اتصلت بالفعلين"عشت، رأيت" وقد أحالت مقاميا إلى ذات المتكلم أو المخاخب وهو القائد "برانكومير".

لقد تعددت الضمائر المتصلة فتنوعت وظيفتها الإحالية تبعا لذلك، فتراوحت بين "ألف الاثنين" و"تاء الفاعل" و"ياء المخاخبة" كما تنوعت الدلالات تبعا لأحالتها، فنجدها قد أحالت إلى القائد وزوجته ثم أحالت إلى القائد بمفرده ثم "زوجته" لوحدها فكانت هذه الضمائر بمثابة المحدد من خلال الإحالة إلى الشخص المعين وتعنيه وبالتالي حددت المعنى وأبرزت المقصود.

(1) المرجع السابق، ص: 20.

"وقديما كان الفاتحون يخدعون الشعوب الجاهلة بإرضائها في شؤون دينها ليسلبوا شؤون دنياها، ويوجهون نظرها إلى الشؤون الروحية الخالصة ليقطعوا عليها طريق النظر إلى الشؤون المادية الحيوية(...) فاحمونا من أنفسكم قبل أن تحمونا من غيركم وهب أن المجرمين أعداؤنا كما تقولون، فهل يطمعون في شيء أكثر مما تطمعون فيه أنتم؟"[1]

لقد اتصلت "واو الجماعة" بالأفعال" يخدعون، يوجهون، يقطعوا" وقد أحالت قبليا إلى كلمة "الفاتحون" وقد كان الخطاب السابق موجه من "بازيليد" إلى الجاسوس التركي وهو رد على كلمته التي قالها ومفادها أنهم أصدقاؤهم المخلصين وبأنهم فاتحون فقط لا أعداء ولن يغلقوا أبواب كنائسهم ومعابدهم أو يخرسوا أصوات نواقيسهم.

كما نجد "واو الجماعة" المتصلة بالأفعال"يطمعون، تطمعون، تقولون" قد أحالت في الفعل "يطمعون" قبليا إلى كلمة "المجريين أما في الفعلين: "تطمعون، تقولون" فقد أحالت مقاميا إلى الفاعل المخاطب وهو الجاسوس التركي المخاطب بصيغة الجمع لأن المقصود هنا هو المستعمر التركي أجمع وليس الجاسوس فقط.

والضمير المنفصل "أنتم" في آخر المقطع يؤكد ذلك.

نجد الضمير "نا" الدال على جمع المتكلمين والمتصل بالفعل "إحمونا" وهو في محل رفع فاعل، فقد خلبت "بازيليد" من الجاسوس التركي أن تحميهم بلاده من أنفسهم قبل غيرهم وقد تكلمت بصيغة الجمع "نحن" لأنها قد شملت معها كل شعب البلقان وأبنائه إلا أنه لم يكن حاضرا معها مقاميا، فأفادت هذه الضمائر المتصلة الربط من حيث الشكل السطحي الظاهري كما نلمس تطابقا بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه فأفادت ترابط أجزاء المقطع وتماسك أجزائه شكليا ودلاليا.

"الحب شقاء كله، وأشقى المحبين جميعا أولئك الذين يحبون بلا أمل ولا رجاء!

(1) المرجع السابق، ص: 27.

إنهم يذرفون دموعهم وهم عالمون أنهم سيكبونها في أرض قاحلة جدباء لا تنبت لهم لا راحة ولا سعادة، ويسهرون لياليهم وهم يعتقدون أن ظلمتها لا تخسر عن فجر منير أو صبح سعيد ويطرقون برؤوسهم في خلواتهم لا ليتفكروا متى تنتهي أيام شقائهم (...) بل يتفكروا متى يرحلوا من هذه الدار ليستريحوا من آلامها وهمومها"[1]

لقد اتصلت "واو الجماعة" بأغلب الأفعال المذكورة في المقطع السابق، حيث نجد "يحبون، يذرفون، يسكبون، يسهرون، يعتقدون، يطرقون، يفكروا، يستريحوا، يرحلون"

وقد أحالت قبليا إلى كلمة "أشقى المحبين" السابقة عليهم، فأشقى المحبين حسب رأي الكاتب هم أولئك الذين يحبون بلا أمل، إذ يذرفون الدموع الكثيرة مع علمهم أنهم يسكبونها في أرض قاحلة إضافة إلى سهرهم الليالي الطوال مع يأسهم ببزوغ فجر منير... ولا يفكرون في شيء سوى الرحيل من هذه الدار ليستريحوا من آلامها.

لقد حققت "واو الجماعة" المتصلة نوعا من الإستمرارية الدلالية وذلك أن المقصود بكل تلك الأفعال السابقة هو المحال إليه السابق، كما حققت كذلك إستمرارية شكلية من خلال الربط بين أجزاء المقطع من خلال إتصالها بأغلب الأفعال وتوزعها من أول المقطع إلى آخره خاصة وأن الأفعال كلها بصيغة الحاضر.

" على أنني أحمد الله إليك فقد بسطت إلي يد رحمتك وإحسانك واستنقذتني من مخالب ذلك الشقاء"[2]

لقد أحالت "تاء الفاعل" المتصلة بالأفعال "بسطت، إستنقذت" مقاميا إلى المخاطب وهو "قسطنطين- من خرف "ميليتزا"- وقد حققت "التاء" إستمرار الإحالة إليه وبأنه هو المقصود بالخطاب السابق، فهو الذي بسط إليها يد رحمته كما أنه هو الذي استنقذها من مخالب الشقاء والبؤس.

(1) المرجع السابق، ص: 29.
(2) المرجع نفسه، ص: 33.

" قال : ومن أين لك علم ذلك، قالت: سمعت الحديث الذي دار بينهم في هذا الشأن ورأيت ورقة منشورة بين أيديهم يقرؤونها و يتداولونها وما أحسبها إلا وثيقة العهد الذي تعاهدوا عليه"[1]

لقد وظف في المقطع السابق ضميري الرفع المتصلين "تاء الفاعل" و"واو الجماعة" حيث إتصلت الأولى بالفعلين "سمعت، رأيت" وقد أحالت مقاميا إلى ذات المتحدث وهي "ميليتزا" التي سمعت الحديث ورأت الوثيقة المنشورة بينهم أما "واو الجماعة" فقد إتصلت بالأفعال: "يقرؤون، يتداولون، تعاهدوا" وقد أحالت قبليا إلى "برانكومير" و زوجته والقائد التركي: الذين ذكروا في جزء سابق لم يذكر هنا حيث أفادت "الواو" نسبة كل تلك الأفعال إلى جماعة الفاعلين"

فقد حققت الضمائر السابقة الربط بين أجزاء المقطع شكليا على سطح النص كما أفادت الربط الدلالي من خلال تنوع المحال إليه وتحديده وتعيينه.

" حتى إذا رأيت الجيش التركي مستقبلا في منتصف الليل وعلمت أنه قد أشرف على التخوم،و ملك رأس الطريق إلى "فيدين: عدت أدراجك إلى القصر متنكرا كما ذهبت لم يشعر بك أحد في ذهابك أو إيابك وكأننا قد فوجئنا بهذه النازلة مفاجأة لا نملك معها للأمر دفعا ولا ردا"[2]

لقد أحالت "تاء الفاعل" المتصلة بالأفعال "رأيت، علمت، عدت، ذهبت" مقاميا إلى ذات المخاطب وهو القائد "برانكومير" وقد أفادت إستمرار الأفعال المنسوب إليه القيام بها من أول المقطع إلى آخره، كما نجد الضمير "نا" الدال على جمع المتكلمين المتصل بالفعل "فوجئنا" والذي أحالنا مقاميا إلى "بازيليد" و"برانكومير" الحاضرين معا في ذلك المقام.

حيث أفاد هذا الضمير إشتراكهما معا في هذا الفعل.

(1) المرجع السابق، ص: 34.
(2) المرجع نفسه، ص: 35.

لقد تنوع المحال إليه تبعا للضمائر المتصلة حيث أفادت هذه الضمائر تحديده وتعيينه إضافة إلى الربط الشكلي الظاهري على سطح النص.

"ثم خفت أن تكون قد إسترابت بك أو مرت بخاخرها خلجة شك فأخذت للأمر حيطتها من خريقك، فجئت بنفسك لتتولى حراسة التخوم وحمايتها حتى إذا شعرت بسواد الجيش التركي مقبلا أشعلت النيران إنذارا لجيشك بالخطر الداهم وخيبت آمال أعدائك فيما يكيدون لك ولقومك"(سلطان)

لقد اتصلت "تاء الفاعل" بأغلب الأفعال في المقطع السابق حيث نجد :"خفت، أخذت جئت، شعرت، أشعلت، خيبت" وقد أحالت مقاميا إلى ذات المخاخب وهو "برانكومير" من خرف إبنه "قسطنطين" الذي حاول أن يفند كل ما سمعه من مؤامرة بين أبيه وزوجته بل حاول إقناع نفسه قبل أبيه بأن والده أشرف من أن يبيع وخنه مقابل تاج ما يبرح خويلا حتى يستحيل إلى خوق يخنقه وقد حاول "قسطنطين" أن يخاخب ضمير أبيه بما كان يتمنى أن يفعله في تلك اللحظة أي بأنه حضر بنفسه لحماية وخنه من الخطر الداهم.

" ولولا ذلك ما جشمت نفسي مشقة المجيء إليك في هذه الساعة من الليل ولا وقفت أمامك هذا الموقف الخطر المميت (...) وكنت على وشك أن أرفع أمرك إلى الملك أنت وزوجك، وأكشف له دخيلة أمركما فلم أفعل لأني ظننت بك على الموت الدنيء الذي يموته الخائنون المجرمون أمثالك، وأشفقت على ذلك الشرف العظيم الذي بلغ في علوه مناط السماك الأعلى أن يصبح مهانا مذالا(...) وكرهت أن يمر السابلة من رعاع الناس و غوغائهم على قبرك فيبصقوا عليه(...)أشفقت عليك من كل هذا، وأشفقت على نفسي (...) أما الآن وقد يئس من كل شيء فإني أكاد أشعر بالندم "(2)

لقد أدت "تاء الفاعل" المتصلة بالأفعال"جثمت، وقفت، كنت، ظننت، أشفقت، كرهت أشفقت، يئست" دورا مهما في الربط بين أجزاء المقطع السابق، رغم تباعدها على سطح

(1) المرجع السابق، ص: 39.
(2) المرجع نفسه، ص: 41، 42.

النص فجعلت منه كلا موحدا وذلك من خلال إفادتها الإحالة المقامية إلى ذات المتحدث وهو "قسطنطين"، فكان لهذا الضمير دورا بارزا في ترابط أجزاء النص وتلاحمه من خلال إفادتها وحدة المحال إليه.

أما "واو الجماعة" المتصلة بالفعل "يبصقوا" فقد أحالت إلى كلمة "السابلة" حيث لخص المقطع السابق الأفعال التي كان سيقوم بها "قسطنطين" والأفكار التي جالت بخاخره عند سماع مؤامرة أبيه مع أعدائه.

" ثم تعود منها منصورا مظفرا يستقبلك نساء القرى وفتياتها في كل خريق مررت به بدفوفهن وعيدانهن يغنينك ويرقصن بين يديك ويرتشفن قطرات الدماء من كؤوس جراحاتك وينثرن الأزهار تحت قدميك ويناديك باسمك المخلص العظيم"[1]

لقد أحالت "نون النسوة" المتصلة بالأفعال "تغتنين، يرقصن، يرتشفن، ينثرن، ينادين" قبليا إلى كلمة " نساء القرى وفتياتها"

فقد كن يستقبلن القائد "برانكومير" المنتصر بدفوفهن وهن يرقصن ويغنين كما أنهن كن ينثرن الأزهار تحت قدميه، فأفادت "نون النسوة" الربط على سطح النص من خلال إتصالها بأغلب الأفعال.

كما أفادت كذلك نسبتها إلى الفاعل المذكور قبليا وهو نساء القرى وفتياتها من ناحية الدلالة.

" إلي أيتها الفضائل الإنسانية والكلمات العالية من شرف وعزة وترفع وإباء تعالين إلي جميعا و اجثين معي بين يديه واضرعن إليه أن ينصفكن ويعدل في أمركن ولا يقصي للرذيلة عليكن، وقلن له: إنك إن خذلتنا ونفضت يدك منا فلن تجد لنا من بعدك ناصرا ولا معينا"[2]

(1) المرجع السابق، ص: 44.
(2) المرجع نفسه، ص: 47.

لقد أحالت نون النسوة المتصلة بالأفعال " تعالين، إجثين، أضرعن، قلن" قبليا إلى عبارة "الفضائل الإنسانية والكلمات العالية" والتي وضحها "قسطنطين" وفسرها بأنها تتجسد في الشرف والعزة والترفع والإباء،فقد ناداها ودعاها بأن تمثل أمام والده وتخبره بأنه إن هو تخلى عنها فلن تجد لها من بعده ناصرا ولا معينا.

وقد أحالت إليه "تاء الفاعل" المتصلة بالأفعال "خذلت، نفضت" أي إلى "برانكومير" الحاضر مع إبنه في نفس المقام.

فأدت الضمائر المتصلة دورا هاما في الربط بين المعاني السابقة من خلال إحالتها القبلية الداخلية تارة وأحالتها المقامية الخارجية تارة أخرى.

" يا أخفال البلقان وصغارها الناشئين من فتية وفتيات أقبلوا إليه جميعا، واجتمعوا من حوله وتعلقوا بأهداب ثوبه واسكبوا ما تستطيعون أن تسكبوا من دموعكم وشؤونكم تحت قدميه، وقولوا له: رحمة بنا أيها الأب الرحيم".[1]

لقد أحالت "واو الجماعة" المتصلة بالأفعال"اجتمعوا، تعلقوا، اسكبوا، تستطيعون تسكبوا، قولوا" قبليا إلى كلمة " أخفال البلقان وصغارها الناشئين"[2]

فقد خلب منهم "قسطنطين" أن يقبلوا جميعا إلى أبيه و يجتمعوا من حوله لا بل ويتعلقون بأهداب ثوبه،و يسكبون ما يستطيعون من دموعهم علهم يؤثرون فيه فيتراجع عن المسعى الذي هو بصدد تحقيقه والطريق الذي سيسلكه للوصول إلى التاج.

فأدت "واو الجماعة" دورا بارزا في ربط أجزاء المقطع من خلال إحالتها القبلية ونسبة كل تلك الأفعال الواردة إلى فاعل واحد.

" فترامى على عنقه واحتضنه إليه وظل يقول بنغمة الفارح المغتبط: أحمدك اللهم فقد أنقذت لي أبي! فحنا أبوه عليه وظلا متعانقين ساعة لا يسمع فيها إلا تردد

(1) المرجع السابق، ص: 47.
(2) المرجع نفسه، ص: 47.

أنفاسهما ونشيج بكائهما، ثم افترقا بغتة واشرأبا بأعناقهما(...) فارتجلا في وقت واحد في حركتين مختلفتين"[1]

لقد أحالت "ألف الاثنين" المتصلة بالأفعال"ظلا، إفترقا، اشرأبا، إرتجلا" قبليا إلى "قسطنطين" وأبوه فبعد أن ظن "قسطنطين" بأن والده قد إستفظع ذنبه واستهوله وبأنه قد تراجع عن الخطوة التي كان بصدد القيام بها بتهافت على عنقه واحتضنه و ظلا متعانقين ساعة إلا أن سمعا حسيس جيش العدو مقبلا فارتجلا في وقت واحد إلى الرابية في حركتين مختلفتين.

أما "تاء الفاعل" المتصلة بالفعل"أنقذت" فقد أحالتنا مقاميا إلى "اللّه" باعتبار أنه حاضر معنا دائما وفي كل مكان نتواجد فيه.

" فما سمع الجنود صوته ورأوا وجهه حتى هاجوا واضطربوا وأخذوا يصيحون داخل القصر وخارجه ليسقط الخائن، ليسقط المجرم، فظل يشير إليهم بيده يحاول إسكاتهم واسترعاء أسماعهم وهم مستمرون في ضجيجهم و صياحهم لا يهدؤون ولا يفترون"[2]

لقد أحالت "واو الجماعة" المتصلة بالأفعال "رأوا، هاجوا، اضطربوا، أخذوا، يصيحون يهدؤون، يفترون" قبليا إلى كلمة "الجنود" بصيغة الجمع.

وبالتالي فقد أفادت "الواو" المتصلة بالأفعال إسناد الفعل إلى فاعله وربط كل الأفعال الواردة به رغم تعددها وتباعدها على سطح النص، فأدت دورا هاما من حيث الربط الشكلي الظاهري وكذلك الربط الدلالي الداخلي كما أفادت أن كل المعاني المتعلقة بالأفعال قد قام بها "الجنود".

" ثم قال لها بهدوء وسكون لا يعلم إلا اللّه ما يكمن وراءهما: وبعد فماذا ترديـن؟ فأخمعها فيه هدوءه وسكونه(...) وقالت لقد قابلت رسول القائد التركي ليلة أمس، واتفقت معه على كل شيء فكن أعقل من أبيك وأبعد منه نظرا واعلم أن

(1) المرجع السابق ، ص: 49.
(2) المرجع نفسه ، ص: 60.

الترك لا بد مقتحموا هذه البلاد وآخذوها أبطؤوا أم أسرعوا فقد اجتازوا عقبة الجبال اليوم وسيجتازون بقية العقبات غدا أو بعد غد (...) إن الجنود يضجون ويصخبون ويوشك الملك أن يحضر فيرفعوا إليه أمرك ويهتفوا بين يديه بسقوخك وخيانتك"[1].

لقد أحالت "ياء المخاخبة" المتصلة بالفعل "تريدين" مقاميا إلى ذات المخاخبة الحاضرة مع "قسطنطين" في ذلك المقام وهي "بازيليد" كما أحالت "تاء الفاعل" المتصلة بالفعلين "قابلت، اتفقت" مقاميا إلى ذات المتحدث وهي "بازيليد" كذلك التي قابلت رسول القائد التركي واتفقت معه على كل شيء.

أما "واو الجماعة" المتصلة بالأفعال "أبطؤوا، أسرعوا، اجتازوا، سيجتازون" وكذلك باسم الفاعل"آخذوها" قد أحالتنا قبليا إلى الفاعل وهو "الترك" الذين أكدت "بازيليد" بأنهم سيقتحمون هذه البلاد ويستولون عليها ما في ذلك شك ولا ريب.

في حين أفادت "الواو" المتصلة بالأفعال: "يضجون، يصخبون، يرفعوا، يهتفوا الإحالة القبلية إلى كلمة "الجنود"

فتنوعت الضمائر المتصلة وتنوع المحال إليه تبعا لتنوعها إلا أن "واو الجماعة" قد أحالت داخليا إلى محالين وهما "الترك، الجنود" وبالتالي فقد ضبطت المعنى وحددته،إضافة إلى إفادتها الربط الشكلي على سطح النص.

" نعم أنا الذي قتلته واقترفت أعظم جريمة يقترفها إنسان في العالم ولولاك لما أقدمت على ذلك، ولا خطر ببال إنسان في الوجود أن يقدم عليه ولو كان في استطاعتي أن أكشف أمرك وأهتك السر عن جريمتك لفعلت"[2]

لقد أحالت"تاء الفاعل" المتصلة بالأفعال "قتلت، إقترفت، أقدمت، فعلت" مقاميا إلى ذات المتحدث وهو "قسطنطين" الذي اعترف وصرح لـ"بازيليد" بأنه هو الذي قتل أباه فاقترف

(1) المرجع السابق ، ص: 62.
(2) المرجع نفسه ، ص: 64.

بذلك أعظم جريمة في العالم، ثم اتهمتها بأنها هي من دفعه إلى ذلك في عبارة" ولولاك لما أقدمت على ذلك" فحملها بذلك مسؤولية فعلته وإثمها.

" دافعوا يا أبناء يسوع عن دينكم وكنيستكم، واعلموا أنكم إن غلبتم اليوم على أمركم فلن تقوم للصليب قائمة الدهر، وهم يستبسلون ويستقتلون ويصبرون للموت صبر الكرام حتى برقت لهم بارقة النصر فأخبقوا على جيوش العدو"[1]

لقد اتصلت"واو الجماعة" بفعلي الأمر"دافعوا، اعلموا" كما إتصلت بالأفعال المضارعة "يستبسلون، يستقتلون، يصبرون" وكذلك بالفعل الماضي "أخبقوا" ورغم تنوع زمن الأفعال المتصلة بها إلا أنها أفادت الإحالة القبلية إلى محال إليه واحد وهو "أبناء يسوع" باستثناء الفعل "دافعوا" حيث أحالت "واو الجماعة" هنا بعديا إلى " أبناء يسوع" التالية عليها، فقد استهل الملك خطابه بفعل الأمر "دافعوا" ثم ذكر الفاعل المقصود بكل الخطاب السابق من أجل استنهاض الهمم وإحياء تلك الروح الوخنية في نفوس جنده.

فأدى هذا الضمير دورا مهما في ترابط المقطع وتلاحم أجزائه من خلال تنوع أحالته الداخلية بين القبلية و البعدية، فأسهمت بذلك في انسجام الخطاب السابق إضافة إلى إتساقه وترابطه الشكلي.

" أيتها الوحوش الضارية والخلائق الساقطة مهما كثر عددكم وعظمت قوتكم فإنكم لن تستطيعوا أن تصلوا إليه، أو تلحقوا به إهانة من الإهانات التي تضمرونها في نفوسكم فإن أبيتم إلا أن تفعلوا فاعلموا أني أنا الفتاة الضعيفة المسكينة قادرة على أن أخلصه من أيديكم، فلم يحفلوا بكلامها ولم يفهموا غرضها واستمروا في اندفاعهم وتدفقهم "[2]

(1) المرجع السابق ، ص: 69.
(2) المرجع نفسه ، ص: 75.

فالخطاب السابق موجه من خرف "ميليتزا" إلى الجماهير التي كانت تتدفق وتتدافع لتنفيذ قرار الملك، وقد شبهتها بالوحوش الضارية والخلائق الساقطة وأكدت لها بأنه مهما كثر عددها وعظمت قوتها، فإنها لن تستطيع أن تصل إلى "قسطنطين" أو تلحق به أذى لأنها وإن كانت الفتاة المسكينة الضعيفة إلا أنها قادرة على حمايته والدفاع عنه، إلا أن هذه الوحوش والخلائق لم تهتم بكلامها ولم تفهم ما كانت ترمي إليه، وواصلوا اندفاعهم كل هذه المعاني ساعد في تحقيقها "واو الجماعة" التي اتصلت بأغلب الأفعال في المقطع السابق"تستطيعوا، تصلوا، تلحقوا، تفعلوا، إعلموا، يحفلوا، يفهموا، إستمروا" والتي أكدت نسبة كل هذه الأفعال إلى الفعل المذكور قبلها، وبالتالي حققت الإحالة القبلية إلى كلمة "الجماهير" والتي استبدلتها "ميليتزا" في خطابها بكلمة الوحوش الضارية والخلائق الساقطة، فكان لـ "واو الجماعة" دورا مهما في الحفاظ على تماسك النص وتلاحم أجزائه وإبراز معناه.

2ـ الضمائر المتصلة التي في محل نصب أو جر:

و هي الضمائر التي تتصل بآخر الكلمة سواء كانت إسما أم فعلا أم حرفا و تقع في محل نصب أو جر[1] و هي "كاف" الخطاب، "هاء" الغائب، "ياء" المتكلم، "نا" الجماعة يجمعها قولنا: كناية ،و هذه الضمائر إذا إتصلت بالفعل كانت في محل نصب مفعول به و إذا إتصلت بالإسم كانت في محل جر بالإضافة و إذا إتصلت بحرف جر كانت في محل جر. [2]

و المقاطع التالية من الرواية تبرز دور هذه الضمائر في تحقيق الإحالة و بالتالي تسهم في تحقيق التماسك النصي.

" و أن هذه الأمة التي ترضى بضياع حريتها و إستقلالها، و تقبل أن تضع يدها في يد غاصبها إنما هي أحط الأمم و أدناها و أحقها بالزوال و الفناء"[3]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأسماء "حرية، إستقلال، يد، غاصب" قبليا إلى كلمة "الأمة"، فقد وصفت الأمة التي ترضى بضياع حريتها و إستقلالها بأنها أحط الأمم و أدناها، أما "الهاء" المتصلة بالأسماء" أحق، أدنى" أحالت قبليا إلى كلمة" الأمم" و"الهاء" المتصلة بالأسماء في محل جر.

" وأخذ يدعو لنفسه ويستكثر من سواد أشياعه وأنصاره ويداخل أعضاء الجمعية الوخزية ويداهنهم ويتوسل إليهم أن يساعدوه على نيل أمنيته التي يرجوها مدلا بمكانته في خدمة الوخز"[4]

فقد أحال الضمير"هم" المتصل بالفعل "يداهنهم" قبليا إلى كلمة "أعضاء الجمعية الوخزية" وهو في محل نصب مفعول به، كما أحال الضمير "الهاء" المتصل بالفعل "يساعدوه" قبليا إلى القائد "برانكومير" الذي سبق ذكره في موضع بعيد و سابق

(1) عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ص: 43.
(2) عفت وصال حمزة: أساسيات في علم النحو، ص: 55، 56.
(3) في سبيل التاج، ص: 07.
(4) المرجع نفسه، ص: 13.

على سطح النص، وكذلك "الهاء" المتصلة بالفعل "يرجوها" فقد أحالت إليه كذلك، فأدت دورا كبيرا في القيام بالربط على سطح النص الخارجي حيث أحالتنا قبليا إلى كلمة "أمنيته" وربطت بين أجزاء النص المتباعدة كما أدت دورا مهما في الربط بين المعاني، فالقائد "برانكومير" كان فاعلا تارة ومفعولا به تارة أخرى.

"فقد وجد بين جنبيها تلك النفس الطاهرة البريئة التي خالما نشدها قبل اليوم فأضلها وتطلبها فأعياه خلابها ووجد في صدرها ذلك القلب المخلص الذي بكاه وندبه ندبا شديدا يوم ماتت أمه"[1]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال"أضلها، تطلبها" قبليا إلى "النفس الطاهرة البريئة" كما أحالت "الهاء" المتصلة بالفعلين "بكاه، ندبه" قبليا إلى المفعول به السابق عليها وهو كلمة "القلب" فأدت "الهاء" المتصلة بالأفعال والتي هي في محل نصب مفعول به دورا مهما في الربط الشكلي والدلالي بين أجزاء المقطع السابق من خلال اختلاف المحال إليه كما أحالت "الهاء" المتصلة بالأسماء "جنبيها، صدرها" قبليا إلى كلمة "الفتاة المسكينة" وهي في محل جر.

" وكان يساعدها على فهمه واستكناهه تلك الأحاديث التي كانت تسمعها تدور من حين إلى حين بين القائد وزوجته"[2]

لقد أحالت "الهاء" التي إتصلت بالأفعال"يساعد، فهم، إستكناه، تسمع" قبليا إلى المفعول به، حيث أحالت في الفعل "يساعد" إلى المفعول به وهو "ميليتزا"، أما "الهاء" في الفعل "إستكناهه" فقد أحالتنا قبليا إلى المفعول به وهو "الهم الخفي" أما "الهاء" في الفعل "تسمعها" فقد أحالتنا إلى كلمة "الأحاديث"، فالذي كان يساعد "ميليتزا" على فهم و استكناه ذلك الهم الخفي هي تلك الأحاديث التي كانت تسمعها، فقد عوضت "الهاء" المتصلة بالأفعال كل المعاني السابقة وأحالت إليها.

(1) المرجع السابق، ص: 19.
(2) المرجع نفسه، ص: 20.

" ثم أقيمت حفلة التتويج بعد أيام، فحضرها جميع وجوه المملكة وعيونها ورجال السياسة والجيش، ما عدا القائد "برانكومير" فلم يأخذه الملك بهذه التهنئة، بل أعبثه وأعطاه من نفسه الرضا"[1]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "حضر" قبليا إلى كلمة "حفلة التتويج" السابقة عليها كما أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل المضارع "يأخذ" قبليا إلى كلمة "القائد برانكومير" أما "الهاء" المتصلة بالفعلين "أعتب، أعطى" فقد أحالتنا قبليا إلى "الملك" فقد حضر الحفلة جميع وجوه المملكة ما عدا القائد "برانكومير" الذي لم يحضرها و لم يأخذ الملك التهنئة منه ، فقد أفادت "الهاء" المتصلة بالأفعال والتي هي في محل نصب مفعول به- وإن اختلفت أحالتها إلى هذا المفعول – دورا مهما في الربط بين المعاني السابقة وكذا التلاحم على سطحها.

" بل جئت لأباركك وأمسحك وأدعو لك اللّه أن يمدك بروح من عنده حتى يتم لنا على يدك النصر الذي نرجوه لأنفسنا فيأمن البلقان أبد الدهر أن تحقق على ربوعه راية غير راية المسيح"[2]

فقد أحالت "الكاف" المتصلة بالأفعال "أبارك، أمسح، يمد" إلى المفعول به مقاميا وذلك من خلال الإحالة الداخلية المقامية إلى شخص القائد "برانكومير" الذي وجه له الخطاب السابق، فقد أخبره الملك بأنه قد جاء ليباركه ويمسحه ويدعو اللّه له بأن يمده بروح من عنده وأن يساعده ليتم لهم النصر على يديه، أما "الهاء" المتصلة بالفعل "نرجو" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "النصر" السابقة عليها وكنتيجة لكل ذلك فإن البلقان سيأمن أبد الدهر ولن تخفق على ربوعه راية غير راية المسيح ولا صوت غير صوت اللّه.

"تبا لك أيها الشعب الخائن الغادر، لقد جازيتني شر الجزاء على عملي وكفرت بنعمتي التي أسديتها إليك، ويدي التي اتخذتها عندك أيام كنت أسهر لتنام(...)

(1) المرجع السابق ، ص: 22.
(2) المرجع نفسه ، ص: 23.

لقد فللت بيدك سيفك الذي كان يحميك ويصونك(...) فاخلب إلى أسقفك التقي الصالح الذي توجته بيدك واخترته بنفسك أن يستنزل لك بدعواته النصر من آفاق السماء"[1]

فالخطاب السابق- ورغم خوله- وتباعد أجزائه إلا أنه كان موجها كله إلى الشعب الخائن الغادر- حسب وصف القائد "برانكومير" له- وقد إتصلت بالأفعال الواردة في هذا الخطاب ضمائر مختلفة وأحالت إلى مفاعيل متعددة، حيث أحالت "الياء" للمتكلم التي إتصلت بالفعل"جازيتني" إلى ذات القائد "برانكومير" وبالتالي أحالت إحالة مقامية داخلية، أما "الهاء" المتصلة بالفعل"أسديت" فقد أحالت قبليا إلى المفعول به "نعمتي" أما "الهاء" المتصلة بالفعل"إتخذت" فقد أحالت قبليا إلى المفعول به وهو "يدي" ثم يواصل القائد خطابه لشعبه الخائن بعد سرد خويل لأهم مجهوداته التي بذلها في سبيل راحة وحماية هذا الشعب والذود عنه في وقت كان فيه هذا الأخير لاه ولاعب ومغتبط.

إذ يستأنف حديثه وتغير لهجة خطابه حيث تحولت إلى تهديد ووعيد، وبأنه قد أضاع بيده السيف الذي كان يحميه، فأحالت "الكاف" المتصلة بالأفعال "يحميك، يصونك" إحالة داخلية مقامية إلى المخاطب في ذلك المقام وهو نفسه الشعب الخائن الذي استهل خطابه بالإشارة إليه.

" فإنا لا نريد أن ندخل بلادكم مستعبدين أو مسترقين بل أصدقاء مخلصين وما خطر ببالنا قط حينما فكرنا في افتتاح بلادكم والنزول بها أن نصادركم في حريتكم الدينية والاجتماعية أو نسلب أموالكم وننتهك أعراضكم أو نغلق أبواب كنائسكم ومعابدكم(...) ولنحميكم فوق ذلك من أعدائكم المجريين"[2]

فقد أحال الضمير المتصل "كم" الدال على جمع المخاطبين إلى كل شعب البلقان بمن فيهم "بازيليد" الحاضرة في ذلك المقام وهي المعنية بالخطاب السابق، فجاءت أغلب الضمائر متصلة بالأسماء وهي في محل جر إسم مجرور.

(1) المرجع السابق ، ص: 23، 24.
(2) المرجع نفسه ، ص: 26.

كما أنها إتصلت بالفعل مرة واحدة وهو "نحميكم" والذي أحال كذلك إلى كل شعب البلقان والذي مثلته "بازيليد" في ذلك المقام، و هذا الضمير المتصل هو في محل نصب مفعول به للفعل "نحمي" أما الفاعل فهو ضمير مستتر تقديره "نحن"، وكذلك الأمر بالنسبة للفعل "نصادركم".

" إنكم ما جئتم هنا لتحمونا من أعدائنا بل لتحتموا بنا من أعدائكم لأنكم إنما أردتم بامتلاك هذه البلاد واستعمارها أن تتخذوا من حصونها وقلاعها وجبالها وأسوارها ودماء أبنائها وأرواحهم وقاية لكم تتقون بها زحف المجريين عليكم وعدوانهم على أرضكم"[1]

فقد أحالت "النون" المتصلة بالفعل"تحمونا" إحالة داخلية مقامية إلى المتحدث وهو "بازيليد" وشملت معها كل شعب البلقان، فالنون هي في محل نصب مفعول به أما "النون" المتصلة بالاسم "أعدائنا" فقد أحالت كذلك إلى المحال إليه السابق ذكره ولكنها في محل جر إسم مجرور، كذلك "الهاء" المتصلة بالأسماء "حصونها، قلاعها جبالها، أسوارها، أبنائها" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "البلاد" أما ضمير الخطاب "الكاف" و "ميم الجماعة" المتصلة به أي "كم" المتصلة بالإسم " أرضكم" فقد أحالت إحالة مقامية للمقصود بالخطاب وهو الجاسوس التركي"إبراهيم بك"، وكذلك نجد الضمير "هم" المتصل بالاسم "عدوان" والذي أحالنا قبليا إلى الكلمة السابقة عليه وهو كلمة "المجريين" وهي جمع ،فكان لهذه الضمائر المتصلة بالأفعال والأسماء دورا مهما في إبراز المعنى وتجليته.

" وكان يقلقها أشد القلق وكاد يذيبها حياء وخجلا خوفها أن يطلع منها على سريرة نفسها أو أن يعثر يوما من الأيام بتلك اللوعة المتأججة في صدرها فيتهمها في عقلها ويسخر بينه وبين نفسه بتصوراتها وآمالها"[2]

(1) المرجع السابق ، ص: 27، 28.
(2) المرجع نفسه ، ص: 30.

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال "يقلق، يذيب، يتهم" قبليا إلى المفعول به الذي سبق ذكره في موضع سابق وبعيد على سطح النص وهو "الفتاة النورية المسكينة" كما أحالت "الهاء" المتصلة بالأسماء"خوف، عقل، نفس، صدر، تصورات، آمال" قبليا كذلك إلى "الفتاة المسكينة" إلا أن "الهاء" هنا هي في محل جر أما "الهاء" المتصلة بالإسم "نفس" وظرف المكان"بين" فقد أحالت إلى الشخص الذي أحبته "ميليتزا" وهو القائد "قسطنطين" وهي محل جر دائما.

"هذا هو الحب الطاهر البريء الذي لا تشوبه الأغراض والغايات ولا تحيط به الريب والشكوك، والذي خالما نشده الناس في كل مكان فأظلوه، وذابت قلوبهم حسرة عليه فلم يجدوه وأي سعادة في الدنيا أعظم من سعادة نفس تجد بين يديها نفسا خاهرة مخلصة تحبها وتعبدها" (1)

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال "تشوب، نشد، أظلوا، يجدوا" قبليا إلى المفعول به الذي سبق ذكره قبليا وهو " الحب الطاهر البريء" فهذا النوع من الحب لا تشوبه الأغراض والغايات كما أن الناس لطالما نشدوا هذا الحب فلم يجدوه ولم يعثروا عليه وكذلك "الهاء" المتصلة بالفعلين "تحب، تعبد" أحالت قبليا إلى المفعول به وهو "نفس" أما "الهاء" المتصلة بالأسماء "قلوبهم، يديها، عليه" فقد تنوعت إحالاتها بين المفرد والمجمع حيث أحالت "الهاء" في "قلوبهم" قبليا إلى كلمة "الناس" أما "الهاء" في الحرف "عليه" فقد أحالتنا قبليا إلى " الحب الطاهر البريء" و"الهاء" التي إتصلت بالإسم "يديها" فقد أحالتنا قبليا كذلك إلى كلمة "نفس" وبالتالي فقد تنوعت إحالات الضمير المتصل"الهاء" وتعددت بحسب المحال إليه بين النصب والجر، فكان لها دور كبير في الربط بين أجزاء المقطع السابق وإجلاء معناه.

(1) المرجع السابق، ص: 31.

" وكان شعورها هذا يقودها إلى مراقبتها وملاحقتها في كل مكان وترصد حركاتها وسكناتها، علها تهجم منها على ذلك السر الهائل تتوهمه توهما و لا تعرفه، فتكشفه وتمزق عنه الستار، حتى واتاها القدر يوما من الأيام فعثرت به..." [1]

فقد أحالتنا "الهاء" المتصلة بالأفعال "يقودها، تتوهمه، تعرفه، تكشفه، واتاها" قبليا إلى المفعول به الذي سبق ذكره عليها، فقد أحالتنا "الهاء" المتصلة بالفعل"يقود" إلى المفعول به وهو "الفتاة" التي ذكرت في موضع بعيد على سطح النص، أما "الهاء" المتصلة بالأفعال "تتوهمه، تعرفه، تكشفه" قد أحالت إلى كلمة "السر الهائل" أما بالنسبة "للهاء" المتصلة بالفعل "واتاها" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة الفتاة كذلك، فكانت "الهاء" المتصلة بكل الأفعال السابقة في محل نصب، أما الضمير "الهاء" المتصل بالأسماء "شعورها مراقبتها، ملاحقتها، حركاتها، سكناتها" فقد أحالنا قبليا كذلك وتراوحت إحالته بين "الفتاة" و "المرأة اليونانية" أي "بازيليد"، حيث أحالتنا في الإسم "شعورها" إلى كلمة "الفتاة" والمقصودة هنا هي "ميليتزا" ، أما بقية الأسماء والتي اتصلت بها فقد أحالتنا إلى كلمة "المرأة اليونانية" وهي دائما في محل جر.

فقد أحست الفتاة "ميليتزا" أن المرأة اليونانية الدخيلة تشكل خطرا كبيرا على الأمة بأسرها، كما أنها كانت متأكدة من أن هذه المرأة تخفي سرا وهو ما دفع بها إلى مراقبتها وترصد حركاتها وسكناتها، علها تصل وتطلع على هذا السر الذي تتوهمه، حتى واتاها القدر فعثرت عليه.

كل هذه المعاني التي سبق التفصيل فيها قد أفادتها "الهاء" التي إتصلت بالأفعال تارة وبالأسماء تارة أخرى، ورغم تنوع المحال إليه وتعدده إلا أنه كان لها دور مهم في ربط أجزاء المقطع السابق وإبراز دلالته السابق ذكرها.

" وقال لها: ألا تطربين معي يا "ميليتزا" لهذه النغمات الشعبية البديعة؟ (...) قالت له: لا يا مولاي! فدهش لقولها وقال: ولم؟، قالت: لأني لا أحبها!، قال: ولم لا تحبينها؟

(1) المرجع السابق، ص: 31.

قال: لأني لا أحب صاحبها!، قال: وهل تعرفينه(...) قالت: (...) نعم إنني أعرفه من تلك النغمات التي كان يدعوني للرقص عليها"[1]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال "أحبها، تحبينها" قبليا إلى كلمة "النغمات الشجية البديعة"، فقد كانت "ميليتزا" لا تحب هذه النغمات فكانت "الهاء" المتصلة بهذه الأفعال في محل نصب مفعول به، وكذلك "الهاء" المتصلة بالإسم "صاحبها" فقد أحالت إلى النغمات كذلك إلا أن "الهاء" هنا في محل جر، أما "الهاء" المتصلة بالأفعال "تعرفينه أعرفه" فقد أحالت قبليا إلى كلمة "صاحبها" فقد أكدت"ميليتزا" بأنها تعرف صاحب النغمات بعد أن سألها "قسطنطين" عن ذلك، أما "الياء" المتصلة بالفعل "يدعوني" فقد أحالت مقاميا إحالة داخلية إلى ذات "ميليتزا" المتحدثة في الحوار السابق، فقد جعلت هذه الضمائر المتصلة بالأفعال والأسماء المقطع السابق كلا موحدا رغم تباعد أجزائه على سطح النص حيث يفصل بينها سرد تخويل لأوصاف صاحب النغمات وكيف تعرفت عليه "ميليتزا" وكذا تخبيعة علاقتهما به، إلا أن هذه الضمائر جعلت التواصل الدلالي ممكنا.

" لقد حدثتني نفسي في تلك الساعة المائلة التي سمعتك فيها تؤامر على وخنك وأمتك بأفضع ما تحدث به نفس صاحبها، ولكنت على وشك أن أرفع أمرك إلى الملك أنت وزوجك وأكشف له دخيل أمركما فلم افعل لأنني ظننت بك على الموت الدنيء الذي يموته الخائنون المجرمون أمثالك "[2]

فقد أحالت "الياء" المتصلة بالفعل"حدثتني" إحالة مقامية داخلية إلى ذات المتكلم في المقطع السابق وهو "قسطنطين" وهي في محل نصب وكذلك"الكاف" المتصلة بالفعل"سمعتك" إلا أنها أحالتنا إلى المخاطب في ذلك المقام وهو القائد "برانكومير" كما أحالت إليه "الكاف" المتصلة بالأسماء التالية "وخنك، أمتك، أمرك، زوجك،

(1) المرجع السابق، ص: 32، 33.
(2) المرجع نفسه، ص: 41.

أمثالك" لأنه هو المخاطب دائما من خرف إبنه وهي في محل جر، أما "الهاء" المتصلة بالفعل "يموتونه" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "الموت الدنيء" التي جاءت سابقة عليها وهي في محل نصب أما الضمير المتصل الدال على المخاطب المثنى "كما" المتصل بالإسم "أمركما" فقد أحال إلى مخاطبين اثنين وهما (برانكومير) "أنت" و (زوجك) أي "بازيليد"، كما إتصلت الضمائر كذلك بالحروف حيث إتصلت "الهاء" بحرف الجر "بـ" وأحالت بعديا إلى كلمة "نفس" كما أحالت "الكاف" في "بك" مقاميا إلى المخاطب السابق ذكره.

" أيرضيك يا "ميشيل برانكومير" يا بطل البلقان وحاميها وأشرف من أنجبت به أصلاب رجالها وأرحام نسائها أن يملك العدو علينا هذه البلاد العزيزة الكريمة فيقتل أبناءها ويستحل حرماتها (...) قال: نعم يرضيني ذلك لأنني أحسنت إليها فكفرت بنعمتي وجازتني شر الجزاء على صنيعي" [1]

فقد أحالت "الكاف" المتصلة بالفعل "يرضيك" إحالة مقامية داخلية إلى ذات المخاطب المذكور بعدها وهو "ميشيل برانكومير" ومازال المخاطب دائما هو إبنه "قسطنطين" أما "الياء" المتصلة بالفعل "يرضيني، جازتني"فقد أحالت إحالة مقامية داخلية إلى القائد "برانكومير" ولكنه هو المتحدث بعد أن كان مخاطبا، فكانت كل الأفعال السابقة منسوبة إليه.

والضمائر المتصلة بالأفعال هي في محل نصب مفعول به، كما أحالت إليه كذلك "الياء" المتصلة بالأسماء"نعمتي، صنيعي" إلا أنها في محل جر.

أما "الهاء" المتصلة بالأسماء "نسائها، رجالها، حرماتها، أبنائها" فقد أحالت قبليا إلى كلمة "البلقان" السابقة عليها، كما إتصلت الضمائر بالحروف فقد أحالت "النون" الدالة على جمع المتكلمين والتي إتصلت بحرف الجر"على" إحالة مقامية داخلية إلى الحاضرين في

(1) المرجع السابق، ص: 43.

ذلك المقام وقد شملت "قسطنطين" ووالده لأنه لم يكن حاضرا في ذلك المكان أحدا سواهما وهي في محل جر.

فكان للضمائر المتصلة بالأسماء والأفعال والحروف دورا مهما في الربط بين أجزاء المقطع السابق وإيضاح المعنى وتفسيره مع تجنب التكرار والإخناب.

"قال: إنك تهينني يا "قسطنطين" وتهددني ولقد بلغت بوقاحتك الغاية التي لا غاية وراءها، فتجمل قليلا ولا تنس أنك إنما تخاخب أباك! قال: عفوا يا أبت وغفرانا، فلقد بلغ بي اليأس مبلغه حتى أصبحت لا أفقه ما أقول"[1]

فقد أحالت "الياء" المتصلة بالأفعال "تهينني، تهددني" إحالة مقامية داخلية إلى ذات المتكلم وهو "ميشيل برانكومير" وهي في محل نصب مفعول به، أما المخاخب فهو "قسطنطين" وقد أحالت إليه "الكاف" المتصلة بالأسماء "وقاحتك، أباك" وهي في محل جر كما أحالت إليه "الكاف" المتصلة بأداة النصب"إن" عندما كان هو المخاخب وهي في محل نصب إسمها.

و كذلك "ياء المتكلم" المتصلة بحرف الجر"ب" بعدما أصبح هو المتحدث.

فقد تنوع المحال إليه وتراوح بين "قسطنطين" تارة ووالده تارة أخرى والذي فسر ذلك وميزه هو الضمائر التي إتصلت بالأفعال والأسماء وحتى الحروف والتي فسرت المحال إليه في كل مرة وأشارت إليه وحددته.

" كيف يهنئك ذلك العيش وأنت ترى أبناء وخنك أسارى أذلاء في قبضة أعدائهم يسوقونهم بين أيديهم سوق الجزار ماشيته إلى الذبح فإن خفق قلبك خفقة الرحمة بهم أو العطف عليهم لا تستطيع أن تمد يدك لمعونتهم وإنقاذهم، لأنك قد بعتهم ونفضت يدك منهم فلا سبيل لك إليهم"[2]

(1) المرجع السابق، ص: 44.
(2) المرجع نفسه، ص: 45.

فقد أحالت "الكاف" المتصلة بالفعل "يهنئك" مقاميا إلى الشخص المخاطب في المقطع السابق وهو "برانكومير" أما الضمير الدال على جمع الغائبين "هم" المتصل بالفعل "يسوقون" فقد أحالت قبليا إلى المفعول به المذكور قبليا وهو "أبناء وخنك" والفاعل هو "أعداؤهم" كما أحالت إليه كذلك في الفعل"بعت" فالمفعول به يبقى "أبناء وخنك" كما إتصلت كذلك الضمائر المحيلة إليه بالأسماء، حيث نجد "أعداء، معونة، إنقاذ" وكلما أحالتنا قبليا إلى المفعول به السابق ذكره، كما أحالت إليه حتى الضمائر المتصلة بالحروف حيث نجد "بـ، على، إلى" والتي أحالت قبليا إليه، مما خلق نوعا من الاستمرارية الدلالية بين أول المقطع وآخره فكل ما جاء بعده كان مرتبطا به و محيلا إليه أما الضمير "هم" المتصل بالاسم "أيدي" فقد أحالنا قبليا إلى كلمة "أعدائهم" فكان للضمير المتصل "هم" محالين مختلفين الأول "أبناء وخنك" والثاني "أعدائهم" وكان لتعدد إتصالها بين الفعل و الإسم والحرف دورا مهما في تجلية المعنى وتوضيحه وكذا الربط الظاهري على سطح المقطع السابق.

" أذكر الدموع التي تذرفها الأمهات على أخفالهن المذبوحين فوق حجورهن والصيحات التي كانت تصيحها الزوجات والأخوات الواقفات بأبواب السجون على أزواجهن وإخوتهن والزفرات التي كان يصعدها اليتامى الثاكلون على حافات القبور حنينا إلى آبائهم و أمهاتهم الهالكين "[1]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تذرف" قبليا إلى كلمة "الدموع" ، كما أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تصيح" قبليا كذلك إلى كلمة"الصيحات" أما "الهاء" المتصلة بالفعل "يصعد" فقد أحالت قبليا إلى "الزفرات" وكلها في محل نصب مفعول به رغم إختلاف المحال إليه، كما نجد الضمير "هن" لجمع الغائبات والذي إتصل بأغلب الأسماء حيث نجده إتصل بـ "أخفال، حجور" وأحال قبليا إلى كلمة "الأمهات"، كما نجده كذلك قد إتصل بـ"أزواج، إخوة" وأحال هنا قبليا إلى كلمة "الأخوات" وقد إتصل الضمير"هم"

(1) المرجع السابق، ص: 46.

بالأسماء كذلك حيث نجد "آباء، أمهات" وأحال قبليا إلى كلمة "اليتامى" وقد كان لهذه الضمائر المتصلة ("الهاء"، هن) دور كبير في الربط على سطح النص وكذلك إبراز المعنى وتفسيره من خلال تنوع المحال إليه في كل مرة.

" أنا لم أذنب إلى أحد، لأن الرجل الذي قتلته كان يريد أن يقتل أمة بأسرها فأنقذتها بقتله"[1]

فالمحال إليه تنوع وتراوح بين "الرجل والأمة"، فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "قتلت" قبليا إلى كلمة "الرجل" السابقة عليها في أول المقطع وهي في محل نصب كما أحالت إليه كذلك "الهاء" المتصلة بالإسم "قتله" وهي في محل جر.

أما كلمة "الأمة" فقد أحالتنا إليها قبليا "الهاء" المتصلة بالفعل"أنقذت" وهي في محل نصب كما أحالت إليها كذلك "الهاء" المتصلة بالإسم "أسر" وبالتالي فقد أدى الضمير "الهاء" دورا مهما في الربط السطحي وكذلك الدلالي من خلال إختلاف المحال إليه وربطه بما جاء بعدها.

" قالت: ليتني أستطيع أن أكون عند ظنك يا سيدي، بل ليتني أستطيع أن أقاسمك هذه الهموم والأحزان التي تعالجها أو أحتملها عنك جميعا حتى لا أراك بين يدي إلا باسما متطلقا جميع أناتك وساعاتك، إنني أمتك الوضيعة المسكينة يا سيدي، وليس لفتاة مثلي أن تسألك عن سبب همومك وأحزانك".[2]

فالخطاب السابق موجه من "ميليتزا" إلى سيدها "قسطنطين" لذلك تنوعت الإحالة إليهما، فقد أحالت "الياء" المتصلة بالاسم المشبه بالفعل "ليت" إحالة مقامية داخلية إلى ذات "ميليتزا" المتحدثة وهي في محل نصب إسمها كما أحالت إليها الياء المتصل بأداة التشبيه "مثل" وهي في محل جر.

(1) المرجع السابق، ص: 51.
(2) المرجع نفسه، ص: 54 .

كما نجد "الكاف" المتصلة بالأسماء والأفعال والحروف والتي أحالت إلى المخاطب في ذلك المقام وهو "قسطنطين" فقد اتصلت بالأفعال "أقاسم، أرى، تسأل" وهي في محل نصب وأحالت إليه مقاميا، كما اتصلت كذلك بالأسماء "ظن، أناة، ساعات، أمة هموم أحزان" فقد إتصلت "الكاف" بكل الأسماء السابقة ونسبتها إلى المخاطب وكذلك إتصلت "الكاف" بالحرف "عن" وهي في الحالتين في محل جر.

كما نجد كذلك من الضمائر المتصلة "الهاء" بالأفعال "تعالج، أحتمل" والتي أحالتنا قبليا إلى كلمة "الهموم والأحزان" وهي في محل نصب.

كما إتصلت كذلك بالإسم "جميع" وأفادت الإحالة إلى ما سبق ذكره، إلا أنها في محل جر وأخيرا يمكن القول بأنه قد تنوعت الضمائر المتصلة بين "الياء" للمتكلم و"الكاف" للمخاطب و"الهاء" للغائب فأفادت الإحالة المقامية تارة والإحالة القبلية الداخلية القريبة تارة أخرى وبالتالي فقد أبرزت معان كثيرة و مختلفة زيادة على إفادتها الربط الشكلي السطحي للنص.

" بينما كان "قسطنطين" جالسا صبيحة يوم في غرفته، إذ دخل عليه حارس بابه يستأذنه لـ"بازيليد" أرملة أبيه، فانقبض صدره واشمأزت نفسه، لأنه لم يكن رآها ولا أذن لها بمقابلته مذ مات أبوه حتى اليوم، فأذن لها بعد لأي فدخلت عليه و حيته وجلست بجانبه"[1]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعلين "يستأذن، حيت" قبليا إلى كلمة "قسطنطين" السابق ذكره في أول المقطع وهي في محل نصب، كما أحالت إليه كذلك "الهاء" المتصلة بأغلب الأسماء حيث نجد "غرفته، بابه، أبيه، صدره، نفسه، أبوه، مقابلته، جانبه" فقد أحالت قبليا كذلك إليه، إلا أنها في محل جر.

أما "الهاء" المتصلة بالفعل"رأى" فقد أحالتنا قبليا إلى "بازيليد" وهي في محل نصب كما أحالت إليها كذلك "الهاء" المتصلة بالحروف حيث نجدها إتصلت باللام "لها" مرتين

(1) المرجع السابق، ص: 59.

في المقطع السابق والتي أحالت إلى "بازيليد" كذلك، فقد تنوع المحال إليه بين "قسطنطين" و"بازيليد" وكان المحيل دائما هو الضمير المتصل "الهاء" إلا أنه ميز المعنى ووضحه إضافة إلى قيامه بدور الترابط والتماسك الشكلي على سطح النص.

" وقد علم الجند ساعة حضوره، فهم ينتظرونه في هذه الساحة حتى إذا خلع عليهم في موكبه هرعوا إليه ضاجين صارخين يتقدمهم جرحاهم وزمناهم ورموك بين يديه بتلك التهمة العظيمة التي يرددونها ويصيحون بها في كل مكان"[1]

فقد أحالتنا "الهاء" المتصلة بالفعل "ينتظرون" قبليا إلى كلمة "الملك" التي سبق ذكرها في مقطع سابق من النص وهي في محل نصب.

كما إتصلت "الهاء" كذلك بالأسماء "حضور، موكب، يدي" وكذلك بالحروف حيث نجد "إليه" وقد أحالنا قبليا كذلك إلى كلمة "الملك" وهي جميعا في محل جر.

أما الضمير المتصل الدال على جمع الغائبين"هم" والذي إتصل بالفعل "يتقدم" فقد أحالنا قبليا إلى كلمة "الجند" التي سبق ذكرها في أول المقطع وهي في محل نصب، كما إتصل هذا الضمير بالأسماء كذلك حيث نجد "جرحاهم، زمناهم" وأحالتنا قبليا إلى كلمة "الجند" دائما كما نجد كذلك "الهاء" المتصلة بالفعل "يرددون" أحالتنا قبليا إلى كلمة "التهمة العظيمة" وهي في محل نصب، كما أحالت إليها كذلك "الهاء" المتصلة بحرف الجر"بـ" وهي في محل جر، كما أحالت الكاف المتصلة بالفعل "رموا" مقاميا إلى المخاطب وهو "قسطنطين" وهي في محل نصب.

فقد تنوعت الضمائر المتصلة وتعدد إتصالها بين الأسماء والأفعال والحروف كما تعدد العنصر المحال إليه كذلك، فكان هذا المقطع متماسكا مترابطا واضح المعنى والدلالة.

(1) المرجع السابق، ص: 61.

" ولتطل حياتك على ظهر الأرض لتطول آلامك وأحزانك حتى إذا نزل بك الموت نزل بهيكل يابس من العظم، قد أحرقته اللوعات و أضو ته الحسرات و إفترسته الهموم والأحزان "[1]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال "أضوت، افترست، أحرقت" قبليا إلى كلمة "هيكل يابس من العظم" وهي في محل نصب.

أما "الكاف" المتصلة بالأسماء "حياة، آلام، أحزان" فقد أحالتنا مقاميا إحالة داخلية إلى ذات المخاطب في ذلك المقام وهي "بازيليد" من خرف "قسطنطين" كما أحالت إليها "الكاف" المتصلة بحرف الجر "بـ" فكانت "الكاف" المتصلة بالأسماء والحروف على حد سواء في محل جر.

وأدت دورا مهما في الربط بين أجزاء المقطع وإفادة العديد من المعاني.

" إنني لا أستطيع أن أبرىء نفسي إلا إذا إتهمت أبي، وقد قتلته مرة فلا أقتله مرة أخرى! ثم إبتسم إبتسامة الممتعض وقال في نفسه: قد كنت أخلب الموت بكل سبيل حتى جاءني يسعى إلي بقدميه فلم أخشاه وأرتاع منه؟ "[2]

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال "قتلت، أقتل" قبليا إلى كلمة "أبي" كما أحالت "الياء" المتصلة بالفعل "جاء" إحالة مقامية داخلية إلى ذات المتكلم في المقطع السابق وهو "قسطنطين"

أما "الهاء" المتصلة بالفعل "أخشى" فقد أحالت قبليا إلى كلمة "الموت" وهي كلها في محل نصب مفعول به، أما "الهاء" المتصلة بالأسماء فقد أحالت في كلمة "نفس" قبليا إلى المتحدث وهو "قسطنطين" الذي سبق ذكره في مقطع آخر سابق من النص، أما عند إتصالها بـ "قدميه" فقد أحالت قبليا إلى كلمة "الموت" وكلاهما في محل جر وبالتالي تنوع المحال إليه بتنوع الضمير المحيل، وتراوح بين ذات المتحدث "قسطنطين" وبين

(1) المرجع السابق، ص: 64.
(2) المرجع نفسه، ص: 66، 67.

الإحالة القبلية لأبيه وكذلك إلى "الموت" فكان المقطع متماسك الأجزاء متلاحما شكليا ودلاليا.

" ولم يكن للناس حديث فيه سوى حديث "قسطنطين" وجريمته التي إجترمها والجزاء الذي سيلقاه في سبيلها، وكلهم يتمنى بجدع أنفه أن يشاهد مصرعه ويرى دماءه تتدفق من بين لحييه" (1)

فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "إجترم" قبليا إلى كلمة جريمته أما "الهاء" المتصلة بالفعل "سيلقى" أحالتنا قبليا إلى "الجزاء" وكلاهما في محل نصب مفعول به، أما "الهاء" المتصلة بالأسماء "جريمته، مصرعه، دمائه، لحييه، أنفه" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "قسطنطين"، في حين أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "سبيلها" قبليا إلى كلمة "جريمته" فكانت للضمير المتصل والذي تنوع إتصاله بين الأفعال والأسماء إحالات عديدة ومتنوعة وفسرت المحال إليه وحددته وميزته عن غيره فكان لها دور مهم في ترابط النص الشكلي وتماسكه الدلالي.

" فكل ما كان مني لك أنني أنقذتك من تلك الميتة الدنيئة السافلة التي كنت تريدها لنفسك(...) و ألبستك تاجا أشرف من ذلك التاج الذي كنت تطلبه وتسعى إليه وأجلستك على عرش أرفع من جميع عروش الأرض وهو عرش التاريخ!، (...) هنيئا لك مجدك وشرفك وصيتك وسمعتك أهنئك لا تهنئة الهازئ الساخر بل تهنئة الفارح المغتبط لأنك أبي"(2).

فقد أحالت "الكاف" المتصلة بالأفعال "أنقذت، ألبست، أجلست، أهنيء" إلى المخاطب وهو والد "قسطنطين" ولكنه لم يكن حاضرا معه حقيقة بل كان يخاطب تمثاله المنتصب في الساحة العامة وبالتالي فقد أحالتنا "الكاف" المتصلة بالأفعال السابقة مقاميا إحالة داخلية إلى التمثال وهي في محل نصب مفعول به والفاعل

(1) المرجع السابق ، ص: 69.
(2) المرجع نفسه ، ص: 70، 71.

هو "قسطنطين" حيث نسب كل الأفعال إلى نفسه، كما أحالت "الكاف" المتصلة بالأسماء إلى التمثال المخاطب في ذلك المقام حيث نجد "مجدك، شرفك، صيتك سمعتك" فقد أحالت إلى المفعول به السابق ذكره إلا أنها هنا في محل جر، كما أحالتنا "الهاء" المتصلة بالفعل "تريد" قبليا إلى كلمة "الميتة الدنيئة" أما "الهاء" المتصلة بالفعل "تطلب" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "التاج" وكلاهما في محل نصب مفعول به كما أحالت إليه "الهاء" المتصلة بحرف الجر "إلى" وهي في محل جر إسم مجرور وكذلك أحالت الياء المتصلة بـ "أبي" إحالة مقامية داخلية إلى ذات المتكلم وهو "قسطنطين" فقد تنوعت الضمائر المتصلة بين "الكاف" و"الهاء" و"الياء" وتنوع المحال إليه تبعا لتنوعها، وتراوح بين "قسطنطين" و"والده" و"التاج" و"الميتة الدنيئة" فأفادت ربط الكلمات السابقة سطحيا وإبراز العلاقة الموجودة بينها على المستوى الدلالي فكان لها عظيم الأثر في إبراز المعنى.

" فاستمر يقول: وأن تظل خوال أيام حياتك مقرونا بأغلالك هذه إلى قاعدة تمثال أبيك، ليتردد وجهه في وجهك ليلك ونهارك، فتموت في مكانك حياء منه وخجلا وأن يؤذن لكل مار بك من علية الناس و غوغائهم أن يبصق على وجهك ويصفعك على قذالك وينال منك ما يشاء إلا أن يسلبك حياتك"[1]

فالملاحظ للمقطع السابق نجد بأن "الكاف" المتصلة سواء بالأفعال أو الأسماء أو الحروف قد تكرر ورودها حيث اتصلت بالأفعال "يصفع، يسلب" والتي أحالتنا مقاميا إحالة داخلية إلى ذات المخاطب وهو "قسطنطين" وهي في محل نصب، كما اتصلت كذلك بالأسماء حيث نجد "أغلالك، حياتك، أبيك، وجهك، ليلك، نهارك، مكانك، وجهك قذالك، حياتك" كل هذه الأسماء اتصلت بها "كاف المخاطب" وأحالت دائما إلى الشخص الذي ستنفذ فيه كل تلك الأحكام السابقة، إضافة إلى اتصالها بالحروف حيث اتصلت بحروف الجر "ب، من" و هي في محل جر في الحالتين.

(1) المرجع السابق، ص: 73.

كما نجد "الهاء" المتصلة بالاسم"وجهه" وكذلك بحرف الجر"من" والتي أحالت قبليا إلى كلمة "أبيك"، إلا أن "كاف" المخاطب كان ورودها بنسبة أكبر فأفادت نسبة كل الأحكام السابقة إلى "قسطنطين" وربطت كل الأسماء والأفعال الواردة به، فكان لها دور كبير في استمرار المعنى والدلالة القائمة في المقطع السابق، إضافة إلى دورها في الربط الشكلي على سطح النص.

" فليبق لك أيها المسكين على الأقل قلب واحد يرحمك ويعطف عليك! و ضمته إلى صدرها كأنها تريد أن تقيه بنفسها، فسمع الملك صوتها فالتفت فرآها، ولم يكن يعرف من شأنها شيئا فعجب لأمرها وأشار إلى الجماهير بالسكوت حتى يعلم ما خطبها"[1]

فقد أحالت "الكاف" المتصلة بالفعل "يرحم" إحالة داخلية مقامية إلى ذات المخاطب في ذلك المقام وهو "قسطنطين" كما أحالت إليه كذلك "الهاء" المتصلة بالأفعال "ضمت تقي" قبليا إليه كذلك وكلاهما في محل نصب مفعول به، كما أحالت إليه كذلك "الكاف" المتصلة بالحروف "لـ، على" إلا أنها في محل جر.

أما "الهاء" المتصلة بالفعل"رأى" فقد أحالت قبليا إلى "ميليتزا" التي حاولت الدفاع عن "قسطنطين" ورأت بأنها القلب الوحيد الذي مازال يعطف عليه وهي في محل نصب مفعول به.

كما أحالت إليها كذلك"الهاء" المتصلة بالأسماء "صدر، صوت، شأن، أمر، خطب" فكلها متعلقة بـ"ميليتزا"ومحيلة إليها إلا أنها في محل جر.

فقد تنوعت الضمائر المتصلة "الهاء" و"الكاف" كما تنوع اتصالها بين الأسماء والأفعال والحروف، وتنوعت إحالاتها تبعا لذلك بين الإحالة المقامية وكذلك القبلية "لقسطنطين" وبين الإحالة القبلية "لميليتزا" التي حاول الملك أن يعرف سبب حمايتها

(1) المرجع السابق، ص: 74.

ودفاعها عنه فتنوعت المعاني والدلالات تبعا لتنوع هذه الضمائر المتصلة، كما أدت دورا بارزا في ترابطه الشكلي على سطح المقطع السابق.

وجنبنا الكثير من التكرار من خلال التواصل الدلالي الذي حققته.

كانت هذه أهم المقاطع التي تضمنت الضمائر المتصلة في محل نصب مفعول به أو في محل جر اسم مجرور أو مضافا إليها.

وقد ألغيت العديد من المقاطع التي تضمنت إحداها فقط إلا أنني ارتأيت أن أنقل المقطع التالي لأختم به هذا الجزء لشدة إعجابي بمعانيه السامية التي تأثرت بها كثيرا وهو :

" فعلم الناس، ولكن بعد عهد خويل، وبعد أن تبدلت شؤون البلقان غير شؤونه أن "قسطنطين برانكومير" أشرف الناس وأفضلهم وأعظمهم وخنية وإخلاصا لأنه ضحى أباه في سبيل إنقاذ وخنه، ثم ضحى نفسه في سبيل إنقاذ شرف أبيه فبلغ في وخنيته وشرف نفسه الغاية التي لا غاية وراءها"[1]

(1) المرجع السابق، ص: 77.

البنية الإحالية لأسماء الإشارة

لقد تنوعت الأدوات الإحالية التي استخدمها الكاتب ولعل أبرزها أسماء الإشارة إفرادا ونسبة وجمعا، فقد لعبت دورا كبيرا في تماسك النص واتساقه، لذا فقد تنوع إستخدامها لتكسب الرواية صفة التلاحم والتماسك، فقد إنتشرت هذه الأسماء وتنوعت بحسب عدد المشار إليه ونوعه (تذكيرا و تأنيثا)

وينقسم إسم الإشارة ـ بحسب المشار إليه ـ إلى ثلاثة أقسام:

ما يشار به للمفرد وما يشار به للمثنى وما يشار به للجماعة وكل من هذه الثلاثة ينقسم إلى مذكر ومؤنث [1] ثم إن المشار إليه إما أن يكون قريبا أو بعيدا[2] لأن إسم الإشارة يدل على معين بواسطة إشارة حسية باليد و نحوها[3]

ومن أبرز الأسماء التي وصفها المنفلوطي على سطح الرواية نجد:

الإحالة بواسطة إسم الإشارة "هذا":

وهذه بعض المقاطع من الرواية تؤكد دور إسم الإشارة "هذا" في تحقيق الربط من خلال الإحالة:

" ولم يزل هذا شأنها معه حتى مات الملك "ميلوش" وجاءت الساعة التي تنتظرها"[4]

فإسم الإشارة "هذا" أدى دورا مهما في الربط بين أجزاء هذه الجملة حيث قام بالإحالة البعدية إلى كلمة "شأن".

"هذا ما كان يشغل القائد و زوجته في ذلك التاريخ، أما إبنه "قسطنطين" فقد كان بمعزل عن هذا كله"

(1) ينظر: إبن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب للطباعة والنشر، ص: 109.
(2) المرجع نفسه، ص:111.
(3) ينظر: عفت وصال حمزة، أساسيات في علم النحو، دار إبن حزم للطباعة، بيروت- لبنان، ط1، 2003 ص: 102.
(4) مصطفى لطفي المنفلوطي، في سبيل التاج، دار النفيس، الجزائر، ص: 13.

فاسم الإشارة"هذا" في أول الجملة أدى دور الإحالة القبلية لما سبق، بل إنه حقق إحالة موسعة إلى فقرة كاملة سابقة عليه، أما "هذا" في آخر المقطع السابق فقد حقق إحالة قبلية وهو بنفس إحالة "هذا" الأولى فـ" قسطنطين" كان بمعزل عن كل الأحداث السابقة التي سردها المنفلوخي في عدة أسطر وبالتالي فقد أحال إحالة موسعة إلى فقرة بكاملها.

" وإنه ليتأثر الجيش المنهزم ويشتد في أعقابه إذ لمح على البحر فارسا تركيا قابضا بيده على شعر فتاة مسكينة يريد إقتسارها وإكراهها على الركوب معه، وهي تمتنع وتتأبى وتحاول الإفلات من يده فيضربها بسوخه ضربا مؤلما وجيعا فأزعجه هذا المنظر"[1]

فاسم الإشارة "هذا" كان له دور مهم جدا في الإحالة القبلية الموسعة إلى الأحداث السابقة كلها والمجسدة في كلمة المنظر.

" حتى قيض اللّه لها هذا الفتى الكريم فاستنقذها من يده وأشارت إلى قسطنطين"[2]

فـ"هذا" في المقطع السابق حقق إحالة بعدية إذ ربط الأحداث السابقة عليه بما بعده وهي الإشارة إلى الفتى الكريم " قسطنطين" الذي جاء بعد إسم الإشارة "هذا"

" وكانت حاضرة تسمع حديثه فنظرت إليه نظرة الازدراء و الاحتقار وكان هذا شأنها معه كلما التقت به"[3]

فقد حقق"هذا"الإحالة القبلية إلى (نظرات إليه نظرة الازدراء و الاحتقار)

"فثارت ثورة الغضب في نفسه وأضغنه عليها هذا الرياء الكاذب والشرف المتكلف"[4]

فـ"هذا" في المقطع السابق حقق إحالة بعدية إلى ما جاء بعده حين ربط الجزء السابق(ثارت ثورة الغضب في نفسه وأضغنه عليها) ماذا؟ إنه الرياء الكاذب والشرف

(1) المنفلوطي، في سبيل التاج، ص: 14.
(2) المرجع نفسه، ص 14.
(3) المرجع نفسه، ص 14.
(4) المرجع نفسه، ص: 15.

المتكلف، فالربط بين جزأي الجملة تحقق من خلال اسم الإشارة، وهذا ما نلمسه في المقطع التالي كذلك:

" فما هو ذنبها، وما هي جريمتها وأي حيلة لها في هذا المصير الذي ساقها القدر إليه"[1]

فالإسم "هذا" أشار إلى ما بعده وهو المصير الذي ساقها القدر إليه.

" فعظم الأمر على "برانكومير" وأكبر أن يخاخب ولده زوجته المحبوبة هذا الخطاب الجافي الغليظ"[2]

فـ"برانكومير" وهو والد قسطنطين كبر عليه أن يخاخب ولده زوجته هذا الخطاب الجافي الغليظ، فـ"هذا" اسم الإشارة حقق الربط بين أجزاء الجملة من خلال الإحالة البعدية لما جاء بعده (الخطاب الجافي الغليظ) وربطه بما سبقه.

" ولا تفهم من شؤون حياتها إلا أنها فرد مبهم من أفراد هذا المجتمع المائج المضطرب"[3]

فالفتاة التي أنقذها قسطنطين كانت لا تفهم من شؤون حياتها شيئا ولا نفقة حتى من تكون وما هو وخنها أو دينها ومذهبها، كانت لا تدرك سوى أنها فرد مبهم من أفراد هذا المجتمع المضطرب، فهذا ربط بين جزأي الجملة السابقة من خلال الإحالة البعدية إلى "المجتمع المائج المضطرب".

"فإن لم تكن الملك الجالس على عرش "فيدين" فأنت الملك المتبوئ عرش الأفئدة والقلوب، واعلم أنني ما قدمته إليك مقدمي هذا لأعتذر عندك من ذنب أذنبته إليك"[4]

فاسم الإشارة "هذا" أحال إحالة قبلية إلى الجملة السابقة عليه وهي" ما قدمت إليك مقدمي" وبالتالي فقد حقق الربط بين أجزاء الجملة، و"هذا"قد حقق التأكيد، فلو حذفنا إسم الإشارة هذا لكانت الجملة تفتقد للكثير من الترابط على مستوييها الشكلي والدلالي معا.

(1) المرجع السابق، ص: 16.
(2) المرجع نفسه، ص:17.
(3) المرجع نفسه، ص 17.
(4) المرجع نفسه، ص: 23.

" أقسم لك بشرفي وشرف "بيزنطة" لو كان هذا الوخن وخني وكانت تربته مدفن آبائي وأجدادي لما بعتك ذرة واحدة من ترابه بجميع عروش الأرض وتيجانها"[1]

فاسم الإشارة "هذا" أحال إحالة بعدية لأن المشار إليه وهو الوخن قد جاء بعده، فالملكة قد أقسمت بشرفها وشرف وخنها أنه لو كان هذا الوخن الذي ستسلمه إياه هو وخنها وتربته هي مدفن آبائها وأجدادها ما سمحت فيه باعت ذرة واحدة منه ولو كان الثمن عروش الأرض كلها وتيجانها .

واسم الإشارة "هذا" أدى دورا بارزا في الربط بين القسم والشيء المقسوم عليه.

"فهي تبكيه ولا يشعر ببكائها، وتهتف باسمه ليلها ونهارها ولا يسمع نداءها، ولا يزال هذا شأنها حتى يوافيها أجلها فير يحها"[2]

فاسم الإشارة "هذا" أحال إحالة قبلية موسعة إلى مجموعة الجمل السابقة عليه، "فهذا" يحيلنا إلى مجموعة الأحداث السابقة" تبكيه ولا يشعر ببكائها، وتهتف باسمه ليلها ونهارها ولا يسمع نداءها"

"هذا هو الحب الطاهر البريء الذي لا تشوبه الأغراض والغايات ولا تحيط به الريب والشكوك، والذي خالما نشده الناس فأظلوه" [3]

فالكاتب قد بدأ الفقرة كلها باسم الإشارة "هذا"، والذي أحال بعديا فالمشار إليه هنا هو الحب الذي وصفه الكاتب بأنه حب خاهر بريء لا تشوبه الأغراض والغايات، حب روحي خاهر بعيد عن الريب والشكوك، هذا الحب الذي ناشده الكثير فما وجدوه ولا أدركوه.

(1) المرجع السابق ، ص: 30.
(2) المرجع نفسه ، ص: 31.
(3) المرجع نفسه، ص 31.

"فسمعه يقول بنغمة الفارح المغتبط ، بعد كلام كثير لم يفهمه: نعم هذا هو الرأي السديد"[1] فهذا أحال قبليا إلى الكلام الكثير الذي قاله أبوه لزوجته والذي لم يفهمه "قسطنطين" لأنه كان بصوت خافت".

"ولم يبق ساهرا وسط هذا السكون المخيم إلا عينا القائد "برانكومير" في شعب تراجان يديرها هاهنا وهاهنا"[2]

فهذا أحال بعديا إلى السكون المخيم، وقد ربط بين جزأي الجملة فبعد أن جثم الليل ونشر أجنحته السوداء على الكون لم يبق وسط هذا السكون والظلام سوى عينا القائد "برانكومير".

"أقسمت لك أن أخون وخني وها أنذا أخونه كما أردت راضيا مستسلما لا أندبه ولا أرثي له فرضاك هو الوخن كله، بل هو الدنيا بأجمعها فليذهب الوخن كله، وليفن العالم بأسره فأنت لي كل شيء فيهما.

وكان يحدث نفسه هذا الحديث وهو جالس على رابية"[3]

فاسم الإشارة"هذا" قد حققت الربط والتواصل بين الفقرة السابقة والجملة التي جاءت بعده، حيث حقق الإحالة الموسعة إلى فقرة بكاملها فقد حدث القائد "برانكومير" نفسه بكل ما جاء في الفقرة السابقة، وبالتالي فاسم الإشارة "هذا" قد أحال إحالة قبلية موسعة "مالي أراك جامدا يا أبت؟ وما هذا الذهول الذي يتولاك؟"[4]

فاسم الإشارة "هذا" أحال بعديا إلى الذهول الذي أصاب والد "قسطنطين" وقد حقق الرابط بين الجملتين الاستفهاميتين ما لي أراك؟ وما هذا؟

(1) المرجع السابق ، ص: 35.
(2) المرجع نفسه ، ص: 36.
(3) المرجع نفسه، ص: 37.
(4) المرجع نفسه، ص: 40.

"أشفقت عليك من كل هذا، وأشفقت على نفسي أن يراني الناس في خريقي فيشيروا إلي بأصابعهم ويقولوا: هذا هو الولد السافل الذي وشى بأبيه"[1]

فالمقطع السابق من الرواية إشتمل مرتين على اسم الإشارة"هذا" وهذا تأكيد على عناية الكاتب الفائقة في توظيفه واستعماله للربط بين أجزاء النص، فاسم الإشارة "هذا" في الجملة الأولى أحال قبليا إلى مقطع كامل من الرواية لم نذكره هاهنا، فقد أشفق الولد على أبيه من أن يمر الناس على قبره فيبصقون عليه، وليعتبرونه قبر شيطان، بل وربما نبشوا على جثته تشفيا منه و انتقاما [2]...

"فهذا" أحال قبليا إحالة موسعة إلى مجموعة من الجمل المترابطة بالواو تارة وبالفاء تارة أخرى.

أما اسم الإشارة"هذا" في الجملة الثانية فقد أحال بعديا إلى الولد السافل الذي وشى بأبيه.

"إنني على ثقة من نفسي، لم أفعل إلا ما يجب على كل رجل شريف أن يفعله، فما هذا الخوف الذي يساورني؟"[3]

فاسم الإشارة "هذا" أحال بعديا إلى كلمة "الخوف"

" لقد كنت أخلب الموت قبل دخولك وأتمناه تمنيا شديدا حتى رأيتك ورأيت هذا الجمال المتلألئ"[4]

فاسم الإشارة في المقطع السابق قد أحال بعديا أيضا ولكن هذه المرة إلى "الجمال المتلألئ".

(1) المرجع السابق ، ص: 42.
(2) ينظر:المرجع نفسه، ص: 42.
(3) المرجع نفسه، ص: 51.
(4) المرجع نفسه ، ص: 53.

" و قد بدأت تفهم ذلك السر الهائل الذي أعياها أمره زمنا خويلا وتدرك السبب في حزن "قسطنطين" هذا الحزن الشديد "[1]

فاسم الإشارة "هذا" قد أحال بعديا إلى "الحزن الشديد" وربطها بما سبق.

"لم أر في حياتي ثاكلا حزن على فقيده حزن هذا المسكين"[2]

فاسم الإشارة في المقطع السابق من الرواية أحال بعديا إلى كلمة "المسكين".

" أقسم لك يا أبت لو أن مكروها أصابك من هذا الجرح..."

فقد أحال إسم الإشارة في الجملة السابقة بعديا إلى "الجرح".

وتجدر الإشارة إلى أن أسماء الإشارة تقوم عادة بالإحالة القبلية والبعدية في النص[3].

" فدنت "بازيليبد" منه وقالت له: قد علمت الآن أنني لم أكذبك القول ولم أخدعك وأنني لم أقدم إليك مقدمي هذا في هذه الساعة العصيبة إلا لتخليصك"[4]

فقد أحال إسم الإشارة "هذا" قبليا إلى "لم أقدم إليك".

"إنني أتهم هذا الرجل بخيانة قومه وممالأة أعدائهم عليهم"[5]

فاسم الإشارة "هذا" قد أحال بعديا إلى كلمة "الرجل".

ولم يكن للناس حديث فيه سوى حديث "قسطنطين" وجريمته التي اجترمها والجزاء الذي سيلقاه في سبيلها وكلهم يتمنى بجدع أنفه أن يشاهد مصرعه ويرى دماءه تتدفق من بين لحييه.

ولم يزل هذا شأنهم حتى دنا اليوم الذي يجتمع فيه مجلس القضاء"[6]

(1) المرجع السابق ، ص: 54.
(2) المرجع نفسه، ص: 57.
(3) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19.
(4) المنفلوطي، في سبيل التاج، ص: 60، 61.
(5) المرجع نفسه، ص: 66.
(6) المرجع نفسه ، ص: 69.

فاسم الإشارة "هذا" أدى دورا مهما في ربط الفقرة السابقة عليه بالفقرة اللاحقة فقد أحال قبليا إحالة موسعة إلى فقرة بأكملها، وأكد استمرارهم على ذلك الحال إلى غاية اجتماع مجلس القضاء.

فمن خلال بعض المقاطع المستشهد بها تأكد لنا الدور الهام الذي أداه إسم الإشارة "هذا" في الربط بين جمل النص، لا بل بين فقراته، كما تنوعت إحالته فكانت قبلية تارة وبعدية تارة أخرى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إسهامه الكبير في تحقيق تماسك النص وتلاحمه.

2ـ الإحالة بواسطة إسم الإشارة "هذه":

لقد تنوع استخدام اسم الإشارة"هذه" في أجزاء عديدة من الرواية وفيما يلي سنعرض لبعض الفقرات التي استخدم فيها الكاتب الإحالة بواسطة إسم الإشارة المؤنث "هذه".

" توفيت زوجة الأمير"برانكومير" منذ عامين وكانت امرأة من النساء الصالحات القانتات ذوات النفوس العالية والهمم الكبرى، فورث إبنها عنها هذه الأخلاق الكريمة"[1]

فاسم الإشارة "هذه" أحال بعديا إلى كلمة الأخلاق الكريمة وبالتالي فهناك تطابق بين إسم الإشارة والعنصر المشار إليه وكلاهما مؤنث.

"إننا ما أصبنا بما أصبنا به من هذه النكبة الشعواء والداهية الدهياء"[2]

فاسم الإشارة "هذه" أحال بعديا إلى "النكبة الشعواء".

" ولولا هذه الرايات الحمر التي ألقيتها اليوم تحت قدمي بأهلتها البيضاء لما اغتفرت لك هذه الجريمة التي إجترمتها"[3]

(1) المرجع السابق، ص: 12.
(2) المرجع نفسه، ص: 16.
(3) المرجع نفسه، ص: 17.

فقد وظف الكاتب اسم الإشارة "هذه" مرتين وكلاهما أحال بعديا، الأولى أحالت إلى "الرايات الحمر" والثانية أحالت إلى "الجريمة "وقد تحقق التطابق بين إسم الإشارة والعنصر المشار إليه من حيث التأنيث.

" أهكذا قضي على الإنسان في هذه الحياة ألا تخلص نفسه من شوائب الرذيلة والشر"[1]

فـ"هذه" أحالت بعديا إلى كلمة الحياة وربطتها بالتساؤل الذي سبقها.

" ولا أعلم لخطته هذه سببا سوى ذلك البغض الشديد الذي لا يزال يضمره لي"[2]

فاسم الإشارة هذه أحال قبليا إلى كلمة "خطته".

"وهكذا ظلت "ميليتزا" تسمع أمثال هذه الأحاديث"[3] فقد أحال إسم الإشارة "هذه"بعديا إلى كلمة الأحاديث وربطها بما قبلها.

" فآثرت بقاءك في هذه القلعة تحميها"[4]

فقد أحال إسم الإشارة بعديا إلى كلمة "القلعة".

" ونظرت إليه نظرة عتب وتأنيب، وقال له: إن "برانكومير" يا صديقي ليس موجودا معنا لنخدعه بأمثال هذه الأساليب الكاذبة"[5]

فاسم الإشارة "هذه" أحال بعديا إلى كلمة "الأساليب" والتي ربطتها بكلمة أمثال وكلاهما جاء بصيغة الجمع وهذا تطابق بين العنصر المشار إليه وما يربطه به.

"لأنكم إنما أردتم بامتلاك هذه البلاد واستعمارها أن تتخذوا من حصونها وقلاعها وجبالها وأسوارها ودماء أبنائها (...) وقاية لكم"[6]

(1) المرجع السابق ، ص: 18.
(2) المرجع نفسه، ص: 21.
(3) المرجع نفسه ، ص 21.
(4) المرجع نفسه ، ص: 23.
(5) المرجع نفسه، ص: 26.
(6) المرجع نفسه، ص: 28.

فاسم الإشارة في المقطع السابق أحال بعديا إلى كلمة"البلاد" وقد أضفى تلاحما على سطح الجملة ومعناها من خلال"هذه" فكان لها دور في تحديد وتعيين كلمة"البلاد" ولو حذفنا اسم الإشارة للمسنا تفككا على سطح الجملة ومعناها ولم نتأكد أي بلاد يقصدها.

"فإن كان لا بد لنا من أن نذرف قطرة من دموعنا على شقي في هذه الأرض، فلنذرفها على والد ثكل ولده"[1] فاسم الإشارة أحال بعديا إلى كلمة "الأرض".

" ولقد ظفر" قسطنطين" من تلك الفتاة بهذه النفس المخلصة المتعبدة"[2]

فقد أحالت بعديا إلى كلمة "النفس" التي وصفها بأنها مخلصة متعبدة كما دلت على قرب هذه النفس المخلصة من "قسطنطين".

"ألا تطوبين معي يا" ميلتزا" لهذه النغمات الشجية؟"[3]

فهذه أحالت بعديا لكلمة النغمات، كما دلت على قرب صوت الأنغام التي كان يسمعها "قسطنطين" والتي كانت شجية وجعلتها مرتبطة بالفعل في أول الجملة وهو"تطربين".

" وما هذه الكآبة السوداء التي تتدجى في عينيك؟"[4]

فاسم الإشارة أحال بعديا إلى كلمة الكآبة السوداء.

"فطارت نفس "قسطنطين" شعاعا عند سماع هذه الكلمات"[5]

"هذه" أحالت بعديا إلى الكلمات وربطتها بمعنى الجملة السابقة فما خارت نفس "قسطنطين" إلى بعد سماع هذه الكلمات، فأفاد اسم الإشارة التعيين والتخصيص

(1) المرجع السابق ، ص: 29.
(2) المرجع نفسه، ص: 31.
(3) المرجع نفسه ، ص: 32.
(4) المرجع نفسه، ص: 35.
(5) المرجع نفسه، ص 35.

والربط بما سبق، ثم أعاد الكاتب توظيفه في موضع غير بعيد في المقطع التالي :"فما سمع "قسطنطين" هذه الكلمة حتى أظلمت عيناه"[1]

فـ"هذه" أحالت بعديا إلى كلمة"الكلمة" وربطتها بأول الجملة تارة"سمع" وتارة أخرى بآخر الجملة" حتى أظلمت عيناه".

" واكتم عملك عن عيون الناس جميعا، فإني ناظر إليك، ومسجل عليك هذه الجناية العظمى التي تجنيها على وخنك وقومك"[2]

فـ"هذه" أحالت بعديا إلى كلمة "الجناية العظمى" وربطتها بما قبلها، فهذه الجناية هي التي كتمها القائد "برامكومير" عن عيون الناس جميعا، وهي التي سجلها عليه الصوت الصائح الذي كان يتهيأ له بأنه يردد على مسامعه هذه العبارة.

" كيف فارقت حصنك في هذه الساعة من الليل؟"[3]

أحالت بعديا إلى كلمة "الساعة"، واستعمال اسم الإشارة "هذه" يدل على أن الوقت الذي فارق فيه قسطنطين حصنه قد كان متأخرا جدا وهو ما أثار إستغراب والده واندهاشه...

" فإذا ضاع وخني وكان ضياعه على يدك أنت فقد فقدت في ساعة واحدة جميع ما أحب في هذه الحياة"[4]

أحال إسم الإشارة بعديا إلى كلمة "الحياة" وربطها بما قبلها.

فإذا ضاع وخن "قسطنطين" وكان ضياعه على يد والده خصيصا، فإنه سيكون قد فقد في ساعة واحدة جميع ما يحب، ولا شيء أحب إلى نفس الإنسان من وخنه ووالديه.

"فإنني قد عزمت عزما لا مرد له أن أقتحم هذه الرابية لأضرم نارها"[5]

(1) المرجع السابق ، ص 35.
(2) المرجع نفسه، 36.
(3) المرجع نفسه، 38.
(4) المرجع نفسه ، ص:41.
(5) المرجع نفسه، ص:42.

أحال إسم الإشارة "هذه" إلى كلمة الرابية التي أتت بعدها وربطتها مع الفعل السابق عليها وهو"اقتحم" فكانت الجملة متماسكة الأجزاء، وهو نفس ما حققته "هذه" في المقطع التالي من الرواية:

" وقد عزمت على ألا أشعل هذه النار فلا أشعلها ولا آذن لك بإشعالها"[1]

حيث أحال إسم الإشارة "هذه" إلى كلمة "النار"التي أتت بعدها فأحالت بعديا وربطت كلمة النار بالفعل"أشعل".

"وكان ما سمعاه في هذه المرة حقيقة لا وهما"[2]

أحال إسم الإشارة بعديا إلى كلمة المرة اللاحقة عليها، وقد أفاد التخصيص والتأكيد ففي هذه المرة كان ما سمعه "قسطنطين" وأبوه حقيقة لا وهما.

" وما هذه الصور المخيفة التي تتراءى لي في يقظتي وأحلامي؟"[3]

فأحال إسم الإشارة بعديا إلى كلمة "الصور" المخيفة التي كانت تتراءى له في يقظته كما في أحلامه.

"أتعلمين يا "مليتزا" أنني أستنشق في هذه الأزهار التي تهدينها إلي أنفاسك الأريجة العطرة وأن الذي ينعشني و يحييني ويرفه عني همومي وآلامي في هذه الباقة إنما هو أريجك لا أريج الأزهار؟"[4]

ففي المقطع السابق من الرواية استعان الكاتب مرتين باسم الإشارة هذه للربط بين أجزائها المتباعدة، فصارت كلا موحدا، إذ أحال اسم الإشارة في المرة الأولى بعديا إلى كلمة الأزهار وربطتها بالفعل الذي قبلها وهو الفعل"أستنشق" وفي المرة الثانية إلى كلمة الباقة وربطتها بكل الأفعال السابقة عليها"ينعشني" و يحييني، يرفه عني، وبالتالي فقد أدى إسم الإشارة "هذه" دورا مهما في الربط بين أجزاء النص.

(1) المرجع السابق ، ص:43.
(2) المرجع نفسه، ص:48، 49.
(3) المرجع نفسه، ص:51.
(4) المرجع نفسه ، ص:53.

" بل ليتني أستطيع أن أقاسمك هذه الهموم والأحزان التي تعالجها أو أحتملها عنك جميعا"[1]

فأحال إسم الإشارة "هذه" بعديا إلى كلمة "الهموم" و"الأحزان" وأفاد أيضا التخصيص والحصر، إذ تمنت ميلتزا أن تقاسم "قسطنطين" الهموم التي ذكرها لها، والأحزان التي يعاني منها في تلك اللحظة، فكان له دور بارز في الربط بين أجزاء الجملة.

"قد فشل جيشنا في الواقعة الأخيرة كما فشل في الواقعة الماضية والوقائع التي تقدمتها ولا أعلم متى تنتهي هذه الانكسارات"[2]

فقد جمعت كلمة"الانكسارات" كل المعاني السابقة عليها من الفشل والهزيمة والتراجع فأحال إسم الإشارة "هذه" بعديا إلى كلمة "الانكسارات" وربطتها بكل الجمل التي تقدمتها وهي فشل الجيش في كل الوقائع السابقة.

" وقد علم الجند ساعة حضوره، فهم ينتظرونه في هذه الساحة"[3].

فأحال إسم الإشارة "هذه" بعديا إلى كلمة الساحة، كما أنها أفادت القرب، فالساحة التي ينتظر فيها الجند قدوم الملك هي الساحة القريبة من قصر "قسطنطين"، كما أفادت "هذه" التخصيص، فهم ينتظرونه في هذه الساحة دون الساحات الأخرى، ولو حذفنا إسم الإشارة "هذه" لما لمسنا كل هذه الدلالات والمعاني، إضافة إلى ربطها بما سبقها فكان لها عظيم الأثر في الدلالة والاتساق الخارجي على سطح النص.

" ولو فعل لنجا الوخز من خطر عظيم، ولأخفأ نار هذه الحرب"[4]

فـ"هذه" أحالت إلى كلمة الحرب اللاحقة عليها، كما أفادت أن الحرب لم تضع أوزارها بل مازالت قائمة، ويعيشها الوخز ومن فيه، حيث أفادت "هذه" التأكيد على أن الحرب مازالت، ولم تنتهي بعد، كما ربطت بين أجزاء الجملة.

(1) المرجع السابق ، ص:54.
(2) المرجع نفسه، ص:56.
(3) المرجع نفسه، ص:61.
(4) المرجع نفسه ، ص:62.

"أما نحن فليس بين أيدينا إلا أن نفكر الآن في الطريق إلى الدفاع عن وخننا وحمايته ودفع هذه النازلة الملمة بنا"[1]

أحال إسم الإشارة "هذه" بعديا إلى كلمة "النازلة" وقد لخصت كلمة النازلة جميع الظروف التي يمر بها الوخن في الوقت الحالي، حيث يرى الملك أن أهم شيء في الوقت الحالي هو التفكير في خريقة وحل لحماية الوخن ودفع هذه النازلة، فأفادت "هذه" الربط بالإضافة إلى التخصيص للمشار إليه فالملك يقصد هذه النازلة دون سواها من النوازل الأخرى.

" ولم يزل في مناجاته هذه حتى مضت هدأة من الليل"[2]

حيث أحال إسم الإشارة "هذه" قبليا، وإحالة موسعة ذلك أنه أحال إلى مجموعة من الجمل وليس إلى جملة واحدة فقط؛ فقد أحالنا إلى كل الحديث الذي دار في نفس "قسطنطين" والذي كان موجها إلى تمثال أبيه فهذه قد أحالت إلى فقرة واحدة فقط، ولعل هذا ما جعل اسم الإشارة المفرد دون غيره يتميز بهذا النوع من الإحالة وهو الإحالة الموسعة وقد أخلق الكاتب على كل تلك الفقرات السابقة التي تضمنت حديث "قسطنطين" إسم "المناجاة".

"وأن تظل خوال أيام حياة مقرونا بأغلالك هذه إلى قاعدة تمثال أبيك"[3]

أفادت"هذه" الإحالة قبليا إلى كلمة "الأغلال" وأفادت التأكيد على أن الأغلال المقصودة هي المشار إليها دون غيرها.

"فسقط رأسه على صدرها فشعرت به، فضاءات ما بين شفتيها إبتسامة ضئيلة لم لبثت أن انطفأت وتغلغلت في ظلمات الموت، وظلا على هذه الحالة حتى فاضت نفساهما"[4]

(1) المرجع السابق ، ص:67.
(2) المرجع نفسه، ص:72.
(3) المرجع نفسه ، ص:73.
(4) المرجع نفسه، ص:76.

فأحالت هذه إلى كلمة "الحالة" وهي كلمة لخصت كل الأحداث السابقة لإسم الإشارة حيث بقي "قسطنطين" و"ميلتزا" على تلك الحالة إلى أن فاضت نفساهما فأفادت هذه الربط بين أجزاء الجملة من حيث الشكل والمعنى.

"ظلت هذه الحقيقة مجهولة لا يعلمها أحد من الناس خمسة وثلاثين عاما"[1]

فأحالت هذه إلى كلمة "الحقيقة" و"هذه الحقيقة" بدورها أحالتنا إلى كل ما سبق في الرواية، فقد أحالتنا ليس إلى فقرات بل إلى صفحات وصفحات في الرواية ولعل ملخص هذه الحقيقة أن "قسطنطين برانكومير" أشرف الناس وأفضلهم، وأن لديه من الروح الوخنية ما لم يكن عند سواه من الناس، ذلك أنه ضحى والده في سبيل إنقاذ وخنه ثم ضحى نفسه في سبيل الحفاظ على صورة والده أمام آلاف البلقانيين، ولكنهم أدركوا ذلك بعد زمن خويل، فقد بلغ في وخنيته وشرف نفسه ما لم يبلغه الآلاف، فأحالت إسم الإشارة "هذه" إلى كل تلك المعاني السابقة، فأدت دورا بارزا في تماسك النص شكليا ودلاليا، كما يؤكد أيضا أن الاستمرارية قائمة بين بداية الرواية ونهايتها وأن الأحداث ليست مستقلة عن بعضها بل متماسكة ومتسلسلة ومترابطة.

(1) المرجع السابق، ص:77.

الإحالة بواسطة إسم الإشارة"تلك":

عند الإشارة إلى البعيد نظيف إلى إسم الإشارة"ذا" مثلا لاما لتدل على البعد وكافا تلاءم المخاخب من حيث النوع والعدد فتصبح "ذلك" أو تاء و كافا فتصبح "تلك" والمقاخع التالية من الرواية تؤكد لنا الدور الذي أدته في تماسك الرواية شكليا ودلاليا مما جنبنا الكثير من التكرار.

" ولم يزل يفيض على نفوسهم من نفسه تلك الروح الوخنية العالية"[1]

فإسم الإشارة "تلك" أحال بعديا إلى كلمة الروح الوخنية وهي وإن أدت دورا في الربط الشكلي والسطحي للجملة إلا أنها أفادت أيضا أن الروح الوخنية التي يتحدث عنها الجندي الروماني "أورش" كانت بعيدة كل البعد عن نفوس الشعب البلقاني.

"كذلك تم "لقسطنطين" ما كان يريده من إنقاذ تلك الفتاة المسكينة من يد الموت"[2]

فأحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى الفتاة المسكينة وربطها بالفعل السابق عليها وهو إنقاذ، كما أفادت معنى آخر وهو أن الفتاة المتحدث عنها هي نفسها التي سبق الحديث عنها في جزء سابق من النص،و التي لمحها على البعد فقط ولم تكن قريبة منه.

" وكذلك أصبحت "مليتزا" العزاء الوحيد "لقسطنطين" عن همومه وآلامه فقد وجد بين جنبيها تلك النفس الطاهرة البرية التي خالما نشدها قبل اليوم فأضلها"[3]

فأفاد إسم الإشارة "تلك" الربط بين خرفي الجملة، فلو حذف لكانت الجملة مفككة، كما أفادت أيضا أن النفس الطاهرة البرية التي لطالما نشدها "قسطنطين" كانت غير موجودة لديه، بل كانت بعيدة كل البعد عنه حين فقدها بفقدان والدته الحنون، ومنذ ذلك الوقت وهو يبحث عنها ويناشدها إلى أن وجدها اليوم بين جنبي "ميليتزا" أو التي أصبحت عزاءه الوحيد عن همومه وآلامه.

(1) المرجع السابق، ص:08
(2) المرجع نفسه، ص:17.
(3) المرجع نفسه، ص: 15.

"إلا أن "مليتزا" الذكية بفطرتها المتفانية في حبها وإخلاصها لم يكن يفوتها أن ترى بعين فطنتها وذكائها في بتلك الزاوية المظلمة من زوايا قلبه ذلك الهم الخفي"[1]

فأفادت "تلك" الربط على سطح النص، كما أفادت أنه على الرغم من قرب "قسطنطين" من "ميليتزا" وعلى الرغم من أنه كان يحتفظ في زاوية من زوايا قلبه والتي كانت بعيدة وكذلك مظلمة كان يحتفظ فيها بهم خفي، إلا أن "ميليتزا" بذكائها وفطنتها أدركت ذلك.

" ولا أقترح على الدهر أمرا سوى أن أرى تلك الجبهة اللامعة المضيئة يتلألأ فوقها ذلك التاج المرصع البديع"[2]

على الرغم من أن القائد "برانكومير" كان يتحدث إلى زوجته "بازيليد" والتي كانت قريبة منه إلا أنه استعمل "تلك" ولم يقل هذه الجبهة اللامعة. لأن البعيد هنا ليس الجبهة وإنما التاج الذي سيوضع فوقها.

" وكان يساعدها على فهمه واستكناهه تلك الأحاديث التي كانت تسمعها تدور من حين إلى حين بين القائد وزوجته"[3]

فالذي يساعد "ميليتزا" على فهم الهم الخفي الذي كان في قلب "قسطنطين" إنما هو تلك الأحاديث، فأحالت "تلك" بعديا إلى كلمة "الأحاديث"، كما أفادت أيضا أنها لم تسمع هذه الأحاديث اليوم أو أمس وإنما في أيام ماضية ومر عليها وقت طويل وقد سمعتها وهي في مكان بعيد عن القائد وزوجته.

" وأنشأ يضرب على قيثارته قطعة رومانية جميلة من تلك القطع التي كان أعدها منذ عهد طويل"[4]

(1) المرجع السابق، ص:19.
(2) المرجع نفسه، ص:20.
(3) المرجع نفسه، ص ن.
(4) المرجع نفسه، ص:25.

حيث أحالت "تلك" بعديا إلى "القطع" كما نجد أنها منذ عهد خويل فالقطعة الرومانية الجميلة التي كان يعزفها الجاسوس"بانكو" والمتنكر في زي موسيقار قد أعدها منذ عهد خويل، فأدى اسم الإشارة"تلك" دور الربط الشكلي على سطح النص، من حيث المعنى حيث أفادت البعد ومرور زمن على تلك القطع المعزوفة.

" ولقد ظفر "قسطنطين" من تلك الفتاة بهذه النفس المخلصة"[1]

أحال إسم الإشارة بعديا إلى المشار إليه هو"الفتاة"، وهي وإن كانت قريبة كل القرب من نفس "قسطنطين" إلا أنها كانت بعيدة من ناحية الذكر على سطح النص، وبالتالي جعلتنا تواصل مع أحداث النص، وبأن النفس المخلصة والحب الطاهر البريء الذي لا تشوبه الأغراض والغايات قد أدركه "قسطنطين" ووجده في نفس تلك الفتاة المسكينة التي سبق ذكرها في موضع سابق من النص.

"إلا أنها كانت تشعر أن تلك المرأة اليونانية الدخيلة خطر عظيم على الوالد والولد"[2]

أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "المرأة" اليونانية الأصل، وقد وظف إسم الإشارة "تلك" عوضا عن "هذه" لأن هذه المرأة كانت بعيدة عن "مليتزا" من ناحية الأصل والنسب، وكذلك المركز الاجتماعي وحتى من ناحية المبادئ والأفكار، وهي لم تكن دخيلة بالنسبة لـ"ميليتزا" فحسب، بل على المجتمع البلقاني أجمع.

" وإن غابت عن معرفته، فلن تغيب عن معرفة تلك الشجة الهلالية الواضحة في جبينه وذلك الخال الأسود المرتسم تحت عينه اليسرى، بل أعرفه من تلك النغمات الشجية التي يغنيها الآن..." [3].

في المقطع السابق تم توظيف إسم الإشارة مرتين للربط بين أجزاء الفقرة، حيث أحال في المرة الأولى بعديا إلى كلمة "الشجة الهلالية" وتم توظيف"تلك" لأن هذه الشجة لم تكن مرتسمة على وجه شخص حاضر في الموقف الذي تم فيه الخطاب، بل هي على

(1) المرجع السابق، ص:31.
(2) المرجع نفسه، ص:31.
(3) المرجع نفسه، ص:32.

وجه شخص غير حاضر، كما أنه بعيد من ناحية المكان، فهو موجود في قصر الملكة "بازيليد" كما أن النغمات التي أحالت إليها إسم الإشارة"تلك" في المرة الثانية كانت بعيدة أيضا، وبالكاد يصل صوتها إلى جناح "قسطنطين".

" فقد كانت تلك الأيام التي قضتها في ذلك المعسكر، أو في بؤرة السقوط والعار أشقى أيامي وأعظمها شدة وبؤسا"[1].

أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "الأيام"، و كل ما جاء بعدها كان مرتبطا بها فالأيام التي قضتها "مليتزا" في المعسكر التركي أو كما وصفته معسكر السقوط والعار كانت أعظم أيامها شقاء وبؤسا، وبتوظيف إسم الإشارة "تلك" في المقطع السابق أفادت أن الأيام التي تحدثت عنها "ميليتزا" فقد أصبحت من الماضي وقد مر عليها زمن.

" وكانت الهضبات المحيطة بتلك الرابية المبعثرة من حولها سوداء قاتمة"[2]

فقد كان القائد "برانكومير" جالسا على رابية مرتفعة، وهو يحدث نفسه ويقنعها بضرورة خيانة وخنه للحصول على التاج الذي وعد به زوجته الملكة "بازيليد"، فأحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة الرابية وربطها بما جاء قبلها من وصف لتلك الرابية التي كانت مرتفعة وتحت القوس الروماني بجانب هضبة عالية من الحطب فكان يحيط بها هضبات مبعثرة سوداء قاتمة، فأفاد إسم الإشارة الربط على سطح النص كما أكد لنا أن تلك الهضبات كانت بعيدة عن الرابية التي كان يجلس عليها "برانكومير" القائد.

" لقد حدثتني نفسي في تلك الساعة المائلة التي سمعتك فيها تؤامر على وخنك وأمتك بأفظع ما تحدث به نفس صاحبها"[3]

(1) المرجع السابق، ص:33.
(2) المرجع نفسه، ص:37.
(3) المرجع نفسه، ص:41.

فالخطاب السابق موجه من "قسطنطين" إلى والده ، فقد حدثته نفسه ليس الآن وإنما في وقت سابق، وبالضبط في تلك الساعة التي سمع والده يتآمر مع زوجه، ويوافقها على بيع البلقان بترابها وسمائها ومائها وهوائها، مقابل تاج ما ينفك يصبح خوقا في عنق صاحبه بدلا من تاج مرصع يوضع فوق رأسه.

حيث أحال إسم الإشارة "تلك" إلى وقت سابق ومقطع سابق من الرواية ،وبالضبط حينما كان "قسطنطين" ينصت من خلف الباب لما يدور من مؤامرة بين والده وزوجته ففي تلك الساعة حدثته نفسه بأفظع ما تحدث به نفس صاحبها.

" وقلت: لعلني أستطيع أن أتدارك الأمر من خريق غير تلك الطريق وأن أتمكن في آن واحد من إنقاذ أبي وإنقاذ وخني"[1]

القائل في الخطاب السابق لا يزال هو "قسطنطين" نفسه والمخاخب هو أبوه، وقد وظف فيه إسم الإشارة "تلك" التي أحالت بعديا إلى كلمة الطريق، والطريق كلمة لخصت العديد من المعاني، والسبل التي فضل قسطنطين عدم اللجوء إليها لإنقاذ وخنه ولعله كان يقصد وبوضوح أن يرفع أمر والده إلى الملك هو وزوجه، ولكنه أشفق عليه من الموت الدنيء الذي يموته الخائنون المجرمون، كما أشفق على نفسه أن يشير إليه الناس بأصابعهم فيقولوا: هذا هو الولد السافل الذي وشى بأبيه وأورده مورد التهلكة... [2] ، فكل هذه الأحداث تضمنتها كلمة الطريق، وربطتها بكل ما سبق بواسطة إسم الإشارة "تلك"؛ وقد وظف إسم الإشارة "تلك" بدلا من "هذه" لأن كل تلك الأفكار وإن راودته في وقت سابق غير بعيد من زمن لقائه مع أبيه إلا أنها كانت آخر الحلول وأبعدها بالنسبة لـ "قسطنطين"، نظرا للنتائج المترتبة عليها، فاختار أسلوب الحوار مع أبيه، وفضل تذكيره بماضيه المجيد وانتصاراته الخالدة، علها تؤثر فيه فيتراجع عن مؤامرته الدنيئة، وهذه المقاخع من الرواية بعض ما دار بينهما:

(1) المرجع السابق، ص:42.
(2) ينظر:المرجع نفسه، ص 42.

" عد إلى نفسك لحظة واحدة يا أبت وراجع فهرس تاريخك الشريف واذكر تلك الأيام المجيدة التي أبليت فيها في الدفاع عن وخنك وقومك بلاء سجله لك التاريخ في صفحاته البيضاء وبأقلامه الذهبية، وتلك الوقائع الحربية الهائلة التي كنت تستقبل فيها الموت استقبال العروس(...) اذكر تلك الأعلام الوخنية التي تخفق على أبواب المدينة وأسوارها ...، أذكر يا أبت تلك الأيام التي لقي فيها هذا الشعب المسكين على يد هؤلاء القوم الظالمين ما لم يلق شعب في الأرض على يد فاتح أو مغتصب..." [1]

فبداية المقاطع السابقة كلما استهلها "قسطنطين" بفعل أمر(عد، أذكر) والغرض منهما ليس الأمر وإنما الطلب والتوسل، فقد خلب من والده العودة للحظة إلى فهرس تاريخه الشريف ليتذكر تلك الأيام المجيدة وتلك هنا إضافة إلى إفادتها الربط فقد أفادت معنى أن الأيام المجيدة هي من الماضي وأنها كلها كانت حافلة بالانتصارات وبالتاريخ المشرف لهذا الرجل العظيم، وأن هذه الانتصارات سجلها له التاريخ بأقلام ذهبية، ثم يستأنف حديثه قائلا :"وتلك الوقائع الحربية..."، فالوقائع التي يتحدث عنها "قسطنطين" هي أيضا من الماضي و "واو" العطف تؤكد تسلسل الأحداث واسم الإشارة "تلك" أفاد الربط بين أجزاء النص، كما أفادت أيضا أن الوقائع التي يذكرها الآن قد مر عليها زمن حيث كان والده يستقبل الموت بفرح وسرور ورضا، ثم يعود ليطلب منه أن يذكر تلك الأعلام الوخنية، فتلك أحالت بعديا إلى كلمة الأعلام وأفادت كذلك أنها مازالت ترفرف إلى غاية اليوم ، إلا أنها تبعدهما من حيث الموضع الذي تتواجد فيه ثم يوظف "قسطنطين" إسم الإشارة "تلك" ليشر إلى "الأيام"، فهذه الأيام التي يقصدها ويشير إليها هي أيام مزرية لاقى فيها شعبه وأبناء بلده مالم يلقه أي شعب آخر على يد مغتصب، فأفادت الربط كما أفادت أن هذه الأيام هي من الماضي وأن المعاناة اليوم قد إنتهت و يجب ألا تعود.

(1) المرجع السابق، ص:44، 45.

وقد وظف إسم الإشارة عند بداية جملة من الفقرة السابقة نظرا لأهميته المزدوجة والمتمثلة في الربط أساسا والإشارة إلى الزمن الماضي البعيد من ناحية أخرى. وهذا ما نستشفه من معاني مبثوثة في الفقرة المستشهد بها.

" فأخرق "قسطنطين" لتلك الذكرى المؤلمة"[1]

أحال إسم الإشارة "تلك" إلى كلمة الذكرى والذكرى المؤلمة هنا هي موت والدته التي أحبها بشدة، فأحالت بعديا إلى الذكرى"المؤلمة" وربطتها بالفعل "أخرق" في صدر الجملة، كما أن كلمة الذكريات أو الذكرى في معناها دليل على الماضي وقد مر وقت تخويل على وفاة والدته لذلك فالذكرى المتعلقة بها هي الأخرى قد كانت منذ زمن تخويل لذلك إستعمل إسم الإشارة تلك بدلا من "هذه".

" و ا خجلتاه من نفسي يوم ألقاك في تلك الدار، و يجمع الموقف العظيم بيني وبينها" [2]

أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "الدار"، و"الدار" هنا كناية عن يوم الحساب أو ربما عن الدار الأخرى التي تنتقل إليها قبل الحساب، وقد استهلت الجملة بأسلوب الندبة.

" و ا خجلتاه" لأن "قسطنطين" يتحسر و يتألم و يبكي اليوم الذي سيلتقي فيه والدته بجرمه الذي اقترفه في حق أبيه، فهو خجل منها حين يلقاها في تلك الدار البعيدة عنه كما أنه قد يفصله عن لقائها زمن قد يطول و قد يقصر، لذلك استعمل " تلك" لأنه لا يقصد الدار الحسية التي نسكنها وإنما دار أخرى.

"حتى إذا خلع عليهم في موكبه هرعوا إليه مناجين صارخين يتقدمهم جرحاهم وزمانهم ورموك بين يديه بتلك التهمة العظيمة"[3]

أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "التهمة" والتهمة المقصودة هنا قد سبق الحديث عنها في جزء سابق من النص، وهي الخيانة العظمى للوخن وقد أحال إليها

(1) المرجع السابق، ص: 54.
(2) المرجع نفسه، ص 54.
(3) المرجع نفسه، ص:61.

باستخدام إسم الإشارة "تلك" لأنها ذكرت في جزء سابق من الرواية وقد جاء بعدها أحداث كثيرة وعندما أرادت "بازيليد" تذكيره بالتهمة العظيمة الموجهة إليه استخدمت تلك عوضا عن هذه نظرا لبعد موقفها على سطح النص.

" فرجعت إلى ذهنه تلك الذكرى المؤلمة"[1]

فالذكرى التي رجعت إلى ذهن "قسطنطين" في هذه المرة هي ذكرى قتله لأبيه، وهي مؤلمة جدا بالنسبة إليه، وقد أفادت تلك أن قتل "قسطنطين" لأبيه قد حدث في زمن ماض قد مر عليه وقت لا بأس به.

فأحالت "تلك" إلى كلمة "الذكرى" اللاحقة عليها وربطتها بما سبقها.

"فعجب "قسطنطين" لتلك الجرأة الغريبة التي لا يشتمل على مثلها صدر امرأة في العالم ولا رجل"[2]

حيث أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة الجرأة، وربطتها بالفقرة السابقة عليها لأن كلمة "الجرأة" قد لخصت فقرة بأكملها سابقة.

"قال: نعم أنا أعلم الناس بذلك، لأنه لم يكن حاضرا معه في تلك الساعة وفي ذلك الموقف سواي"[3].

لقد أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "الساعة" والساعة التي يقصدها "قسطنطين" بكلامه هي ساعة موت أبيه وقد استخدم إسم الإشارة تلك لأنها قد حدثت في الماضي ومر عليها ، فلا يصلح استعمال كلمة"هذه "بل يجب توظيف"تلك".

" أما الحظ الذي فارقك في تلك الوقائع الماضية فأبشرك بأن عهد فراقه يطول، وأنه سيعود إليك بعد أيام قلائل بالوجه الطلق الجميل، وستمحوا بانتصاراتك المقبلة جميع آثار تلك الهزائم السالفة"[4]

(1) المرجع السابق، ص: 61.
(2) المرجع نفسه، ص:62.
(3) المرجع نفسه، ص:63.
(4) المرجع نفسه، ص:65.

إن المتأمل للمقطع السابق يستشف الدور البارز الذي أداه اسم الإشارة "تلك" في الربط بين أجزاء الفقرة، حيث أحال في المرة الأولى إلى كلمة"الوقائع الماضية" وقد توافق معها لأن هذه الوقائع المقصودة قد حدثت منذ فترة ليست بالقصيرة، ثم يستأنف المخاتب وهو الملك والمخاتب هنا هو "قسطنطين"- حديثه بعد كلام تخويل ليربط بين أجزائه بواسطة إسم الإشارة "تلك" وقد بين ماهية الوقائع الماضية حيث تجلت في أنها كانت هزائم مر بها "قسطنطين" والجيش الذي كان تحت قيادته.

ثم أحالنا في المرة الثانية بعديا إلى كلمة "الهزائم" وتطابقت معها وربطتها بما سبق عليها في بداية الفقرة حيث شرحت الوقائع الواردة في أول الفقرة بأنها الهزائم التي جاءت في موضع تال عليها رغم التباعد الملحوظ بينهما على سطح النص إلا أن "تلك" ساهمت في الربط الشكلي والمعنوي على مستوى الفقرة السابقة.

" أما البرهان الذي تريده فها هو ذا ومدت يدها إليه بتلك الوثيقة"[1]

أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "الوثيقة" وربطتها بما قبلها وأكدت لنا أن الوثيقة التي سلمتها "بازيليد" إلى الملك إنما هي نفسها التي قد حملت توقيع والده المتوفى، وهي نفسها التي عرضتها على "قسطنطين" وخلبت منه مشاركتها للإقدام على أكبر جريمة قد يقوم بها إنسان عامل وهي خيانة الوخن والاشتراك مع الأعداء وهي نفسها التي سبق وصفها والحديث عنها في أجزاء سابقة من الرواية، وبالتالي أحالنا إسم الإشارة "تلك" إحالة موسعة إلى أجزاء سابقة من النص مما خلق إستمرارية دلالية وشكلية للنص.

" و لك علي عهد الله وميثاقه ألا أعود من تلك المعركة إلا منتصرا"[2]

أحال إسم الإشارة "تلك" بعديا إلى كلمة "المعركة" وإن كانت "تلك" قد ربطت دائما أحداثا سابقة و ماضية فإن المعركة المشار إليها هنا ستحدث في المستقبل القريب ولكنها لن تحدث اليوم أو غدا وإنما بعد فترة.

(1) المرجع السابق، ص: 66.
(2) المرجع نفسه، ص:67.

والعهد السابق قد قطعه "قسطنطين" للملك ووعده بأنه إن سمح له في المشاركة في الحرب فإنه لن يعود إلا منتصرا.

كانت هذه اغلب المقاطع من الرواية التي اعتمدت على إسم الإشارة"تلك" للربط والإحالة بين أجزاء النص على مستوى الجملة وعلى مستوى الفقرة أو الفقرات، ولعلها أكدت أهمية إسم الإشارة "تلك" في الاتساق على المستوى الشكلي السطحي للنص والانسجام من حيث أفادتها لمعنى البعد سواء البعد الماضي أو البعد في المستقبل فكان لها دور بارز في اتساق النص من ناحية وانسجامه من ناحية أخرى.

الإحالة بواسطة إسم الإشارة "ذلك":

لقد إهتم المفسرون بأسماء الإشارة إلى البعيد"ذلك، أولئك، تلك" لكن تناولهم لها متنوع يتراوح بين تعدد المشار إليه وبين الإشارة إلى خطاب وعدم التطابق بين إسم الإشارة والمشار إليه[1]

وقد وظف إسم الإشارة "ذلك" في مواضع عديدة من الرواية وقد تعدد المشار إليه في أحيان عديدة ولعل المقاطع التالية تؤكد ذلك:

" ثم أشار على ملكه أن يخلع خاعة الترك ويطرد رعاياهم من بلاده ويمتنع عن دفع الجزية والإتاوة وينادي بحرية البلقان واستقلاله فحين الملك عن ذلك في أول الأمر ثم أسلس له وأذعن لرأيه، ففعل ما أشار به عليه، فأحقد ذلك الترك وآسفهم"[2]

أحال إسم الإشارة "ذلك" في المرة الأولى إلى خطاب بأكمله، فقد جبن الملك عن خلع خاعة الترك وجبن عن خرد رعاياهم من بلاده.

كما أنه قد جبن عن الامتناع عن دفع الجزية وكذلك المناداة بحرية البلقان واستقلاله وكل هذا قد أشار إليه اسم الإشارة "ذلك" وأحالنا قبليا إحالة موسعة إلى خطاب بأكمله وليس إلى كلمة أو جملة فقط، كما أن "ذلك" المذكورة في آخر المقطع السابق قد أحالت قبليا إلى مجموعة من الأحداث، فالذي أحقد الترك وآسفهم هو أن الملك قد أسلس رأيه للذي دعاه بأن يتمرد على المغتصب التركي وهو أحد رجال الدين المخلصين واسمه "الأسقف أتين" الذي عز عليه ضياع بلاده وسقوخها في يد أعدائها، فالأتراك قد آسفهم أن الملك قد أذعن لرأي "الأسقف أتين" وأنه فعل ما أشار به عليه من خرد للرعايا الأتراك والامتناع عن دفع الجزية ...إلخ.

"من الذي ينكر أن ذلك الرجل التقي الصالح هو الذي خاف البلاد من أقصاها إلى أقصاها"[3]

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 176.
(2) المنفلوطي، في سبيل التاج، ص: 05.
(3) المرجع نفسه، ص: 07.

أحال اسم الإشارة ذلك بعديا إلى كلمة "الرجل التقي" وهي إشارة إلى رجل الدين الأسقف "أتين" الذي خاف البلاد من أقصاها إلى أقصاها.

" وما أوى القوم إلى مضاجعهم واخذ النوم بمعاقد أجفانهم حتى دب ذلك الجاسوس المتنكر على يديه وبلغ مضجع الجندي "لازار" "[1].

أحال "ذلك" بعديا إلى كلمة "الجاسوس المتنكر" و قد سبق ذكره في موضع سابق في الرواية وأفاد اسم الإشارة ذلك الربط بين أجزاء النص المتباعدة لأن هذا الجاسوس قد ذكر في موضع بعيد من الرواية وهو الضابط المشهور "إبراهيم بك" أحد أركان حرب القائد التركي والذي كان متنكرا في زي موسيقار.

"أما ابنه "قسطنطين" فكان بمعزل عن هذا كله، فإن وفاة أمه التي كان يحبها حبا شديدا تركت في نفسه أثرا من الحزن لا يبلى، وملأت فضاء حياته هما ونكدا وكان يجد بعض العزاء عن ذلك الهم الذي نزل به في حنان أبيه"[2]

فأحال إسم الإشارة"ذلك" بعديا إلى كلمة "الهم"، ولعل توظيف "ذلك" لتدل على أن الهم الذي يعاني منه يكتمه "قسطنطين" في زاوية بعيدة مظلمة من قلبه، كما أنه السبب الوحيد لهذا الهم هو وفاة أمه التي أحبها ولا زال ، فكان يجد بعض العزاء عن كل ذلك الهم في حنان أبيه القائد "برانكومير" فأحالنا "ذلك" إلى قبليا لمعرفة سبب معاناة "قسطنطين" وحزنه.

"وإنه ليتأثر الجيش المنهزم ويشتد في أعقابه إذ لمح على البعد فارسا تركيا قابضا بيده على شعر فتاة مسكينة يريد اقتسارها وإكراهها على الركوب معه وهي تمتنع وتتأبى وتحاول الإفلات من يده فيضربها بسوخه ضربا مؤلما وجيعا، فأزعجه هذا المنظر وآلامه فركض جواده حتى أدرك ذلك الفارس"[3]

(1) المرجع السابق، ص:11.
(2) المرجع نفسه، ص: 13.
(3) المرجع نفسه، ص: 14.

فأحال إسم الإشارة"ذلك" بعديا إلى كلمة "الفارس" وربطتها بما قبلها فالفارس الذي لمحه الجيش المنهزم كان بعيدا جدا عنه وهو ما تؤكده العبارة" لمح على البعد" فكان استعمال ذلك لوظيفتين؛ الأولى هي الربط بين أجزاء الفقرة والثانية دلالتها على البعد المكاني للفارس وبأنه هو نفسه الذي ذكر في أول المقطع السابق أي الفارس التركي القابض على شعر فتاة مسكينة.

" وكان يقول في نفسه كلما نظر إليها وإلى شذا حبها وخهارتها وبلاهة عقلها وغفلته: أهكذا قضي على الإنسان في هذه الحياة ألا تخلص نفسه من شوائب الرذيلة والشر حتى يسلب عقله و إدراكه قبل ذلك"[1]

فأحال إسم الإشارة"ذلك" قبليا إلى أن نفس الإنسان لا تخلص من شوائب الرذيلة والشر إلا بعد أن يسلب عقله، وإدراكه وأفاد إسم الإشارة"ذلك" تعويض المعنى السابق إضافة إلى الربط.

" فليت شعري هل عجزت الطبيعة على أن تجمع للمرء بين هاتين المزيتين: مزية العقل الذي يعيش به والخلق الذي يتجلى بحليته، أو أن للّه في ذلك حكمة لا نعلمها ولا ندرك كنهها"[2]

فأحال إسم الإشارة"ذلك" إحالة قبلية موسعة إلى ما سبق أي أن للّه حكمة في عدم الجمع بين مزية العقل الذي يعيش به الإنسان ومزية الخلق الذي يتحلى به وهذه الحكمة لا نعلمها ولا ندرك كنهها.

" قالت: لم أر في حياتي منذ نشأت حتى اليوم عفيفا قط إبتسم في وجهي ! قال: ذلك لأن الناس مراءون مخادعون"[3]

(1) المرجع السابق، ص: 18.
(2) المرجع نفسه، ص 18.
(3) المرجع نفسه، ص: 19.

أحال "ذلك" قبليا إلى ما سبقها أي أن السبب في أن "ميليتزا" منذ نشأت لم ترفي حياتها قط عفيفا إبتسم في وجهها هو أن الناس مراءون مخادعون، وعوضت "ذلك" المعنى السابق ذكره وأحالتنا إليه.

" ثم عاد بموكبه راضيا مسرورا، فشيعه القائد إلى ضاحية المدينة ولبث واقفا مكانه ساعة ينظر إلى ذلك الموكب الفخم العظيم"[1]

أحال "ذلك" بعديا إلى "الموكب الفخم العظيم" وربطته بما قبله، حيث بقي القائد "برانكومير" واقفا في مكانه ساعة وهو ينظر إلى موكب الحاكم الذي كان يبتعد عنه شيئا فشيئا حتى غاب عن بصره كليا، فأفاد ذلك أيضا البعد المكاني لهذا الموكب.

" فأخذت بيده وقالت له: إرفق بنفسك يا "برانكومير" واعلم أن نبوءة الكاهن لا تكذب ولا تخيب، أبشرك أنك ستكون بعد شهر واحد ملكا على البلقان، ولا تسألني كيف يكون ذلك! فدهش لأمرها وحاول أن يسألها عن معنى كلمتها ومأتاها فلم تمكنه من ذلك"[2]

فقد استعمل إسم الإشارة "ذلك" مرتين في المقطع السابق وكلاهما أحال قبليا إذ أحالت الأولى إلى عبارة " ستكون بعد شهر واحد ملكا على البلقان" وأحالت الثانية قبليا إلى "وحاول أن يسألها عن معنى كلمتها" وقد أفاد ذلك الربط بين أجزاء الفقرة والإحالة القبلية إلى الجمل السابقة الذكر.

" قال ليس في الأمر خيانة ولا دناءة، ولا بيع وخن ولا أمة فإنا نريد أن ندخل بلادكم مستعبدين أو مسترقين، بل أصدقاء مخلصين، وما خطر ببالنا قط حينما فكرنا في افتتاح بلادكم والنزول بما أن نصادركم في حريتكم الدينية والاجتماعية أو نسلب أموالكم وننتهك أعراضكم أو نغلق أبواب كنائسكم ومعابدكم

(1) المرجع السابق، ص: 23.
(2) المرجع نفسه، ص: 24.

أو تخرس أصوات نواقيسكم وأجراسكم ، بل لنكون أعوانكم على ترفية شؤونكم الاجتماعية والاقتصادية به والسير بكم في خريق المدينة الأدبية والسياسة حتى تبلغوا الذروة العليا منهما ولنحميكم فوق ذلك أعدائكم المجريين"[1]

فقد أحال "ذلك" في المقطع السابق إحالة قبلية موسعة إلى كل ما سبق عليها أي إلى فقرة بأكملها تم الربط بين جملها بواسطة أدوات العطف المختلفة؛ "ولنحميكم فوق ذلك "أي فوق كل ما سبق ذكره وتم الحديث عنه" سنحميكم أيضا من أعدائكم المجريين، ولعل هذا المقطع خير دليل على دور إسم الإشارة في القيام بالإحالة الموسعة.

" هذه هي الحقيقة التي لا ريب فيها، فإن كنت تريد بما قلته أن تعلمني ما ألقنه لذلك الرجل الذي اتفقنا على خداعه وختله، فإنني أحفظ كثيرا من أمثال هذه الرقى والتعاويذ "[2]

فالمشار إليه في المقطع السابق هو كلمة"الرجل" والرجل المقصود هنا هو القائد "برانكومير" وهو من اتفقت "بازيليد" زوجته والجاسوس التركي"إبراهيم بك" على خداعه وختله من أجل الموافقة على خيانة وخنه.

"إننا ما اجتمعنا هنا لتفسير معنى الفتوح والاستعمار، بل لأعرض على زوجك هذا العهد السلطاني بتقليده ملك البلقان وإلباسه تاجه إن هو تمكن من إخلاء التخوم من حراسها وسهل لجيشنا اجتيازها، فإن قبل فذاك أو لا"[3]

نلاحظ أن إسم الإشارة قد حذف منه لام البعد وهو الأنسب لهذا الموقف.

وقد أحالت قبليا إلى عبارة " بتقليده ملك البلقان وإلباسه تاجه" والمعنى أن الملك إذا قبل عرضه والمتمثل في إخلاء التخوم من حراسها والتسهيل للجيش التركي باجتياز حدود البلقان كان ملكا ولبس تاج الملك وهذا الحدث قريب جدا.

(1) المرجع السابق، ص: 26.
(2) المرجع نفسه، ص: 28.
(3) المرجع نفسه، ص: 28.

" أي أنها محرومة من كل شيء حتى اللذة الضئيلة التي يتمتع بها أقل المحبين حظا وأخيبهم في الحب سهما وهي الإفضاء بمكنون صدرها إلى ذلك الذي تحبه وتعبده"[1]

أحال إسم الإشارة "ذلك" بعديا إلى عبارة "الذي تحبه وتعبده" ولعل في الفعل "تعبده" إشارة إلى بعد هذا المحبوب ليس مكانيا وإنما البعد هنا في المستوى الاجتماعي فـ"قسطنطين" ابن القائد مشهور وهو في رتبة عليا على الصعيد المادي والاجتماعي، أما "ميليتزا"؛فلا تعدو كونها أسيرة أنقذها من يد الأتراك، وهي لا تعرف لنفسها هوية ولا وخنا ولا عنوانا، فكانت محرومة من كل شيء في هذه الحياة حتى من الإعتراف بحبها لسيدها الذي كانت تعبده، وترى أنها لا أمل لها في الصعود إلى سمائه، ومن المستحيل له النزول إلى أرضها...

" فقد كانت تلك الأيام التي قضيتها في ذلك المعسكر أو في بؤرة السقوط والعار أشقى أيامي وأعظمها شدة وبؤسا" [2]

أحال إسم الإشارة "ذلك" بعديا إلى كلمة" المعسكر" وقد سبق وصفه في فقرة بأكملها فالمعسكر المقصود هنا هو نفسه الذي سبق الحديث عنه، وهو بعيد عن موقع تواجد "مليتزا" الآن، لأنها قضت فيه في الماضي أشقى أيام حياتها وأعظمها شدة وبؤسا وهو موجود في الترك وهي الآن في البلقان.

" وكانت تتكلم و"قسطنطين" لاه عنها بقصة ذلك الجاسوس، لا يكاد يشعر بشيء مما حوله، ثم التفت وقال لها: إذن هو جاسوس متنكر! قالت: ذلك ما اعتقده يا مولاي ولا ارتاب فيه، فظل يدور في الغرفة دور الهائم المختبل لا يهدأ ولا يتريث وظل على ذلك ساعة"[3].

(1) المرجع السابق، ص: 30.
(2) المرجع نفسه، ص: 33.
(3) المرجع نفسه، ص 33.

لقد وظف إسم الإشارة مرتين في المقطع السابق، الأول أحال قبليا إلى عبارة " إذن هو جاسوس متنكر" والثانية أحالت قبليا كذلك ولكن إلى عبارة " فظل يدور في الغرفة دور الهائم المختبل لا يهدأ ولا يتريث"

" فقالت: نعم قد تم الاتفاق بين أبيك وزوجته وذلك الجاسوس التركي على أن يخلي أبوك تخوم المملكة من حراسها هذه الليلة، لتتمكن الجيوش التركية من اجتيازها فإن فعل أصبح في الغد سيد البلقان ومليكها، قال: ومن أين لك علم ذلك"[1]

لقد وظف إسم الإشارة في المقطع السابق مرتين ، أحال في الأولى إلى كلمة"الجاسوس" وهو الذي سبق الحديث عنه في جزء سابق من الرواية، وأحال في المرة الثانية قبليا إحالة موسعة إلى مقطع بأكمله، فقد سأل "قسطنطين" "ميليتزا" عن مصدر معرفتها بفحوى الاتفاق الذي حصل بين أبيه وزوجته والجاسوس التركي وكذا مضمون هذا الاتفاق.

" قال : لا يا أبت بل أمام ولد بار مطيع ولولا ذلك ما جشمت نفسي مشقة المجيء إليك في هذه الساعة من الليل"[2]

أحال إسم إشارة قبليا إلى عبارة "ولد بار مطيع"، أي: لولا أنني ولد بار مطيع ما كلفت نفسي عناء المجيء إليك يا أبي في هذه الساعة المتأخرة من الليل، فأحال "ذلك" إلى العبارة السابقة.

" أيرضيك يا "ميشيل برانكومير" يا بطل البلقان وحاميها وأشرف من أنجبت به أصلاب رجالها وأرحام نسائها أن يملك العدو علينا هذه البلاد العزيزة الكريمة فيقتل أبناءها ويستحل حرماتها وينكس صلبانها ويهدم صوامعها و معابدها و يخرس فيها كل صوت غير صوت الآذان على ذرى المنابر؟ قال: نعم يرضيني ذلك"[3]

(1) المرجع السابق، ص: 34.
(2) المرجع نفسه، ص: 41.
(3) المرجع نفسه، ص: 43.

أحال "ذلك" قبليا في آخر المقطع السابق إلى المقطع كله، حيث أحالت قبليا إلى " أن يملك العدو علينا هذه البلاد العزيزة الكريمة فيتقبل أبناءها ويستحل حرماتها وينكس صلبانها ويهدم صوامعها و معابدها و يخرس فيها كل صوت غير صوت الآذان" وهذا يؤكد الدور البارز الذي يؤديه إسم الإشارة المفرد" ذلك" خاصة في الإحالة الموسعة، مما يحقق الترابط والتماسك الشكلي والدلالي على مستوى المقطع السابق خاصة والنص بأكمله عامة.

" أذكر الدموع التي تذرفها الأمهات على أخفالهن المذبوحين فوق حجورهن، والصيحات التي كانت تصيحها الزوجات والأخوات الواقفات بأبواب السجون على أزواجهن وإخوتهن والزفرات التي يصعدنها اليتامى الثاكلون على حافات القبور حنينا إلى آبائهم و أمهاتهم الهالكين! أذكر ذلك كله و لا تنسه"[1]

أحال إسم الإشارة "ذلك" قبليا إحالة موسعة إلى الفقرة السابقة عليه بأكملها، فقد تكرر الفعل أذكر الذي سبق ذكره في أول المقطع السابق.

ثم جاء بعده اسم الإشارة ذلك والذي عوض الفقرة السابقة عليه بأكملها من حيث المعنى كما ربط الفقرة المذكورة وما يليها.

" ثم صمت صمتا عميقا لا ينبس فيه ولا يتحرك، وظل على ذلك هنيهة، ثم نظر أمامه نظرة الدهشة والذهول، فخيل إليه أنه يرى شبحا يتقدم نحوه، فمد يده إليه وأخذ يناجيه ويقول: "بازيليد" ألا تستطيعين أن تحيليني من ذلك القسم الذي أقسمته لك"[2] .

فقد إستعمل إسم الإشارة "ذلك" في المقطع السابق مرتين للربط بين أجزائه حيث أحال في المرة الأولى قبليا إلى عبارة " صمت صمتا عميقا لا ينبس فيه ولا يتحرك" وبقي على هذه الحالة هنيهة.

(1) المرجع السابق، ص: 46.
(2) المرجع نفسه، ص: 48.

وأحال في المرة الثانية بعديا إلى كلمة القسم وقد استعمل ذلك لأن القسم الذي قطعه "برانكومير" لزوجته قد حدث في الماضي ليس بالقريب وإنما مر عليه وقت خويل بأن يضع تاج الملك على جبهتها و أن تجلس على عرش ملك البلقان.

" قال: ضعي يدك على الخنجر واقسمي به، قالت: أفعل على شرط واحد، قال: وما هو؟ قالت: أن تهديني إياه بعد ذلك، قال: وماذا تصنعين به؟ قالت: أقتل به نفسي يوم يحل بك مكروه! فناولها إياه وهو يقول في نفسه، ربما حل بي عما قريب ذلك المكروه الذي تتوقعين!" (1)

فقد وظف إسم الإشارة في المقطع السابق مرتين، حيث أحال في المرة الأولى قبليا إلى معنى العبارة " ضعي يدك على الخنجر واقسمي" أي لا أضع يدي على الخنجر وأقسم عليه إلا إذا وافقت أن تهديني إياه.

وأحال في المرة الثانية بعديا إلى كلمة" المكررة" اللاحقة عليها، وقد تم ذكر هذه الكلمة في جملة سابقة، وأشار إليه "قسطنطين" في موضع آخر أي" ربما حل بي عما قريب ذلك المكروه الذي تتحدثين عنه وتتوقعينه"

"قال: بل هو جان أو على وشك ارتكاب جريمة هائلة، فقد رابني منه مذ ولى قيادة الجيش عفوه عن الأسرى الذي يقدمون إليه و إنزاله إياهم منزلة الإكرام والاعتزاز واهتمامه بشأنهم كأنهم ضيوف وافدون لا أعداء محاربون كما رابني منه أكثر من ذلك اعتزاله الناس وانقطاعه عنهم جميعا"(2)

فقد أحال إسم الإشارة ذلك إحالة قبلية موسعة إلى العبارة " عفوه عن الأسرى الذي يقدمون إليه و إنزاله إياهم منزلة الإكرام والاعتزاز واهتمامه بشأنهم كأنهم ضيوف وافدون لا أعداء محاربون" فبالإضافة إلى كل هذا فقد رابه وبعث الشك

(1) المرجع السابق، ص: 55.
(2) المرجع نفسه، ص: 58.

في نفسه اعتزاله الناس وانقطاعه عنهم، وبالتالي فقد أدى اسم الإشارة ذلك دورا بارزا في إحالتنا إلى المقطع السابق عليه وربطه بما جاء بعده.

" فاستمرت في حديثها تقول: إنه ذهب إلى ذلك المكان ليستقبل الجيش التركي عند قدومه"[1]

أحال "ذلك" قبليا إلى المكان الذي ذهب إليه القائد "برانكومير" وقد سبقت الإشارة إليه وهو "شعب تراجان الواقعة تحت القوس الروماني"، وهو مكان بعيد من حيث الموقع عن مكان تواجد قسطنطين وصاحبة الخطاب السابق وهي أرملة أبيه.

" نعم أنا الذي قتلته واقترفت أعظم جريمة يقترفها إنسان في العالم ولولاك لما أقدمت على ذلك، ولا خطر ببالي أن إنسانا في الوجود يقدم عليه"[2]

أحال إسم الإشارة ذلك قبليا إلى العبارة " أنا الذي قتلته واقترفت أعظم جريمة يقترفها إنسان في العالم" ولولا زوجة أبيه لما أقدم على هذه الجريمة، فقد أفادت الإحالة القبلية الربط بين أجزاء المقطع السابق.

" ثم قالت له: نعم، إنني سأعيش يا "قسطنطين" حزينة باكية كما قلت ما من ذلك بد"[3]

فقد أحال إسم الإشارة ذلك قبليا إلى العبارة" سأعيش يا "قسطنطين" حزينة باكية" أي ما من شك بأنني سأعيش بقية حياتي حزينة، وقد أفاد المعنى السابق وجود إسم الإشارة "ذلك" حين ربط أجزاء الجملة إضافة إلى إفادة المعنى السابق.

" فاستمر في صمته وإخراقه، وهو يقول في نفسه: كيف أدافع عن نفسي وأي سبيل أسلكه إلى ذلك"[4]

(1) المرجع السابق، ص: 61.
(2) المرجع نفسه، ص: 64.
(3) المرجع نفسه، ص: 65.
(4) المرجع نفسه، ص: 66.

فقد أحال إسم الإشارة قبليا لمعنى وأي سبيل أسلكه للدفاع عن نفسي وهذه العبارة كانت سابقة عليه.

" ولم يزل هذا شأنهم حتى دنا اليوم الذي يجتمع فيه مجلس القضاء للنظر في تلك القضية فذهب الملك ليلة المحاكمة إلى السجين في سجنه وخلاله ساعة يسأله عن جريمته وشركائه فيها وأعوانه عليها، وحاول في ذلك محاولة كثيرة"[1]

فقد أحال إسم الإشارة قبليا، وأفاد معنى وحاول في سؤاله واستجوابه واستنطاقه عن جريمته وشركائه فيها محاولة كثيرة.

" هنيئا لك أيها الرجل مجدك وعظمتك وتمثالك الشامخ... هنيئا لك الصيت البعيد والشهرة الذائعة والشرف الخالد المسجل لك في صفحات التاريخ...

أترى بعد ذلك أنك مظلوم؟"[2]

فقد أحال إسم الإشارة "ذلك" إحالة قبلية موسعة إلى فقرتين بأكملهما، وهو الخطاب الموجه من "قسطنطين" إلى تمثال أبيه، ثم يتساءل إذا كان والده بعد ذلك أنه مظلوم، وقد أفاد "ذلك" إحالتنا إلى كل الخطاب السابق أي: أترى بعد هذا المجد والعظمة والتمثال الشامخ والشهرة الذائعة أتراك مظلوم بعد هذا كله؟

"و هنا حدث ذلك الحدث الهائل الذي شخصت له الأبصار وذهلت له العقول وجمدت لمنظره الدماء في العروق، فقد علمت "ميليتزا" أن القضاء واقع لا مفر منه(...)، فجردت من منطقتها خنجرها الذي كانت قد استهد ته إياه وخعنته به في صدره(...) وكان القوم قد بلغوا موقفهما، فرفعت الخنجر مرة أخرى وخعنت نفسها فترنحت قليلا ثم سقطت على مقربة منه..." [3]

فقد أحال "ذلك" بعديا إلى كلمة "الحدث الهائل" في هذا المقطع، وهذا الحدث الهائل قد تجسد في عدة أحداث ذكر الأهم منها فقط وهي خعن "ميليتزا" لـ

(1) المرجع السابق، ص: 69.
(2) المرجع نفسه، ص: 70.
(3) المرجع نفسه، ص: 76.

"قسطنطين" بنفس الخنجر الذي أقسمت عليه على الحب حتى الموت والذي إستهدته منه، وبالفعل فقد وفت "ميليتزا" بالعهد الذي قطعته لـ "قسطنطين" إن حل به مكروه.

لقد حقق إسم الإشارة "ذلك" دورا بارزا في الربط بين أجزاء الرواية وفقراتها، ذلك أنه في معظم الحالات التي ورد فيها قد أحال إحالة موسعة إلى فقرة وحتى إلى مجموعة من الفقرات بأكملها، مما جنبنا الكثير من التكرار وجعل أجزاء الرواية متواصلة متسلسلة ومتلاحمة فكانت كلا موحدا من حيث الشكل والدلالة.

الإحالة بواسطة إسم الإشارة الجمع:

1ـ أولئك:

لقد تعدد إسم الإشارة وتنوع إستعماله على سطح الرواية واختلف بين هذا هذه ذلك، تلك، أولئك... و كان استعماله تبعا للمشار إليه بحسب القرب والبعد والتذكير والتأنيث والمفرد والجمع، فكان إسم الإشارة "أولئك" الذي وظف في هذه المدونة للإشارة إلى الجمع البعيد وإن كانت نسبة توظيفها أقل من الأسماء الأخرى التي سبق تناولها وهذه بعض المقاطع التي إعتمدت على إسم الإشارة"أولئك" للربط بين أجزائها:" ففقد بفقد عطف أبيه عليه وحنان أمه كل أمل له في الحياة وأصبح يشعر في نفسه بذلة اليتيم التي يشعر بها أولئك المساكين المنقطعون الذين لا يجدون بين أيديهم قلوبا راحمة ولا أفئدة عاخفة!" [1]

فقد أحال إسم الإشارة "أولئك" بعديا إلى كلمة "المساكين" وربطتها بما قبلها فأفادت معنى أن "قسطنطين" يشعر بذلة اليتيم التي يشعر بها المساكين الذين لا يجدون قلبا رحيما عليهم.

2ـ هؤلاء: لقد ورد اسم الإشارة بصيغة الجمع (هؤلاء) في الرواية بنسبة قليلة جدا كذلك ولعل المقطع السابق هو أهمها في الاعتماد عليه للإشارة إلى الجمع:

" وقد جئت أستنجد بك على دفع هذه النازلة التي نزلت بنا، وسأكون في المعركة المقبلة جنديا من جنودك أقاتل بجانبك وأبارك خطواتك، ولا تبتئس بما يقول هؤلاء القوم"[2]،فقد أحال "هؤلاء" بعديا إلى كلمة"القوم" وربطتها لما قبلها، فالقوم الذين يقصدهم هم هؤلاء المحيطين به والحاضرين معه في نفس المقام.

وأخيرا نقول أن أسماء الإشارة قد كان لها دور كبير في تحقيق التماسك النصي من خلال الإحالة القبلية والبعدية وخاصة في الإحالة الموسعة إلى فقرة بأكملها.

(1) المرجع السابق، ص: 13.
(2) المرجع نفسه، ص: 65.

البنية الإحالية للأسماء الموصولة:

الاسم الموصول هو كل اسم إحتاج إلى صلة وعائد. ويعين مسماه بواسطة الصلة[1] ويحتاج الاسم الموصول إلى شيئين ضروريين. صلة وعائد. والصلة ينبغي أن تكون جملة خبرية، والعائد ضمير يعود على الاسم الموصول، وهي كلها مبنية فيما عدا الأسماء التي تدل على المثنى[2].

- وقد إعتمد الكاتب في هذه المدونة موضوع الدراسة على جملة من الأسماء الموصولة لتوضيح مقصده، وليسمي الأشياء بمسمياتها.

حيث أضفى إستخدامه المتنوع لها على الرواية التلاحم و الارتباط الوثيق بين أجزاءها والمقاطع التالية تؤكد ذلك:" لا يزال التاريخ يحفظ في صفحاته حتى اليوم تلك الوقائع الحربية الهائلة التي وقعت في القرن الرابع عشر بين الدولة العثمانية والشعوب البلقانية"[3]

فقد ربطت الإسم الموصول "التي" جملة الصلة بما جاء قبلها وفسرته.

ذلك أن كلمة" الوقائع الحربية الهائلة" لم تكن مفسرة من حيث الزمن الذي حدثت فيه وكذلك بين من دارت هذه الوقائع فجاءت جملة الصلة لإزالة الإبهام وتوضيح المعنى كما تضمنت هذه الجملة "تاء التأنيث" وهي العائد الذي سبق ذكره، والتي اتصلت بالفعل "وقع" وقد أحالتنا قبليا إلى كلمة"الوقائع الحربية الهائلة"

" ثم أشار على ملكه أن يخلع خاعة الترك ويطرد رعاياهم من بلاده ويمتنع عن دفع الجزية والإتاوة،وينادي بحرية البلقان واستقلاله فجبن الملك عن ذلك في أول الأمر ثم أسلس له وأذعن لرأيه ففعل ما أشار به عليه"[4] فقد أحال الاسم الموصول "ما" أحالة بعدية إلى جملة "أشار به عليه"،وهذه الأخيرة أحالتنا قبليا إلى كل الأفعال التي

---

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو الأساسي، دار الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1991م، ص 30.
(2) د/ عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1999، ص 56.
(3) المنفلوطي: في سبيل التاج، ص: 05.
(4) المرجع نفسه، ص 05.

أشار بها "الأسقف أثين" على الملك "ميلوش" ليقوم بها للتصدي للعدو التركي وقد أحالنا إليها الضمير المتصل "الهاء" الوارد في جملة الصلة، إليها وربطها بما كان سابقا للإسم الموصول الذي أدى بذلك دورا مهما في تماسك النص وترابط أجزائه ومعناه.

" إجتمع جنود الفرقة البلقانية ذات ليلة في معسكرهم يشربون ويطربون ويرقصون على نغم قيثار الموسيقار البوهيمي المسكين"بانكو" الذي كان يفد إلى معسكرهم كل ليلة"

أحال الإسم الموصول"الذي" بعديا إلى جملة الصلة " كان يفد إلى معسكرهم كل ليلة" فكانت هذه الجملة بمثابة التفسير للاسم الموصول، كما احتوت هذه الجملة أيضا على الضمير "هم" والذي أحالنا قبليا إلى كلمة الجنود، كما أن الضمير المستتر "الفاعل هو" في الفعل "يفد" يحيلنا قبليا إلى الموسيقار البوهيمي المسكين،وبالتالي فقد ارتبطت جملة الصلة بما جاء قبلها، ووضحته، إذ بينت أن هذا الموسيقار يتردد على معسكرهم كل ليلة.

ثم جلسوا بعد فراغهم يتحدثون في شأن ذلك الحادث العظيم الذي حدث في بلادهم منذ أيام، وهو موت الملك "ميلوش" "[1] .

فقد فسرت جملة الصلة" حدث في بلادهم منذ أيام وهو موت الملك ميلوش" وضحت لنا خبيعة هذا الحادث وكذلك منذ متى وقع، فقد وضحت ما جاء قبلها وفسرته كما أزالت الإبهام عن الإسم الموصول،وقد إحتوت جملة الصلة على الضمير "هم"والذي أحالنا قبليا إلى "الجنود" التي سبق ذكرها في موضع بعيد على سطح النص، فجاءت هذه الفقرة من النص، متماسكة مترابطة، وفيها نوع من الإستمرارية الدلالية من خلال دور الإسم الموصول وإرتباط صلته لما قبلها وتفسيرها له وتعيينها إياه.

"نعم إن النصر قد تم لنا على يد قائدنا العظيم "ميشيل برانكومير" ، ولكن من الذي مهد له النصر وأعد له عدته قبل أن يعقد اللواء على الجيش أليس "الأسقف أثين"؟

[1] المرجع السابق، ص 05.

من الذي ينكر أن ذلك الرجل التقي الصالح هو الذي خاف البلاد من أقصاها إلى أقصاها".[1]

لقد أحال الإسم الموصول "الذي" في المرة الأولى إلى ما جاء بعده وهو "مهد له النصر وأعد له عدته"، والعائد هو الضمير المتصل " الهاء بالحروف والأفعال" في جملة الصلة وقد أحالنا قبليا إلى شخص مذكور في الجملة التي سبقت الإسم الموصول وهو "ميشيل برانكومير"، كما أحال الإسم الموصول "الذي" في المرة الثانية إلى جملة الصلة وهي" ينكر أن ذلك الرجل التقي الصالح هو الذي خاف البلاد من أقصاها إلى أقصاها".

فكانت جملة الصلة بمثابة التفسير للإسم الموصول الواقع بعد إسم الإستفهام "من" حيث وضحت الأمر المستفهم الذي تساءل عنه الجندي كما أحالتنا عبارة" ذلك الرجل التقي الصالح" قبليا إلى" الأسقف أثين" وبالتالي كان المقطع متماسك الأجزاء والمعاني لأنه وإن كان بصيغة الاستفهام إلا أنه في دلالته يفيد التأكيد لأنه المتحدث في المقطع السابق لم يكن يسأل حقيقة بل يؤكد ويثبت ويشيد بفضل ودور"الأسقف أثين"في تحقيق النصر.

"وأن الحرية حياة الأمم وروحها، والرق موتها وفناؤها، وأن الأمة التي ترضى بضياع حريتها واستقلالها وتقبل أن تضع يدها في يد غاصبها إنما هي أحط الأمم وأدناها".[2]

فقد أحال الإسم الموصول "التي" بعديا إلى جملة بأكملها وهي جملة الصلة"ترضى بضياع حريتها واستقلالها"،كما نجد في هذه الجملة العائد وهو الضمير المتصل "الهاء" بالأسماء"حريتها، إستقلالها"،والذي أحالنا قبليا إلى الكلمة السابقة للإسم الموصول وهي "الأمة" وربط كل المعاني والعبارات التالية بها، حيث أزالت "جملة الصلة" الإلهام من خلال تعيين وحصر كلمة "الأمة" لأن المقصودة هنا هي الأمة التي ترضى بضياع حريتها واستقلالها ،وليس أي أمة أخرى، فأدى الاسم الموصول مع

[1] المرجع السابق، ص 05.
[2] المرجع نفسه، ص 07،08.

صلته دورا مهما في إبراز المعنى وتعيينه وحصره إضافة إلى دوره الهام في الربط الشكلي على سطح النص.

لأنهم يعلمون أن قطرات الدماء التي يبذلونها في سبيل حريتهم واستقلالهم إنما هي المداد الأحمر الذي تسجل لهم به في صفحات تاريخهم آيات المجد والفخار"[1]

لقد وضف الإسم الموصول مرتين في المقطع السابق، حيث نجد "التي" وقد أحال إلى جملة الصلة "يبذلونها في سبيل حريتهم واستقلالهم" كما نجد العائد "الهاء" المتصل بالفعل "يبذلون"والذي أحالنا قبليا إلى كلمة "قطرات الدماء".

كما نجد الضمير المتصل "هم" والذي أحالنا قبليا إلى "شعب البلقان" التي ذكرت في موضع سابق وبعيد على سطح النص.

كما نجد الإسم الموصول "الذي" وقد أحال بعديا إلى جملة الصلة "تسجل لهم به في صفحات تاريخهم آيات المجد والفخار"وقد إتصل بهذه الجملة العائد "هم" والذي أحالنا قبليا إلى "شعب البلقان" كذلك فكانت جملة الصلة في الحالتين، مفسرا للاسم الموصول وموضحا له ومبرزا لمعناه، كما ربطت بين أجزاء المقطع وعباراته.

"إنني لا أريد أن أعترض على صديقي "أورش" في كلمته التي قالها في فضل أسقفنا العظيم وأثره الجليل في خدمة الدين والوخن، ولكن الذي أراه وأستصوبه أن لرجال الدين شؤونا خاصة بهم لا يجمل بكرامتهم أن يتعدوها إلى غيرها من أعمال الحياة، وإنني أظن بأسقفنا العظيم أن تشغله مشاغل الملك وملاهيه عن شؤون الدين التي تصبو لها نفسه بخول حياته، والرأي الذي أراه أن يعقد الملك إلى القائد "ميشيل برانكومير" ليقود الأمة جميعها بتلك السياسة الحكمية الرشيدة التي قاد بها الجيش ورفعه إلى مناط السماك الأعلى".[2]

---

[1] المرجع السابق ، ص 08.

[2] المرجع نفسه ، ص 09.

لقد إرتأيت نقل هذا المقطع كاملا- رغم طوله- لأنه يزخر بالأسماء الموصولة والتي تراوحت بين "الذي والتي"، حيث أحال الإسم الموصول "التي" بعديا إلى جملة الصلة "قالها في فضل أسقفنا العظيم" و نجد العائد وهو الضمير المتصل "الهاء" بالفعل "قال" والذي أحالنا قبليا إلى كلمة " كلمته" وربطتنا بما جاء قبل الاسم الموصول من خلالها.

- كما نجده كذلك في موضع آخر وقد أحال بعديا إلى جملة الصلة "تصبوا لها نفسه بخول حياته" و نجد العائد وهو الضمير المتصل "الهاء" بالحرف" اللام" والذي أحالنا قبليا إلى كلمة "شؤون الدين" كما أحالت "الهاء" المتصلة بالأسماء "نفسه، حياته" قبليا إلى "أسقفنا العظيم"، فارتبطت جملة الصلة بما كان قبلها إرتباطا وثيقا من خلال الإسم الموصول وكذلك العائد.

كما نجد الإسم الموصول"التي" قد وضف في آخر المقطع وأحال بعديا إلى جملة الصلة" قاد بها الجيش ورفعه إلى مناط السماك الأعلى"، و نجد العائد "الهاء" المتصل بحرف الجر، وقد أحالنا قبليا إلى كلمة" السياسة الحكيمة الرشيدة" فارتبطت الصلة بما قبلها كما أنها حددت الإسم الموصول وفسرته.

أما الإسم الموصول "الذي" فقد أحالنا بعديا إلى جملة الصلة "أراه وأستصوبه". فكانت مفسرة للإسم الموصول وأزالت عنه الغموض والإبهام وأحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "أرى" قبليا إلى كلمة "الرأي" كما وضف كذلك في موضع آخر وأحال بعديا إلى جملة" أراه أن يعقد الملك إلى القائد "ميشيل برانكومير"، فكان الإسم الموصول بمثابة حلقة الوصل بين الصلة وما جاء بعدها وما كان قبلها، بل حلقة وصل بين أجزاء المقطع ككل.

ولكن إئذن لي أن أقول لك إنك إنما تحدثت في كلامك عن الماضي القديم الذي حضرته وشاهدته أما الحاضر فلا تعرف منه شيئا". [1]

فقد أحال الإسم الموصول"الذي" بعديا إلى جملة الصلة"حضرته وشاهدته".

[1] المرجع السابق، ص 10.

كما نجد العائد الذي إتصل بالأفعال"حضرت، شاهدت" وهو" الهاء" المتصلة والتي أحالتنا قبليا إلى كلمة" الماضي القديم" التي ذكرت قبل الاسم الموصول، فربط الإسم الموصول ما جاء قبله بصلته التي كانت بعده.

"وربما لو ترك وشأنه لكانت له في حياته خطة غير هذه الخطة التي ينتهجها اليوم"[1] فقد أحال الإسم الموصول "التي" إلى جملة الصلة "ينتهجها اليوم"

كما ارتبطت جملة الصلة بما قبلها عن طريق "الهاء" المتصلة بالفعل "ينتهج" والذي أحالنا قبليا إلى كلمة "الخطة"، فارتبطت من خلاله عبارات المقطع السابق.

" ولم يزل هذا شأنها معه حتى مات الملك "ميلوش" وجاءت الساعة التي تنتظرها،فهتفت به: ها قد حانت الفرصة التي كنا نرقبها و ها قد بدأت تتحقق نبوءة ذلك العراف الخبير الذي تنبأ لي بها(...) فانقاد لها ومشى في الطريق التي رسمتها له واخذ يدعو الناس لنفسه ويستكثر من سواء أشياعه وأنصاره، ويداخل أعضاء الجمعية الوطنية ويداهنهم ويتوسل إليهم أن يساعدوه على نيل أمنيته التي يرجوها".[2]

لقد تكرر الإسم الموصول في المقطع السابق حيث أحال إلى جملة الصلة "كنا نرقبها" وقد اتصلت بالفعل "نرقب" الضمير"الهاء" والذي أحالنا قبليا إلى كلمة "الفرصة" كما أحالت "التي" كذلك في موضع آخر إلى جملة الصلة "تنبأ لي بها" وقد اتصلت كذلك "الهاء" بحرف الجر "بـ" وأحالتنا قبليا إلى جملة "نبوءة ذلك العراف" والتي تنبأ بها لـ"بازيليد" كما أحالت "التي" كذلك إلى جملة الصلة "رسمتها له" وأحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "رسمت" قبليا إلى كلمة "الطريق" السابقة للاسم الموصول، هذا وقد أحالت "التي" في آخر المقطع السابق بعديا إلى جملة الصلة "يرجوها" وقد اتصلت "الهاء" بالفعل "يرجو" والتي أحالتنا قبليا إلى كلمة "امنيته"

---

[1] المرجع السابق، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

وعليه فقد أدى الإسم الموصول "التي" دورا مهما في اتساق النص وتماسكه من خلال الإحالة البعدية إلى جملة الصلة التي وضحته و فسرت معناه.

" أما ابنه "قسطنطين" فقد كان بمعزل عن هذا كله، فإن وفاة أمه التي كان يحبها حبا شديدا تركت في نفسه أثرا من الحزن لا يبلي(...)، وأصبح يشعر في نفسه بذلة اليتيم التي يشعر بها أولئك المساكين المنقطعون الذين لا يجدون بين أيديهم قلوبا راحمة ولا أفئدة عاخفة!، فكان يخاخر بنفسه في المعارك التي يحضرها مخاخرة اليائس المستقتل"[1]

لقد وظف الإسم الموصول في المقطع السابق عدة مرات، حيث نجد"التي" قد وظف بكثرة كما نجد كذلك" الذين" الدال على الجمع فقد أحالت "التي" بعديا إلى جملة الصلة "كان يحبها حبا شديدا" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "يحب" قبليا إلى كلمة "أمه" كما أحالت" التي" كذلك بعديا إلى جملة الصلة "يشعر بها أولئك المساكين" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "بـ" قبليا إلى كلمة " ذلة اليتيم" ثم أحالت في آخر المقطع بعديا إلى جملة "يحضرها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "يحضر" قبليا إلى كلمة "المعارك"

أما الإسم الموصول "الذين" الدال على الجمع الذكر فقد أحال بعديا إلى جملة الصلة بصيغة الجمع كذلك حين نجد "لا يجدون بين أيديهم قلوبا رحيمة"

وقد أحال الضمير "هم" المتصل بالاسم "أيدي" قبليا إلى كلمة "المساكين المنقطعون" فكان للاسم الموصول دورا مهما في ترابط أجزاء المقطع من الناحية الشكلية والدلالية من خلال تنوع المجال إليه في جملة الصلة وارتباخها بما قبلها من خلاله إضافة إلى تفسير الاسم الموصول ما جاء بعده وربطه بما كان قبله.

[1] المرجع السابق، ص 13، 14.

" وكان يعلم من شؤون نفسها وخبايا قلبها ما لا تظن أنه يعرف شيئا منه، فنظر إليها نظرة شزراء ملتهبة وقال لها وهو يعلم أن ما سيقوله سيغضبها ويؤلمها ويملأ صدرها غصة وحنقا"[1]

فقد أحال الاسم الموصول"ما" بعديا إلى جملة الصلة "لا تظن أنه يعرف شيئا منه" وأحال الضمير المتصل بحرف الجر"من" قبليا إلى كلمة"خبايا قلبها" كما أحال كذلك إلى جملة الصلة "سيقوله سيغضبها..." حيث فسرت الاسم الموصول وبينت ما كان يدور بنفس "قسطنطين"، فقد كان يدرك جيدا بأن الكلام الذي سيقوله لـ"بازيليد" سيغضبها ويؤلمها وبالتالي فقد ربط الاسم الموصول "ما" بين أجزاء المقطع السابق، كما أدت جملة الصلة بعده دورا مهما في تفسير وتجلية معناه.

" إننا لا نحمل هذه السيوف على عواتقنا لنقتل بها النساء والأخفال والضعفاء والعزل الذين لا سلاح لهم ولا قوة في أيديهم(...) إنني لا أعرف شرفا غير شرف النفس ولا نسبا غير نسب الفضيلة وإن هذه البائسة المسكينة التي تحتقرونها وتزدرونها لم تضع ذنبها بيدها(...) فما هو ذنبها وما هي جريمتها و أي حيلة لها في هذا المصير الذي ساقها القدر إليه؟ إنما الإثم على الذين يقترفون الذنوب وهم يعملون مكانهم من الرذيلة أولئك هم الآثمون المذنبون الذين يجدر بنا أن نشتد في مؤاخذتهم"[2]

لقد تعددت الأسماء الموصولة في المقطع السابق وتنوعت بين "الذي" و"التي" و"الذين" الدال على جمع المذكر.

حيث أحال الاسم الموصول "الذين" بعديا إلى جملة الصلة "لا سلاح لهم ولا قوة" وقد اتصل الضمير "هم" بحرف الجر "اللام" وأحال قبليا إلى "النساء والأخفال الضعفاء والعزل وهي جمع كذلك. كما أحال بعديا إلى جملة الصلة وهي "يجدر بنا أن نشتد

[1] المرجع السابق، ص 15.
[2] المرجع نفسه، ص 16.

في مؤاخذتهم" فقد وضحت الإسم الموصول كما اتصل الضمير "هم" بالاسم "مؤاخذة " والذي أحالنا قبليا إلى كلمة "الآثمون" حيث ربط جملة الصلة بما جاء قبله

كما أحال الاسم الموصول "الذين" بعديا في موضع آخر من المقطع السابق إلى جملة "يقترفون الذنوب" فالإثم- حسب رأي "قسطنطين"- هو الذي يقترف الذنوب مع علمه وإدراكه لمكانها من الرذيلة.

أما الاسم الموصول "التي" فقد أحالنا بعديا إلى صلته وهي "تحتقرونها وتزدرونها" وقد اتصل الضمير "الهاء" بالأفعال "تحتقرون وتزدرون" فأحالنا قبليا إلى كلمة "البائسة المسكينة" وبالتالي فقد ربط الاسم الموصول "التي" صلته بما جاء قبله.

كما نجد كذلك الاسم الموصول "الذي" وقد أحالنا بعديا إلى صلته "ساقها القدر إليه" وقد ارتبطت بكلمة "المصير" السابقة عليه من خلال الضمير"الهاء" المتصل بحرف الجر "إلى" وبالتالي فقد أدى الاسم الموصول على "إختلافه- بين المفرد والجمع وبين المذكر والمؤنث- دورا مهما في ترابط أجزاء المقطع السابق وتماسكه وتلاحمه فكان كلا موحدا رغم تباعد أجزائه على سطح الرواية.

"والدموع هي السلاح الوحيد الذي تعتمد عليه المرأة في جميع شؤونها وعلائقها فعظم الأمر على "برانكومير" وقال له: إنك لن تسيء إلى نفسك في تنزلك إلى حماية هذه النورية الساقطة واهتمامك بشأنها بقدر ما أسأت إلى أبيك في مجابهة زوجته ومقايضتها (...) ولولا هذه الرايات الحمر التي ألقيتها اليوم تحت قدميّ بأهلتها البيضاء لما اغتفرت لك هذه الجريمة التي إجترمتها"[1]

لقد تنوع استخدام الاسم الموصول في المقطع السابق وتراوح بين "الذي" "التي" "ما" فقد أحال "الذي" بعديا إلى صلته وهي "تعتمد عليه المرأة" وقد اتصل العائد "الهاء" بحرف الجر "على" وأحالنا قبليا إلى كلمة "السلاح" السابقة على الاسم الموصول.

(1) المرجع السابق، ص 17.

أما "التي" فقد أحالتنا بعديا إلى جملتي الصلة الأولى "ألقيتها اليوم تحت قدمي" وقد اتصلت "الهاء" بالفعل "ألقيت" وأحالنا قبليا إلى كلمة "الرايات الحمر" التي سبقتها أما الجملة الثانية فهي "اجترمتها" فقد أحال إليها الاسم الموصول "التي" وربطها بما قبلها وذلك من خلال الهاء المتصلة بالفعل "اجترمت" والتي أحالتنا قبليا إلى كلمة "الجريمة"

كما نجد الاسم الموصول "ما" والذي أحال بعديا إلى جملة الصلة "أسأت إلى أبيك" وقد أحالنا الضمير المتصل"الكاف" مقاميا إلى ذات المخاطب وهو "قسطنطين" وقد أحال إليه كذلك في جملة الصلة "اغتفرت لك لهذه الجريمة" وقد قام الاسم الموصول بدور مهم في ربط أجزاء المقطع السابق وذلك من خلال جملة الصلة التي فسرته وكذلك من خلال ارتباطها بما سبق مما خلق نوعا من الاستمرارية الشكلية والدلالية في المقطع السابق.

" فليت شعري هل عجزت الطبيعة على أن تجمع للمرء بين هاتين المزيتين: مزية العقل الذي يعيش به والخلق الذي يتجلى بحليته(...) وكأنما كان يشعر باقتداره على أن يجمع لتلك الفتاة المسكينة بين هاتين الفضيلتين وأن يصوغ من نفسها ذلك المثال الغريب الذي عجزت يد الطبيعة عن صياغته"[1]

لقد تعدد استخدام الاسم الموصول "الذي" في المقطع السابق وقد أحال بعديا إلى ثلاثة جمل ، الأولى وهي جملة الصلة "تعيش به" وقد أحال "الهاء" المتصل بحرف الجر بعديا إلى كلمة "العقل" وربطتها بما قبلها أما الجملة الثانية فهي "يتجلى بحليته" فقد فسرت الاسم الموصول وأحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "حليته" قبليا إلى كلمة"الخلق" أما الجملة الثالثة والأخيرة فهي "عجزت يد الطبيعة عن صياغته" فقد وضحت الاسم الموصول كما أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "صياغته قبليا إلى كلمة "المثال الغريب"

(1) المرجع السابق، ص 18.

وبالتالي فقد ربط الاسم الموصول بين أجزاء المقطع من خلال إحالته البعدية لجملة الصلة التي كانت مبرزة لمعناه وأزالت عنه الإبهام كما ارتبطت هذه الأخيرة بما قبلها عن طريق الضمير المتصل الذي أحالنا قبليا لما جاء قبل الاسم الموصول.

"وجد في صدرها ذلك القلب المحب المخلص الذي بكاه وندبه ندبا شديدا يوم ماتت أمه (...) وكان يفضي إليها بكل خبيئة من خبايا نفسه إلا ذلك الهم العظيم الذي كان يعالجه في أخواء نفسه ويكابد منه ما يقلق مضجعه وهو استحالة حال أبيه وانتقاض قلبه عليه وإنقياده ذلك الانقياد الأعمى إلى تلك الفتاة اليونانية الدخيلة التي لا يعنيها من شأنه سوى أن تتخذ من عاتقه سلما تصعد عليه إلى سماء المجد"[1]

لقد تنوعت الأسماء الموصولة في المقطع السابق وساهمت بشكل كبير في تماسك وتلاحم النص، حيث نجد "الذي" قد أحال بعديا إلى جملة الصلة "بكاه وندبه ندبا شديدا" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأفعال "بكاه، ندبه" قبليا إلى كلمة "القلب المخلص" السابقة للاسم الموصول وبالتالي فقد ربط الاسم الموصول "الذي" ما جاء بعده بما كان قبله.

كما أحال الاسم الموصول "ما" بعديا إلى جملة الصلة "يقلق مضجعه" وأحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "مضجعه" قبليا إلى "قسطنطين" الذي سبق ذكره في موضع بعيد على سطح النص وبالتالي فقد خلق نوعا من الاستمرارية الدلالية و من خلال ربط المعاني واسنادها كلها إلى "قسطنطين".

كما أحال الاسم الموصول "التي" بعديا إلى صلته وهي "لا يعنيها من شأنه..."

وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "يعينها" قبلها إلى كلمة "الفتاة اليونانية" أما الهاء المتصلة بالاسم "شأنه" فقد أحالنا قبليا إلى أبيه التي سبق ذكرها فكان للاسم الموصول عظيم الأثر في إضفاء التلاحم و لقد بين الانسجام بين أجزاء المقطع السابق.

(1) المرجع السابق، ص 19.

" تبا لك أيها الشعب الخائن الغادر، لقد جازيتني شر الجزاء على عملي وكفرت بنعمتي التي أسديتها إليك ويدي التي اتخذتها عندك أيام كنت أسهر لتنام، وأشقى لتسعد وأقضي لياليّ الطوال سجينا في قلعتي لا أبرحها ولا أنتقل منها لأدبر لك الحماية التي تحميك وتصون أرضك (...)فكان جزائي عندك أن ضننت علي بالعرش الذي أنا عماده وملاكه(...) لقد فللت بيدك سيفك الذي كان يحميك ويصونك وأخفأت جذوة الحماسة في صدر قائدك الذي كان يذود عنك (...) فاخلب إلى أسقفك التقي الصالح الذي توجهته بيدك واخترته بنفسك أن يستنزل لك بدعواته النصر من آفاق السماء"[1]

لقد ارتأيت نقل هذا المقطع كاملا رغم طوله لأنه اعتمد على الأسماء الموصولة بنسبة كبيرة للربط بين أجزائه ، حيث نجد:

التي قد أحالت بعديا إلى جملة الصلة "أسديتها إليك" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "أسديت "قبليا إلى كلمة "نعمتي" أما "الكاف" المتصلة بحرف الجر "إلى" فقد أحالت مقاميا إلى المخاطب في ذلك المقام و هو " الشعب الخائن الغادر" كما أحالت التي إلى جملة الصلة "اتخذتها عندك" وأحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "اتخذت" قبليا إلى كلمة "يدي"

كما أحالت التي كذلك بعديا إلى صلتها وهي "تحميك" وقد أحالت "الكاف" دائما إلى المخاطب وهو نفسه "الشعب الخائن"

أما الاسم الموصول "الذي" فقد أحال بعديا إلى جملة الصلة " أنا عماده وملاكه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالأسماء"عماده، ملاكه" قبليا إلى كلمة "العرش" وفسرته من خلال الاسم الموصول كما أحال ضمير المتكلم "أنا" مقاميا إلى ذات المتكلم وهو "ميشيل برانكومير" " ثم أحال "الذي" أيضا إلى جملة الصلة "كان يذود عنك" وقد أحالت "الكاف" إلى المخاطب في ذلك المقام ، ثم أحال أيضا إلى جملة الصلة "توجته

(1) المرجع السابق، ص 23، 24.

بيدك واخترته بنفسك" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"اخترت" قبليا إلى كلمة "أسقفك التقي الصالح" فارتبطت جملة الصلة بما قبلها عن طريق الضمير المتصل.

فأدى بذلك الاسم الموصول دورا مهما في اتساق وتلاحم المقطع السابق و ذلك من خلال الإحالة البعدية إلى جملة الصلة وارتباط هذه الأخيرة بما قبلها عن طريق الضمير المتصل فكان لها دور مهم في الربط بين أجزاء المقطع السابق.

" أما الحرية الدينية التي تريدون أن تمنوا بها علينا فما أهونها عليكم ما دامت لا تعطل لكم غرضا (...) فكان مثلهم في ذلك مثل اللص الذي يدس لمن يريد سرقته مادة مخدرة في طعامه لا تكلفه إلا ثمنا يسيرا يستولي بها على الجم الكثير من دنانيره"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "التي" بعديا إلى جملة الصلة "تريدون أن تمنوا بها علينا" كما أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "بـ" قبليا إلى كلمة "الحرية الدينية" فربطت جملة الصلة بما قبلها.

كما أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى صلته "يدس لمن يريد سرقته" فكانت جملة الصلة بمثابة المفسر والمعين للاسم الموصول حيث أزالت عنه الغموض والإبهام كما أدى الاسم الموصول دوره الهام في اتساق عبارات النص من خلال الإحالة البعدية إلى جملة الصلة وارتباط هذه الأخيرة بما قبلها عن طريق العائد.

" فإن كنت تريد بما قلته أن تعلمني ما ألقنه لذلك الرجل الذي اتفقنا على خداعه وختله، فإنني أحفظ كثيرا من أمثال هذه الرقى والتعاويذ(...)ولتعلم أن الذي أسعى لاعطائك إياه وتسليمك زمانه إنما هو الوخن بأجمعه(...)وأن الثمن الذي أتقاضاه في سبيل ذلك ثمن بخس ضئيل لا يزيد عن كرسي من الخشب مملوء بالذهب"[2]

(1) المرجع السابق، ص 27.
(2) المرجع نفسه، ص 28.

لقد أحال الاسم الموصول "ما" بعديا إلى جملة الصلة ألقنه لذلك الرجل حيث فسرت الاسم الموصول "ما" ووضحت معناه.

أما الاسم الموصول"الذي" فقد أحالنا بعديا إلى جملة الصلة "اتفقنا على خداعه وختله" وقد أحال الضمير "الهاء" المتصل بالأسماء "خداع، ختل" إلى كلمة "الرجل" السابقة على الاسم الموصول وبالتالي فقد ارتبطت الصلة بما قبلها.

كما أحال "الذي" كذلك إلى جملة الصلة "أسعى لاعطائك إياه" حيث أزالت الإبهام عن الاسم الموصول.

ثم أحال كذلك إلى جملة "أتقاضاه في سبيل ذلك" حيث أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"أتقاضاه" قبليا إلى كلمة "الثمن" فارتبطت جملة الصلة بما جاء قبلها.

وقد فسرت جملة الصلة الاسم الموصول وأزالت عنه الإبهام والغموض، كما أدى هذا الأخير دورا مهما في الربط بين أجزاء النص وتلاحم أجزائه.

" هذا هو الحب الطاهر البريء الذي لا تشوبه الأغراض والغايات ولا تحيط به الريب والشكوك، والذي خالما نشده الناس فأظلوه(...)ولقد ظفر "قسطنطين" من تلك الفتاة بهذه النفس المخلصة التي تحزن لحزنه وتفرح لفرحه"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى صلته وهي "لا تشوبه الأغراض والغايات"، كما أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تشوب" قبليا إلى كلمة " الحب الطاهر البريء" فارتبطت جملة الصلة بما قبلها

كما أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا كذلك إلى جملة الصلة "خالما نشده الناس" وقد تواصلت الإحالة القبلية إلى كلمة "الحب الطاهر البريء" من خلال الهاء المتصلة بالفعل "نشد"

(1) المرجع السابق، ص 31.

أما الاسم الموصول "التي" فقد أحالنا بعديا إلى صلته وهي "تحزن لحزنه وتفرح لفرحه" وقد أحالنا الضمير المتصل "الهاء" بالأسماء "حزنه، فرحه" قبليا إلى كلمة "قسطنطين"

فارتبطت جملة الصلة بما قبلها من خلال العائد ومن خلال الاسم الموصول الذي كان مبهما فجاءت جملة الصلة لتفسيره وإيضاح معناه.

" ما هذا الإصفرار الذي يكسو وجهك يا ميشيل؟ وما هذه الكآبة السوداء التي تتدجي في عينيك؟ فهل أنت نادم على ما كان؟ قال لا ولكنني أخشى الفشل، قالت: لا اعرف للفشل بابا يمكن أن يدخل عليك منه (...) فأنت قائد الجيش وصاحب الأمر والنهي فيه، فإن كان كل ما يعنيك من الأمر ألا تظهر يدك في هذا العمل فقم الساعة والبس ثياب أحد الحراس واذهب إلى مكان الحارس الأول (...) فاظهر له كأنك الحارس الذي يخلفه في مكانه واهتف له بكلمة السر التي بثثتها بين جنودك"[1]

فقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملة الصلة وربطها بما قبله حيث ارتبط الاصفرار بوجه ميشيل، وقد أحالت إليه كذلك كاف المخاطب التي أحالت أحالة مقامية إلى ذات المخاطب كما أحال كذلك في موضع آخر إلى جملة الصلة " يخلفه في مكانه" وقد ارتبطت الصلة بما قبلها من خلال الهاء المتصلة بالاسم المجرور"مكانه" وقد أحالنا قبليا إلى كلمة الحارس السابقة للاسم الموصول.

أما "التي" فقد أحالنا بعديا إلى صلته "تتدجي في عينيك" حيث أحالت "كاف" الخطاب المتصلة بالاسم "عينيك" مقاميا إلى ذات المخاطب

كما أحالت "التي" كذلك إلى جملة" بثثت بين جنودك" وقد أحالت الهاء المتصلة بالفعل"بثثت" قبليا إلى كلمة "كلمة السر" وبالتالي فقد ربطت جملة الصلة بما قبلها إضافة إلى ذلك نجد الاسم الموصول "ما" والذي أحال بعديا إلى صلته "يعنيك من الأمر" فقد فسرت جملة الصلة الاسم الموصول كما أضفت نوعا من الاستمرارية

(1) المرجع السابق، ص 35.

الدلالية من خلال الإحالة إلى عنصر سابق إضافة إلى دور الاسم الموصول في تحقيق الاتساق والترابط على سطح النص.

" فارحم ولدك المسكين الذي لا يزال يضمر لك في قلبه حتى الساعة ذلك الحب القديم الذي تعرفه واستبق له تلك السعادة التي لم يبق له في الحياة سعادة غيرها"[1]

فقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملتين مختلفتين منفصلتين الأولى وهي: "لا يزال يضمر لك في قلبه..." وقد أحالت "كاف" الخطاب إلى ذات المخاطب "والد قسطنطين دائما" أما الهاء المتصلة بالاسم "قلب" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة (ولدك المسكين" أما الجملة الثانية فهي "تعرفه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تعرف" قبليا إلى كلمة "الحب القديم" فارتبطت جملة الصلة بما قبلها.

أما "التي" فقد أحالت إلى جملة الصلة"لم يبق له في الحياة سعادة غيرها"

وقد أحالت الهاء المتصلة بحرف الجر"لـ" قبليا إلى ذات المتحدث بصيغة الغائب وهو "قسطنطين" الذي وصف نفسه بأنه ولد مسكين أما جملة الصلة فقد فسرت كلمة "السعادة" ووضحتها من خلال الاسم الموصول "التي" حيث ربطت بين أجزاء النص في المقطع السابق.

حيث أفادت أن سعادة "قسطنطين" الآن سببها الوحيد حبه لوخنه ولأبيه وهي السعادة التي لم يبق له غيرها فقد فسرت جملة الصلة الاسم الموصول وارتبطت بما قبله من خلاله حيث أزالت عنه الغموض ووضحت ما كان قبله.

" لقد حدثتني نفسي في تلك الساعة الهائلة التي سمعتك فيها تؤامر على وخنك وأمتك بأفضع ما تحدث به نفس صاحبها(...) فلم أفعل لأنني ظننت بك على الموت الدنيء الذي يموته الخائنون المجرمون أمثالك وأشفقت على ذلك الشرف العظيم الذي بلغ في علوه مناط السماك الأعلى أن يصبح مهانا تدوسه الأقدام"[2]

(1) المرجع السابق، ص 41.
(2) المرجع نفسه، ص 41.

لقد أحال الاسم الموصول "التي" بعديا إلى صلته التي فسرته وهي "سمعتك فيها تؤامر على وخنك" وقد أحالت "كاف" المخاخب إلى ذات المخاخب وهو "القائد برانكومير" من خرف ابنه "قسطنطين" أما "الهاء" المتصلة بحرف الجر "في" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "الساعة الهائلة" فارتبطت جملة الصلة بما قبلها عن خريق الاسم الموصول

أما "الذي" فقد أحالنا بعديا إلى جملتين مختلفتين الأولى "يموته الخائنون المجرمون أمثالك" حيث أحال"الهاء" المتصل بالفعل "يموت" قبليا إلى كلمة "الموت الدنيء" السابقة على الاسم الموصول أما الكاف المتصلة بالاسم "أمثال" فقد أحالتنا دائما إلى ذات المخاخب السابق.

كما أحال كذلك إلى جملة ثانية وهي "بلغ في علوه مناط السماك الأعلى" وقد أحالت الهاء المتصلة بالاسم "علو" قبليا إلى كلمة "الشرف العظيم"

فارتبطت جملة الصلة بما قبلها وكانت بمثابة المفسر للاسم الموصول الذي أدى دورا مهما إلى إبراز المعنى من خلال الربط السطحي بين أجزاء المقطع السابق إضافة إلى تجليته المعنى من خلال صلته التي أزالت عنه الغموض والإبهام.

" فوقف "قسطنطين" حائرا ملتاعا يترجح بين اللهف على وخنه الضائع والإشفاق على أبيه المسكين لا يستطيع أن يخون وخنه الذي نبت في تربته وعاش بين أرضه وسمائه ولا أن يعق أباه الذي أبرزه إلى الوجود ووهبه نعمة الحياة"[1]

لقد اعتمد المقطع السابق على الاسم الموصول "الذي" للربط بين جمله ومعانيه وقد أحال إلى جملتين الأولى وهي "نبت في تربته" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "تربة" قبليا إلى كلمة "وخنه"

أما الجملة الثانية فهي "أبرزه إلى الوجود" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "أبرز" قبليا إلى كلمة "أباه" فقد كان "قسطنطين" في حيرة من أمره فهو لا يستطيع أن يخون وخنه ولا أن يعصي أباه وكلاهما أحب إليه من نفسه، وهذا ما جعله يترجح

(1) المرجع السابق، ص 43.

بين اللهف على وخنه والحفاظ على حريته، وبين أن يعق أباه الذي لم يبق له في الحياة أي سند سواه وقد أفاد الاسم الموصول الربط و المساهمة في اتساق عبارات المقطع السابق من خلال الربط بين صلته وبين ما جاء قبله، كما ساهم كذلك في الانسجام من خلال تفسيره للكلمة التي تسبقه من خلال جملة الصلة.

فقد فسر كلمة الوخن "الذي نبت في تربته" ثم جاءت جملة الصلة كموضح للاسم الموصول كما وصف أباه بأنه هو الذي أبرزه إلى الوجود فوضحت جملة الصلة الاسم الموصول وأزالت عنه الغموض وربطته بما قبله.

"أيرضيك يا "ميشيل برانكومير" يا بطل البلقان وحاميها وأشرف من أنجبت به أصلاب رجالها و أرحام نسائها ان يملك العدو علينا هذه البلاد العزيزة الكريمة" (1)

فقد أحال الاسم الموصول بعديا إلى جملة الصلة "أنجبت به أصلاب رجالها وارحام نسائها" وقد أحالت"الهاء" المتصلة بالأسماء"رجال، نساء" قبليا إلى "البلقان" فقد وصف "قسطنطين" والده بأنه بطل البلقان لا بل هو أشرف من انجبت من أصلاب رجالها وأرحام نسائها، فأدى الاسم الموصول "من" دورا بارزا للربط بين جمل ومعاني المقطع السابق، وهو الأنسب في ذلك الموضع.

" ولكنني سأنتزع بالرغم من ذلك التاج من ذلك الرأس الذي توجه به وأضعه على رأسي، فقال: ولكنك تعلم يا أبت أن التاج الذي يتناوله متناوله من يد عدوه ليس بتاج شريف(...) قال: إنك تهينني يا "قسطنطين"، وتهددني ولقد بلغت بوقاحتك الغاية التي لا غاية وراءها"(2)

لقد وظف الاسم الموصول "الذي" مرتين في المقطع السابق، وقد أحال بعديا إلى جملتين منفصلتين الأولى وهي "توجه به وأضعه على رأسي" فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"أضع" قبليا إلى كلمة "التاج"، وكذلك "الهاء" المتصلة بحرف الجر "بـ" أما الياء

(1) المرجع السابق، ص 43
(2) المرجع نفسه، ص 43.

المتصلة بكلمة "رأسي" فقد أحالت إلى ذات المتكلم وهو "برانكومير" الذي أصبح ناقما ساقطا على ربه ورأى بأنه ممالئ مداج ولا يحب إلا قساوسته، كما أحال "الذي" كذلك بعديا إلى جملة " يتناوله متناوله من يد عدوه" فقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"يتناول" والاسم "متناول" قبليا إلى كلمة "التاج" وربطت الصلة بما جاء قبل الاسم الموصول، فكانت بمثابة المفسر له، كما أحالت "التي" بعديا كذلك إلى صلتها وهي"لا غاية وراءها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "وراء" قبليا إلى كلمة "الغاية" السابقة على الاسم الموصول، فأفاد الاسم الموصول ربط ما كان قبله بما جاء بعده أي صلة الموصول التي أفادت تجلية المعنى وتوضيحه وإزالة الغموض عن الاسم الموصول.

" عد إلى نفسك لحظة واحدة يا أبت وراجع فهرس تاريخك الشريف واذكر تلك الأيام المجيدة التي أبليت فيها في الدفاع عن وخنك وقومك بلاء سجله لك التاريخ في صفحاته البيضاء بأقلامه الذهبية، وتلك الوقائع الحربية الهائلة التي كنت تستقبل فيها الموت استقبال العروس(...) اذكر تلك الأعلام الوخنية التي تخفق على أبواب المدينة وأسوارها(...) لا تبع أمتك يا أبت بعرض تافه من إعراض الحياة، فالتاج الذي يتناوله صاحبه من يد عدوه ليس بتاج الملك"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "التي" بعديا إلى ثلاث جمل حيث أحال إلى جملة "أبليت فيها في الدفاع عن وخنك" وقد أحالتنا "الهاء" المتصلة بحرف الجر"في" قبليا إلى كلمة "الأيام المجيدة" كما أحال كذلك إلى جملة "كنت تستقبل فيها الموت" أما "الهاء" المتصلة بحرف الجر "في" فقد أحالت في هذه المرة قبليا إلى كلمة "الوقائع الحربية الهائلة" فارتبطت جملة الصلة بما قبلها من خلالها، ثم أحالت "التي" كذلك إلى جملة "تخفق على أبواب المدينة وأسوارها" فقد دعا قسطنطين والده إلى تذكر الأعلام الوخنية الشامخة والتي تخفق وتصفق على أبواب المدينة وأسوارها.

(1) المرجع السابق، ص 44، 45.

أما الاسم الموصول "الذي" فقد أحال بعديا إلى صلته وهي "يتناوله متناوله من يد عدوه" وقد أحال الضمير المتصل "الهاء" بالفعل "يتناول" والاسم "متناول" قبليا إلى كلمة "التاج" السابقة على الاسم الموصول.

فأدى الاسم الموصول دورا مهما في ترابط أجزاء المقطع السابق واتساق عباراته و انسجامها وذلك من خلال الإحالة البعدية إلى جملة الصلة التي عينته وأزالت عنه الإبهام، ثم ارتباط هذه الجملة بما جاء قبل الاسم الموصول عن خريق الضمائر التي تحيلنا قبليا إلى عنصر سبق ذكره قبل الاسم الموصول، فكانت الجمل الموصولة متلاحمة مع غيرها عن خريق الاسم الموصول والضمائر المتصلة.

"أذكر يا أبت تلك الأيام التي لقي فيها هذا الشعب المسكين على يد هؤلاء القوم الظالمين ما لم يلق شعب في الأرض على يد فاتح أو مغتصب(...) وهل يخرج الخارج منا من منزله ليعود إليه أو ليرد المورد الذي لا رجعة له منه أبد الدهر"[1]

فقد أحال الاسم الموصول "التي" بعديا إلى جملة الصلة " لقي فيها هذا الشعب" وقد أحالت الهاء المتصلة بحروف الجر"في" قبليا إلى كلمة "الأيام" كما أحال الإسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملة لا رجعة له منه، وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحروف الجر "لـ،من" قبليا إلى كلمة" المورد" السابقة على الاسم الموصول، فقد دعا "قسطنطين" أبيه لتذكر تلك الأيام المزرية والعصيبة التي لقي فيها شعبه المسكين وأبناء وخنه على يد هذا العدو الذي يريد تسليمهم له ما لم يلقه أي شعب آخر على يد فاتح أو مغتصب، وأثبتت له صحة كلامه، بتساؤل خرحه عليه مفاده أن الخارج من بيته لا يدري إذا كان سيعود إليه أم أنه سيرد مورد التهلكة الذي لا رجعة منه أبد الدهر.

لقد أفاد الاسم الموصول الربط الشكلي بين السطحي بين عبارات المقطع السابق إضافة إلى الربط بين معانيها من خلال إفادة المعاني السابقة.

(1) المرجع السابق، ص 45.

" أذكر أيام كانت كلمة "الوخز" جريمة يعاقب عليها قائلها بحرمانه من ذلك الذي يهتف باسمه(...)أذكر الدموع التي تذرفها الأمهات على أخفالهن المذبوحين فوق حجورهن، والصيحات التي كانت تصيحها الزوجات والأخوات الواقفات بأبواب السجون على أزواجهن وإخوتهن والزفرات التي يصعدها اليتامى(...) لا بل أنت تذكره وتعرفه كما تعرف نفسك لأنك أنت الذي خصصته علينا(...) واريتنا من ويلاته ما لم نره(...) ففي سبيل اللّه ما سفكنا وفي ذمة القدر ما بذلنا"[1]

لقد تنوعت الأسماء الموصولة في المقطع السابق وتراوحت بين "الذي" "التي" و"ما" فقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملتين الأولى وهي"تهتف باسمه" وقد أحالت"الهاء" المتصلة بالاسم"اسم" قبليا إلى كلمة الوخز السابقة عليها.

كما أحال "الذي" كذلك إلى جملة "خصصته علينا" وقد أحالت "تاء الفاعل" في الفعل "خصصت" مقاميا إلى "برانكومير" والذي خاخبه قسطنطين بواسطة الضمير"أنت" السابق للاسم الموصول.

كما أحالت "التي" بعديا إلى ثلاث جمل، حيث نجدها قد أحالتنا بعديا إلى صلتها"كانت تصيحها الزوجات والأخوات" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"تصيح" قبليا إلى كلمة "الصيحات"، كما أحالت "التي" كذلك إلى جملة "تذرفها الأمهات على أخفالهن" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تذرف" قبليا إلى كلمة "الدموع"

ثم أحالت إلى صلتها "يصعدها اليتامى" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"يصعد" قبليا إلى كلمة "الزفرات" السابقة على الاسم الموصول.

أما الاسم الموصول "ما" فقد أحالنا بعديا إلى جملتين الأولى هي"سفكنا" وقد أحالت "النون" المتصلة بالفعل "سفكنا" إلى الموتى من جنود وأبطال وهي مذكورة في

(1) المرجع السابق، ص 46.

الرواية في مقطع محذوف فهم يصيحون في قبورهم: وا ويلتاه، ها هو قائدنا المحبوب برانكومير" يساوم عدونا على وخزننا..." [1]

ثم أحالت "ما" بعديا كذلك إلى جملة "بذلنا" وقد أحالت "نا" الدالة على جمع المتكلمين إلى نفس المحال إليه السابق.

لقد فسرت الجمل السابقة الواقعة صلة للموصول "الذي" "التي" و"ما" ووضحت معناه وأزالت عنه الغموض والإبهام، كما ارتبطت هذه الجملة بما قبلها عن طريق الاسم الموصول الذي فسر ما قبله، وكذلك عن طريق الضمائر المتصلة سواء بالأسماء أو الأفعال أو الحروق.

" حتى متى يسعك حلمك وأناتك هذا الخائن الغادر الذي يبيع أمته من أمم المسيح إلى أعدائها وأعداء دينها ويسلم إليهم أرواحها وإعراضها، فاقض اللهم فيه قضاءك العادل واضربه الضربة التي تجعله عبرة للخائنين ومثلا في الغادرين"[2]

لقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملة الصلة "يبيع أمته من أمم المسيح إلى أعدائها"، ولقد فسرت هذه الجملة سبب تسمية هذا الرجل بالخائن الغادر؛لأنه باع أمته إلى أعدائها وأعداء دينها.

كما نجد كذلك الاسم الموصول "التي" قد أحالنا بعديا إلى صلته"تجعله عبرة للخائنين" وقد اتصلت هذه الجملة بما قبلها شكليا عن طريق الضمير "الهاء" المتصل بالفعل "تجعل"، كما اتصلت بما قبلها دلاليا فقد دعت الملائكة وخلبت من الله أن يضرب الرجل الخائن الضربة التي تجعله عبرة للخائنين، فأحالت "الهاء" المتصلة قبليا إلى كلمة "الرجل الخائن".

وقد ربط الاسم الموصول بين عبارات المقطع السابق وكذلك بين معانيه من خلال جملة الصلة التي فسرته ووضحت معناه.

(1) المرجع السابق ، ص 46.
(2) المرجع نفسه ، ص 47.

" قال: إنك لن تستطيع أن تمر إلا على جثتي، فارتعد "قسطنطين" وبرقت عيناه وذهبت به الأفكار مذهبها، وقال له: أي كلمة هائلة نطقت بها أيها الرجل الشقي، وأي قضاء قضيت به على نفسك"[1]

لم يستعمل الاسم الموصول(أي) في الرواية إلا من خلال المقطع السابق.

فقد اندهش "قسطنطين" وتعجب من الكلمة الهائلة التي نطق بها أبيه وهي عبارة "لن تستطيع أن تمر إلا على جثتي" فربط الاسم الموصول جملة الصلة "كلمة هائلة نطقت بها" وربطتها بما كان قبله، كما ربط الاسم الموصول "أي" في آخر المقطع السابق صلته بما قبلها وهي"قضاء قضيت به على نفسك" والقضاء الذي يقصده "قسطنطين" بكلامه أن يكون موت أبيه على يد ولده وأقرب الناس إليه، فربط الاسم الموصول صلته بما قبلها سواء من حيث الشكل حيث أفاد الربط بين عبارات المقطع أو من حيث الدلالة وذلك من خلال إفادته لدهشة "قسطنطين" وذهوله أمام ما نطق به أبيه، كما أفادت معنى آخر وهو أن يكون هو قاتل أبيه رغم أنه فلذة كبده وأقرب الأقرباء إليه.

" مضى الليل إلا قليلا" و"قسطنطين" ساهر في فراشه لا يغمض له جفن ولا يطمئن له جنب لأن مصرع أبيه في شعب تراجان لا يزال ماثلا أمام عينيه ما يفارقه لحظة واحدة(...) وجلس إلى نفسه يناجيها ويقول:

"إنني على ثقة من نفسي، لم أفعل إلا ما يجب على كل رجل شريف أن يفعله، فما هذا الخوف الذي يساورني! وما هذه الصور المخيفة التي تتراءى لي في يقضتي وأحلامي؟ كان يجب علي أن أضرب لأنه ما من ذلك بد ، ففعلت"[2]

لقد تعدد استعمال الاسم الموصول في المقطع السابق وتراوح بين "ما" الذي" "التي" فقد أحال "ما" بعديا إلى صلته "يفارقه لحظة واحدة" وقد أحال الضمير المتصل بالفعل "يفارق" قبليا إلى كلمة "مصرع أبيه" عن طريق "الهاء".

(1) المرجع السابق ، ص 49.
(2) المرجع نفسه ، ص 51.

فمصرع والد "قسطنطين" كان ماثلا دائما أمام عينيه لا يفارقه وهو السبب في سهره وانقباض النوم عنه.

كما أحالت "ما" بعديا كذلك إلى جملة "ما يجب على كل رجل شريف أن يفعله" فقد ربطت جملة الصلة بما قبلها عن طريق "الهاء" المتصلة بالفعل"يفعل" وقد فسرت جملة الصلة الاسم الموصول "ما" وأزالت عنه الغموض فقد كان "قسطنطين" يحاول إقناع نفسه بأن ما فعله كان واجبا ولا يقدم عليه إلا الرجل الشريف.

أما "الذي" فقد أحال إلى صلته "يساورني" وقد فسر مع صلته كلمة "الخوف" السابقة عليه، فالخوف الذي تعجب منه "قسطنطين" هو الخوف الذي كان يحسه ويساوره، أما "التي" فقد فسرت كلمة "الصور المخيفة" وربطتها بصلتها، فهذه الصور كانت تتراءى له سواء في يقظته أو في أحلامه، ففسرت الصلة الاسم الموصول كما أحالت "ما" كذلك بعديا إلى صلتها "من ذلك بد" حيث يواصل "قسطنطين" إقناع نفسه ليخفف وقع الصدمة عليها وبأنه لم يكن أمامه أي خيار آخر أو أي سبيل يسلكه دون ذلك السبيل أي قتل أبيه.

وبالتالي فقد أسهمت الأسماء الموصولة السابقة في ترابط أجزاء المقطع السابق كما أفادت الربط بين معانيه من خلال تفسيرها وإزالة الإبهام عنها.

"فارتاعت "مليتزا " عند سماع هذه الكلمة وذهبت بها الظنون كل مذهب. وظلت تنظر إليه نظرا غريبا حائرا، وقد بدأت تفهم ذلك السر الهائل الذي أعياها أمره زمنا خويلا وتدرك السبب في حزن "قسطنطين" هذا الحزن الشديد الذي يقيمه ويقعده"[1]

لقد أحال "الذي" بعديا إلى صلته" أعياها أمره زمنا خويلا" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل" أعي" قبليا إلى "مليتزا" التي ذكرت في أول المقطع أما"الهاء"

(1) المرجع السابق، ص 54.

المتصلة بالإسم"أمر" فقد أحالتنا قبليا إلى كلمة "السر الهائل" ففسر"الذي" كلمة "السر الهائل" بأنه الذي أعياها أمره زمنا لخويلا"

كما فسرت جملة الصلة الإسم الموصول و أزالت عنه الغموض.

كما أحال "الذي" كذلك إلى جملة الصلة بعديا وهي" يقيمه ويقعده" وقد أحالت"الهاء" المتصله بالفعل" يقيم"، " يقعد"، قبليا إلى " قسطنطين".

حيث فسرت هذه الجملة " الإسم الموصول" وفسر الإسم الموصول مع صلته كلمة " الحزن الشديد" ، فهذا الحزن كان يقيم " قسطنطين" ويقعده ويؤرقه.

وعليه فقد كان للإسم الموصول دور مهم في إتساق عبارات النص من خلال الربط السطحي الخارجي بين أجزائه وكذلك دور أهم في إنسجام عباراته من خلال الصلة التي فسرت معناه ووضحت ما كان قبله.

" لقد قلت لي يا أبت قبل اليوم: إن "قسطنطين" قائد عظيم لا يشق له غبار، فما الرأي الذي تراه فيه الآن؟ قال: نعم، كان قائدا عظيما في حياة أبيه وتحت لوائه أما اليوم وقد استقل بالرأي وحده وانقطع عن ذلك الوحي الذي كان يرشده ويهديه(...) فقالت: إن جيشنا لم ينكسر قط في واقعة من تلك الوقائع التي تذكرونها كما تتوهمون لأنه لم يتخل عن مركزه ولم يسلم شعبا واحدا من تلك الشعاب التي يحرسها"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملتين؛ الأولى وهي"تراه فيه الآن" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"ترى" قبليا إلى كلمة "الرأي"، وقد فسر "الذي" كلمة "الرأي" السابقة عليه، وارتبطت به جملة الصلة بواسطة"الهاء" المتصلة بالفعل كما أحال الذي كذلك بعديا إلى جملة "كان يرشده ويهديه" ،وقد إحالتنا "الهاء" المتصلة بالفعلين "يرشد، يهدي" قبليا إلى كلمة "قسطنطين" وقد فسرها الاسم

(1) المرجع السابق، ص 56، 57.

الموصول مع صلته، فالوحي المقصود هنا هو الوحي الذي كان يرشد "قسطنطين" ويهديه فلم يكن يشق له غبار ولا تعرف الهزيمة إليه خريقا.

كما نجد "التي" قد أحالتنا بعديا إلى جملتين كذلك؛ الأولى وهي "تذكرونها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تذكرون" قبليا إلى كلمة "الوقائع" وقد فسر الاسم الموصول مع صلته كلمة "الوقائع" فالمقصودة هنا هي الوقائع التي يتحدث عنها الجنود في ذلك المقام تحديدا وهي خسائر الجيش المتتالية.

كما أحالت كذلك إلى جملة ثانية وهي "يحرسها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "يحرس" قبليا إلى كلمة "الشعاب" فقد فسر الاسم الموصول مع صلته كلمة "الشعاب" السابقة عليها ووضح معناها، فالشعاب المقصودة هي التي كان الجيش يحرسها، وقد ارتبطت الصلة بها من حيث المعنى وكذلك الشكل، فكان للأسماء الموصولة السابقة دور هام في ترابط عبارات النص وتلاحمها شكليا وكذلك دلاليا من خلال تفسير الاسم الموصول بما سبقه وتجلية معناه من خلال صلته.

" أقسم لك يا أبت لو أن مكروها أصابك من هذا الجرح الذي في فخذك ـ لا أذن الله بذلك وقدر ـ لحزنت عليك حزنا يصغر بجانبه حزن "قسطنطين" على أبيه! فابتسم أبوها وضمها إلى صدره وقال:(...) لكننا نخاف عليه أن يكون قد نفذ اليأس إلى قلبه فضعضعه، وأن تكون نفسه قد حدثته بمسالمة أعدائه ومؤاتاتهم فأعد لذلك العدة التي رآها، واليأس هو الخديعة الكبرى التي يدسها الشيطان دائما في نفوس الأمم الضعيفة التي يريد قتلها والقضاء عليها"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملة "في فخذك" حيث حددت مكان الجرح لذا أصيب به الجندي "أورش" والمتحدثة هي ابنته "أنا" وقد أحالت "كاف الخاخب" مقاميا إلى ذات المخاخب وهو "أورش"

(1) المرجع السابق، ص 58.

كما أحالت "التي" إلى ثلاث جمل الأولى و هي: "رآها" حيث أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"رأي" قبليا إلى كلمة "العدة"، كما أحالت كذلك إلى جملة "يدسها الشيطان دائما في نفوس الأمم الضعيفة" وقد أحالت "الهاء"المتصلة بالفعل "يدس" قبليا إلى كلمة " الخديعة الكبرى" وأفاد من خلال صلته أن خديعة الشيطان التي يدسها في نفوس الأمم الضعيفة هو اليأس.

ثم نجدها أحالت بعديا إلى جملة "يريد قتلها والقضاء عليها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "قتل" وبحرف الجر"على" قبليا إلى كلمة "نفوس الأمم الضعيفة" فاليأس هو سبيل الشيطان لقتل نفوس الأمم الضعيفة والقضاء عليها.

يبرز دور الاسم الموصول من خلال اسهامه الكبير في اتساق عبارات النص حيث قام بالربط السطحي كما ساهم في حبك هذه العبارات من خلال تفسيره لمعنى ما سبقه وإبراز معناه في جملة الصلة التي تفسر الاسم الموصول وتربطه بغيره عن طريق الضمير المتصل.

" فدخلت عليه وحيته وجلست بجانبه وأنشأت تعاتبه في انقباضه عنها ووحشة منها وسوء رأيه فيها، وتقسم له بحرمة ذلك الدفين الكريم الذي كان يحبه و يحبها أنها لا تضمر له موجدة و لا حقدا(...) ثم قالت له: إنني برغم آلامي وأحزاني التي أعالجها منذ نزلت بي تلك النازلة العظمى حتى اليوم لم أر بدا من أن آتي إليك في هذه الساعة الشديدة عليك(...)، قال: وما هي الشدة التي أنا فيها؟ قالت: كأنك لا تعلم أن الخطر الذي يحيط بك عظيم جدا"[1]

لقد وظف الاسم الموصول "الذي" مرتين في المقطع السابق وقد أحال إلى جملتين الأولى: "كان يحبه و يحبها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تحبه" قبليا إلى "قسطنطين" التي ذكرت في موضع بعيد على سطح النص، كما أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "يحبها" قبليا إلى "بازيليد" المذكورة في موضع سابق كذلك

(1) المرجع السابق، ص 59.

وقد فسر الاسم الموصول مع صلته كلمة "الدفين الكريم"الذي أقسمت "بازيليد"بحرمته بأنها لا تضمر" لقسطنطين " موجدة ولا حقدا.

ثم أحال إلى جملة ثانية وهي" يحيط بك عظيم جدا" وقد أحالت "كاف الخطاب" المتصلة بحرف الجر"بـ" مقاميا إلى ذات المخاطب وهو "قسطنطين" الذي علم بأن الخطر المحيط به عظيم جدا لا طاقة له باحتماله.

كما وظف الاسم الموصول "التي" وقد أحال إلى جملتين كذلك؛ الأولى: "أعالجها منذ نزلت بي تلك النازلة" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "أعالج" قبليا إلى كلمة "آلامي وأحزاني" كما فسر الاسم الموصول مع صلته الآلام التي تتحدث عنها "بازيليد".

كما أحال إلى جملة ثانية وهي:"أنا فيها" وقد أحال ضمير المتكلم المفرد"أنا" مقاميا إلى ذات "قسطنطين"، أما الضمير "الهاء" المتصل بحرف الجر"في" فقد أحال قبليا إلى كلمة"الشدة" السابقة للاسم الموصول فقد تساءل "قسطنطين" عن طبيعة الشدة التي هو فيها.

وبالتالي فقد أسهم الاسم الموصول في سبك عبارات المقطع السابق من خلال الربط السطحي بين عباراته، كما أسهم أكثر في حبكه من خلال تفسير معنى الاسم السابق عليه وإبراز دلالته في جملة الصلة.

" قالت له: مهلا أين تريد؟ قال: أدعوا جنودي وأجمع من تفرق منهم في الثكنات والقلاع وأذهب بهم إلى الحدود للدفاع عن القلعة الكبرى(...) فما سمع الجنود صوته ورأوا وجهه حتى هاجوا واضطربوا (...) فعاد إلى مكانه يائسا متضعضعا ليس وراء ما به من الهم غاية"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "من" بعديا إلى صلته"تفرق منهم في الثكنات والقلاع" وقد أحال الضمير "هم" المتصل بحرف الجر "من" قبليا إلى كلمة "جنودي" فقد أراد "قسطنطين" أن يجمع من تفرق من الجنود في الثكنات والقلاع.

(1) المرجع السابق، ص 60.

أما "ما" فقد أحال بعديا إلى جملة "سمع الجنود صوته" حيث أحالت "الهاء" المتصلة بالمفعول به "صوت" قبليا إلى "قسطنطين" الذي ذكر في موضع بعيد على سطح النص.
كما أحالت "ما" كذلك بعديا إلى جملة "به من الهم غاية" وأحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "بـ" قبليا إلى "قسطنطين" كذلك.
فقد ربط الاسمين الموصولين "من و ما" بين أجزاء المقطع السابق شكليا وكذلك دلاليا من خلال تفسيرهما لما جاء قبلهما وتوضيحهما لمعناه عن طريق جملة الصلة التي أزالت الكثير من الغموض والإبهام فأضفت انسجاما واضحا بين معاني المقطع السابق.

" قال: أنت؟ قالت: نعم أنا، في الوقت الذي لا أجد فيه بجانبك من يأخذ بيدك أو يعينك على أمرك "[1]

لقد أحال "الذي" بعديا إلى صلته "لا أجد فيه بجانبك" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "في" قبليا إلى كلمة "الوقت" السابقة للاسم الموصول، كما فسر "الذي" مع صلته الوقت المقصود وهو الوقت الذي لم يجد فيه "قسطنطين" من يقف بجانبه.
كما أحال "من" بعديا إلى جملة "يأخذ بيدك" وقد أحالت "كاف" الخطاب في كلمة "بيدك" إلى ذات المخاطب في المقام وهو "قسطنطين" دائما.
وقد وضح الاسم الموصول مع صلته المعنى و زاده وضوحا حيث بين الوقت الذي تقصده "بازيليد" بكلامها زيادة على الربط الشكلي بين أجزاء المقطع السابق.

" وقالت له بتلك النغمة العذبة الجميلة التي قتلت بها أباه من قبل: نعم يا بني إن الخطب أعظم مما تحمل(...)، أتدري يا "قسطنطين" لم ذهب أبوك إلى شعب تراجان وجلس تحت القوس الروماني في تلك الليلة التي مات فيها؟ فرجعت إلى ذهنه تلك الذكرى المؤلمة وقد بدأ يفهم ما ترمي به إليه في حديثها "[2]

(1) المرجع السابق، ص 61.
(2) المرجع نفسه، ص 61.

لقد وظف الاسم الموصول للربط بين أجزاء المقطع السابق، حيث نجد "التي" قد أحالت إلى جملتين؛ الأولى وهي"التي قتلت بها أباه من قبل" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر"ب" قبليا إلى كلمة "النغمة العذبة الجميلة" كما أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "أباه" قبليا إلى "قسطنطين" وفسرت جملة الصلة مع اسمها الموصول"النغمة" "الجميلة" ثم أحال الاسم الموصول "التي" بعديا إلى "مات فيها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "في" قبليا إلى كلمة "الليلة" فالليلة التي تقصدها "بازيليد" بكلامها هي الليلة التي مات فيها والد "قسطنطين" كما أحال "ما" بعديا إلى جملتين كذلك، الأولى وهي "تحتمل" فالخطب الذي يواجه "قسطنطين" أعظم من أن يحتمله.

ثم أحال الاسم الموصول "ما" بعديا إلى جملة ترمي إليه في حديثها وقد فسر الاسم الموصول مع صلته ما فهمه "قسطنطين" من كلام "بازيليد" حيث بدأ يفهم أبعاد كلامها وإلى ماذا تريد الوصول فأدى الاسم الموصول دورا مهما مع صلته لتفسير ما قبله وإزالته الغموض والإبهام من خلال تجلية معناه وإيضاحه.

" ولو فعل لنجى الوخن من خطر عظيم، ولأخفأ نار هذه الحرب التي تكاد تلتهم البلاد التهاما يكاد يقضي عليها (...) ،وما كفاه ذلك حتى جرد سيفه للقتال وخاض المعركة بنفسه، وظل يقاتل حتى هلك، فعجب "قسطنطين" لتلك الجرأة الغريبة التي لا يشتمل على مثلها صدر امرأة في العالم ولا رجل، ثم قال لها بهدوء وسكون لا يعلم إلا الله ما يكمن وراءهما: وبعد فماذا تريدين؟"[1]

لقد أحال الاسم الموصول"التي" بعديا إلى جملة الصلة "تكاد تلتهم البلاد التهاما" فالحرب التي تتحدث عنها "بازيليد" قد وصفتها بأنها تكاد تلتهم البلاد التهاما ففسرت جملة الصلة معنى كلمة الحرب وكذا مدى شدتها.

كما أحالت "ما" كذلك بعديا إلى "لا يشتمل على مثلها صدر امرأة في العالم" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "مثل" قبليا إلى كلمة " الجرأة الغريبة" فارتبطت جملة

(1) المرجع السابق، ص 62.

الصلة بما قبلها عن طريق الضمير "الهاء" كما وضحت أن هذه الجرأة لا نجدها عند أي امرأة في العالم ولا رجل.

أما الاسم الموصول "ما" فقد أحال بعديا إلى جملتين؛ الأولى وهي: " كفاه ذلك حتى جرد سيفه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "كفى" قبليا إلى كلمة محذوفة وهي :"أبوك" فارتبطت جملة الصلة بما قبلها.

كما أحالت "ما" بعديا كذلك إلى جملة "يكمن وراءهما" وقد أحال الضمير"هما" الدال على المثنى الغائبين قبليا إلى كلمتي "هدوء وسكون"، فقد أجاب "قسطنطين" زوجة أبيه بهدوء وسكون لا يدري إلا الله ما وراءهما.

فربط الاسم الموصول بين أجزاء المقطع السابق رغم تباعد أجزائه على سطح الرواية وفسر العديد من المعاني والدلالات.

" فرفع رأسه ونظر إليها نظرة نارية ملتهبة لو رسمتها ريشة المصور الماهر لأحرقت القرطاس الذي رسمت فيه"[1]

لقد أحال الاسم الموصول"الذي" بعديا إلى جملة الصلة "رسمت فيه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "في" قبليا إلى كلمة "القرطاس" السابقة للاسم الموصول وقد حددت جملة الصلة مع اسمها الموصول القرطاس السابقة للاسم الموصول وقد حددت جملة الصلة مع اسمها الموصول القرطاس المقصود، وهو القرطاس الذي رسمت فيه تلك النظرة النارية الملتهبة ففسرت جملة الصلة وحددت القرطاس المقصود كما ربط الاسم الموصول "الذي" بين المعاني السابقة عليه وبين صلته، من حيث الشكل والمعنى.

" قال: أريد أن أقول: إنني أنا الذي قتلته بيدي جزاء له على خيانته لوطنه! قالت: أنت يا ولده ويا فلذة كبده؟، قال : نعم، وأنت التي وضعت في يميني ذلك السيف الذي قتلته به، لأنك أفسدت نفسه وقتلت شعوره و أغريته بخيانة وطنه وسلبته جوهرة الشرف الثمينة التي كانت تضيء ما بين جنبيه، وكانت أكرم الجواهر و أغلاها(...)

(1) المرجع السابق، ص 63.

فتأملي ما شئت وتعذبي وتجرعي كؤوس الحسرة والندم على ما أفلت من يدك(...) وحسبي انتقاما منك على جريمتك التي اجترمتها إلي وإلى أبي وإلى الطبيعة أن تعلمي أنني أنا الذي خيبت أمالك وهدمت بيدي ذلك الصرح العظيم الذي أنفقت في تشيده أيام حياتك ؟ نعم أنا الذي قتلته"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى عدة جمل ؛حيث أحال إلى صلته "قتلته" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "قتلت" قبليا إلى كلمة "أبي"، فقد اعترف "قسطنطين" بأنه هو الذي قتل أباه حيث فسر الاسم الموصول الضمير المنفصل قبله كما أحال إلى جملة "قتلته به"وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر"بـ" قبليا إلى كلمة " السيف" السابقة للاسم الموصول، فالسيف الذي وضعته "بازيليد" في يمينه هو السيف الذي قتل به أباه، ثم أحال إلى جملة "خيبت آمالك" وقد أحالت "كاف الخطاب" المتصلة باسم "آمال" مقاميا إلى ذات المخاطب وهي "بازيليد" دائما ، فقد أكد لها "قسطنطين" بأنه هو الذي خيب أمالها وطموحاتها بنيل التاج.

ثم يعود الاسم الموصول "الذي" ليحيل قبليا إلى نفس الجملة التي أحال إليها في أول المقطع وهي "قتلته" وفي هذا تأكيد من "قسطنطين" بأنه هو الفاعل وهو قاتل أبيه.

أما الاسم الموصول"التي" فقد أحال بعديا إلى جملتين ؛الأولى وهي:"وضعت في يميني ذلك السيف" وقد أحالت "ياء" المتكلم المتصلة بالاسم "يمين" مقاميا إلى ذات المتحدث في الخطاب السابق وهو "قسطنطين"

فقد اتهم "بازيليد" وأشار إليها بأنها هي من وضعت في يمينه السيف الذي قتل به أباه.

أما الجملة الثانية فهي "كانت تضيء ما بين جنبيه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "جنبيه" قبليا إلى كلمة "أبي" حيث فسر الاسم الموصول مع صلته موقع تلك الجوهرة حيث كانت ما بين جنبي والد "قسطنطين".

(1) المرجع السابق، ص 64.

كما نجد الاسم الموصول"ما" وقد أحال إلى ثلاث جمل، الأولى وهي "بين جنبيه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "جنبي" قبليا إلى "أبي" ثم أحالت "ما" بعديا إلى جملة "شئت" وقد أحالت "التاء" المتصلة بالفعل مقاميا إلى "بازيليد" أما الجملة الثالثة فهي"أفلت من يدك" فأدى الاسم الموصول على تعدده وتنوعه دورا مهما في الربط بين أجزاء المقطع السابق على المستويين الشكلي والدلالي من خلال إحالته البعدية إلى جملة الصلة التي فسرت ما قبله.

" ولو كان في استطاعتي أن أكشف أمرك وأهتك السر عن جريمتك لفعلت و لكنني لا أستطيع إشفاقا على ذلك الرجل المسكين الذي قضى عليه سوء حظه أن يكون شريكا لك في حياتك وفي جرائمك(...) واستنفذي ماء شؤونك حزنا على الذي فاتك والزوج الذي رحل عنك، واسهري لياليك الطوال مرتعبة من شبح الجريمة التي اجترمتها وخيال الدماء التي سفكتها"[1]

لقد وظف الاسم الموصول "الذي" مرتين في المقطع السابق وأحال بعديا إلى ثلاث جمل الأولى وهي:"قضى عليه سوء حظه"، وقد أحالت "الهاء" المتصلة قبليا إلى كلمة "الرجل المسكين"، فالرجل المسكين الذي يقصده وبكلامه هو والده الذي قضى عليه سوء حظه لأنه كان شريكا "لبازيليد" التي يخاطبها في ذلك المقام.

أما الجملة الثانية فهي:"فاتك" وأحالت "كاف" الخطاب مقاميا إلى "بازيليد" فقد أمرها "قسطنطين" أن تستنفذ ماء شؤونها حزنا على الذي فاتها.

كما نجد الجملة الثالثة التي أحال إليها وهي:"رحل عنك" وربطها بما قبلها وهي كلمة"الزوج"

كما وظف الاسم الموصول "التي" وقد أحالنا إلى جملتين الأولى وهي:"اجترمتها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل"اجترمت" قبليا إلى كلمة "الجريمة" السابقة على الاسم الموصول، أما الجملة الثانية فهي "سفكتها"، وقد أحالت "الهاء" المتصلة

(1) المرجع السابق، ص 64.

بالفعل قبليا إلى كلمة "الدماء"، فقد أمرها "قسطنطين" بأن تسهر لياليها الطوال مرتعبة من شبح الجريمة التي اجترمتها وليس أي جريمة أخرى وكذلك الدماء التي سفكتها.

لقد ربط الاسمين الموصولين "الذي، التي" بين أجزاء وعبارات المقطع السابق كما فسر العديد من المعاني والدلالات خاصة الكلمات السابقة عليهما من خلال جملة الصلة.

" وقالت له بصوت عال سمعه جميع الجنود: أنا التي أقدم لك على تهمته الدليل والبرهان(...) وأقول لك إنه كتب بينه وبينهم عهدا على أن يفتح لهم أبواب البلاد في الساعة التي يريدونها فيمنحوه في مقابل ذلك عرش البلقان وتاجه.

وقد دعاني الساعة ليشركني معه في هذه الجريمة التي يريد اقترافها، فلم أر بدا من أن أرفع أمره إليك أما البرهان الذي تريده فها هو ذا"[1]

لقد أحال الاسم الموصول"التي" في المقطع السابق إلى ثلاث جمل؛ الأولى وهي: " أقدم لك على تهمته الدليل" وقد أحالت كاف الخطاب إلى ذات المخاطب في ذلك المقام وهو"الملك" من خرف"بازيليد" والتي أشارت إلى نفسها بواسطة ضمير المتكلم"أنا" السابق للاسم الموصول؛ فهي التي ستقدم للملك الدليل والبرهان على خيانة "قسطنطين" أما الجملة الثانية فهي: "يريدونها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل قبليا إلى كلمة "الساعة" السابقة للاسم الموصول.

ونجد الجملة الثالثة التي أحالت إليها كذلك وهي: "يريد اقترافها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم قبليا إلى كلمة "الجريمة" السابقة للاسم الموصول.

أما الاسم الموصول "الذي" فقد وظف مرة واحدة فقط على سطح المقطع السابق وأحال إلى جملة الصلة "تريده" وقد أحالت "الهاء" المتصلة قبليا إلى كلمة "البرهان" السابقة للاسم الموصول.

لقد فسر الاسم الموصول العديد من المعاني "كالساعة والجريمة والبرهان"

(1) المرجع السابق، ص 66.

وأزال عنها الغموض والإبهام من خلال صلته التي ارتبطت بهذه الكلمات عن طريق الضمير المتصل "الهاء"، وعن طريق الاسم الموصول الذي ربط بين عبارات المقطع السابق على المستويين الشكلي والدلالي.

" لقد كنت في الساعة الأخيرة من أيام حياتك ولم يكن بينك وبين الانحدار إلى قبرك إلا بضع خطوات قصار فكل ما كان مني لك أنني أنقذتك من تلك الميتة الدنيئة السافلة التي كنت تريدها لنفسك(...) و ألبستك تاجا اشرف من ذلك التاج الذي كنت تطلبه(...)أنظر يا أبت ماذا صنعت فعلتك التي فعلت بولدك (...) أنت الممتع بنعمة الشرف العظيم الذي لا تستحقه وأنا المتسربل بسربال الخيانة التي لا أستحقها"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "الذي" بعديا إلى جملتي الصلة؛ الأولى وهي:"كنت تطلبه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تطلب" قبليا إلى كلمة "التاج" قد ألبس "قسطنطين" والده تاجا أشرف من ذلك الذي كان يطلبه، فارتبطت جملة الصلة بما قبلها عن طريق الضمير المتصل وعن طريق الاسم الموصول الذي فسر كلمة "التاج".
ثم أحال "الذي" بعديا إلى الجملة الثانية "لا تستحقه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تستحق" قبليا إلى كلمة "الشرف العظيم"، فقد اعترف "قسطنطين" لوالده وصارحه بأنه لا يستحق نعمة الشرف العظيم المتمتع بها وقد أفاد الاسم الموصول "الذي" مع صلته المعاني السابقة.

أما الاسم الموصول "التي" فقد أحالنا بعديا إلى ثلاث جمل؛ الأولى وهي:"كنت تريدها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تريد" قبليا إلى كلمة "المسببة الدنيئة" أما "كاف"الخطاب المتصلة بالاسم "نفس" فقد أحالتنا إلى ذات المخاطب في ذلك المقام وهو والد "قسطنطين" المجسد من خلال تمثال من الذهب،كما أحالت "التي" إلى الجملة الثانية وهي "فعلت بولدك" فقد دعا "قسطنطين" أباه أن ينظر إلى الجزاء الذي لقيه ولده جراء فعلته التي فعلها، ثم أحالت "التي" إلى جملة"لا أستحقها" اللاحقة عليها، وقد أحالت

(1) المرجع السابق، ص 71.

"الهاء" المتصلة بالفعل "أستحق" قبليا إلى كلمة "الخيانة" وقد فسر الاسم الموصول مع صلته هذه الكلمة، فالخيانة التي اتهم بها "قسطنطين" لا يستحقها.

فكان للاسم الموصول دورا مهما في ربط أجزاء المقطع السابق شكليا وكذلك دلاليا من خلال تفسير معاني الكلمات السابقة عليها وإبراز دلالتها.

" ثم صاح بأعلى صوته: يا "قسطنطين برانكومير" إن الجريمة التي اقترفتها عظيمة جدا لا يفنى بما قتلك وسفك دمك لذلك رأى مجلس القضاء أن يحكم عليك بالحياة بدلا من الموت(...) وأن يؤذن لكل مار بك من علية الناس و غوغائهم أن يبصق على وجهك ويصفعك على قذالك و ينال منك ما يشاء(...) هنا ذرفت عينا ذلك الرجل العظيم الذي لم يبك في يوم من أيام حياته لضربة سيف أو خعنة رمح(...) وما كان مثله من يبكي أو يذرف دمعة واحدة من دموعه لو أن الذي كتب له في صحيفة الغيب من الشقاء كان الوقوف بين السيف والنطع"[1]

لقد تنوعت الأسماء الموصولة في المقطع السابق، فقد جمع بين" الذي، التي، من ما" حيث أحالت "التي" بعديا إلى جملة "اقترفتها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل قبليا إلى كلمة "الجريمة" السابقة عليه وقد وصفت بأنها عظيمة جدا.

كما أحال "الذي" بعديا إلى جملة الصلة "لم يبك في يوم من أيام حياته" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم"حياة" قبليا إلى كلمة "الرجل"، والرجل الذي ذرف دموعه ليس أي رجل كان، بل هو الرجل العظيم الذي لم يبك في حياته رغم كل ما واجهه في المعارك التي خاضها ففسر الاسم الموصول مع صلته سبب عظمة هذا الرجل.

ثم أحال إلى جملة "اكتب له في صحيفة الغيب" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "لـ" قبليا إلى كلمة "الرجل" كذلك وقد فسر سبب بكاء ذلك الرجل العظيم فلو كتب له في صحيفة الغيب من الشقاء وكان الوقوف بين السيف والنطع لما ذرف دمعة واحدة.

(1) المرجع السابق، ص 73، 74.

أما الاسم الموصول"من" فقد أحال بعديا إلى صلته "يبكي أو يذرف دمعة واحدة من دموعه" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالاسم "دموعه" قبليا إلى كلمة "الرجل" وقد وضحت أيضا سبب عظمة هذا الرجل.

أما "ما" فقد أحالت إلى جملتين؛ الأولى وهي:"يشاء" وقد وضحت هذه الجملة المعاني السابقة عليها وأكدتها، فقد أذن لكل مار"بقسطنطين" أن يبصق على وجهه ويصفعه على قذاله أي أن ينال منه ما يشاء إلا أن يسلبه حياته.

أما الجملة الثانية فهي "كان مثله من يبكي" وأحالت "الهاء" المتصلة بالاسم مثل قبليا إلى "قسطنطين" وقد أفاد تنوع الاسم الموصول على سطح المقطع السابق تنوعا في المعاني من خلال تفسيرها وإجلائها وإزالة الغموض عنها إضافة إلى إفادة الربط الشكلي على سطحه.

" قال لها: شكرا لك يا "ميليتزا"، فقد أحببت نفسي الميتة وسربت عني همومي وآلامي، ذودي عني يا صديقتي وصوني وجهي من العار الذي يريدون أن يلصقوه بي فلم يبق لي في العالم من يرحمني ويعطف علي سواك(...) فصاحت "ميليتزا" أيتها الوحوش الضارية والخلائق الساقطة مهما كثر عددكم وعظمت قوتكم فإنكم لن تستطيعوا أن تصلوا إليه أو تلحقوا به إهانة من الإهانات التي تضمرونها في نفوسكم"[1]

لقد أحال الاسم الموصول "من" بعديا إلى جملة "يرحمني ويعطف علي سواك"وقد أحالت "ياء" المتكلم المتصلة بالفعل"يرحم" مقاميا إلى ذات المتحدث وهو "قسطنطين" والمخاطب هنا هو "ميليتزا" فقد أخبرها "قسطنطين" بأنه لم يبق له في العالم بأسره ولو شخص واحد يعطف عليه أو يرحمه سواها.

أما "الذي" فقد أحال بعديا إلى صلته "يريدون أن يلصقوه بي" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "يلصقوا" قبليا إلى كلمة "العار" فالعار الذي يقصده "قسطنطين" هو

(1) المرجع السابق، ص 75.

العار الذي سيلصقوه به حيث فسرت جملة الصلة الاسم الموصول كما فسر هذا الأخير مع صلته معنى ما كان قبله.

كما نجد الاسم الموصول "التي" وقد أحالت بعديا إلى جملة "تضمرونها في نفوسكم" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "تضمرون" قبليا إلى كلمة "الإهانات" أما الضمير "كم" الدال على جمع المخاطبين فقد أحال قبليا كذلك إلى كلمة "الوحوش الضارية والخلائق الساقطة" وهو الوصف الذي أخلقته "ميليتزا" على الجماهير المتدافعة لتنفيذ قرار الحاكم.

فقد فسر الاسم الموصول مع صلته العديد من المعاني وأزال الغموض والإبهام عن الكلمات السابقة عليه، إضافة إلى إفادته الربط على سطح المقطع السابق.

"و هنا حدث ذلك الحدث الهائل الذي شخصت له الأبصار وذهلت له العقول وجمدت لمنظره الدماء في العروق، فقد علمت "ميليتزا" أن القضاء واقع لا مفر منه وأن القوم لا بد بالغون من "قسطنطين" ما يريدون (...)، فلطمه من يلطم ويبصق عليه من يبصق (...) فجردت من منطقتها خنجرها الذي كانت قد إستهدته إياه فيما مضى ثم رفعته إلى السماء ثم خعنته به في صدره وهي تقول : مت شريفا أيها الرجل العظيم كما عشت شريفا وسأتبعك إلى سمائك التي تصعد إليها" [1]

لقد أحال"الذي" في المقطع السابق إلى جملتين الأولى وهي:" شخصت له الأبصار"وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "لـ" قبليا إلى كلمة "الحدث الهائل" فهذا الحدث قد شخصت له الأبصار وذهلت له العقول وجمدت لمنظره الدماء في العروق.

أما الجملة الثانية فهي" كانت قد استهدته إياه " وقد أحالت "الهاء" المتصلة بالفعل "استهدت" قبليا إلى كلمة "خنجرها" فالخنجر الذي جردته "ميليتزا" من منطقتها هو نفسه الخنجر الذي استهدته من "قسطنطين" في الماضي القريب، فوضحت جملة الصلة كلمة "الخنجر".

(1) المرجع السابق، ص 76.

كما نجد الاسم الموصول "التي" قد أحالتنا بعديا إلى جملة "التي تصعد إليها" وقد أحالت "الهاء" المتصلة بحرف الجر "إلى" قبليا إلى كلمة "سمائك" حيث أكدت "ميليتزا" "لقسطنطين" وهو في لحظاته الأخيرة بأنها ستتبعه إلى سمائه التي يصعد إليها.

و نجد كذلك الاسم الموصول "ما" قد أحالنا بعديا إلى صلة "يريدون" وقد أحالت "واو" الجماعة المتصلة بالفعل قبليا إلى كلمة "القوم".

أما الاسم "من" فقد أحالنا إلى جملتين الأولى: "يلطم" والثانية:" يبصق" وهي نفسها الأفعال السابقة للاسم الموصول "من" وقد أفادت "من" مع صلتها إفادة معنى الحرية التامة لهؤلاء القوم أن يفعلوا ما يشاؤون وما يريدون "بقسطنطين" من لطم وبصق.

فكان للأسماء الموصولة السابقة وتنوعها على سطح المقطع السابق بين "الذي، التي من ما" دورا مهما في ترابط عبارات المقطع إضافة إلى تجلية معانيه وإزالة الغموض عنها.

ظل البحث اللغوي ردحا من الزمن مقتصرا على الجملة إلى غاية منتصف سبعينات القرن العشرين، أين برزت ضرورة تجاوز فكرة أن اللغة عبارة عن تتابع خطي للوحدات اللغوية، و النظر إلى النصوص على أنها كل موحد لا شتات من الجمل المتفرقة.

و في آخر هذه المحطة العلمية و الفصول اللغوية التي شكلت أجزاء هذا البحث يمكن إبراز جملة من النقاط تعتبر الملخص لكل ما سبق ذكره و تتمثل أساسا في:

ـ تعد لسانيات النص من أهم العلوم اللسانية و أحدثها.

ـ لقد بدأت هذه المعرفة الأولى من خلال كتاب تحليل الخطاب ل"زليج هاريس".

ـ يعد النص الوحدة الأساس للتحليل في لسانيات النص و هذا ما يميز هذا العلم عن لسانيات الجملة.

ـ من أهم المصطلحات التي تميزت بها لسانيات النص: النصية، و المتمثلة في مجموعة من السمات و التي إن تحققت في ملفوظ ما عد نصا، و تتمثل في: السبك و الحبك القصد والقبول، رعاية الموقف التناص و الإعلامية.

ـ يعد الإنساق و الانسجام بمثابة القطب الذي تدور عليه رحى لسانيات النص، رغم وجود بعض الفروق الجوهرية بينها و التي تتمثل في:

ـ أن الإنساق يهتم بترابط الأفكار و الجمل على سطح النص الظاهر بينما يتجه الإنسجام جهة العلاقات الدلالية الخفية في النص.

ـ الانسجام أعم و أعمق من الإنساق لأنه يتطلب من المتلقي أو القارئ صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تكون النص.

ـ يتميز الإنساق بمجموعة من الوسائل التي تضمن تحققه على سطح النص حيث نجد: الإحالة و الاستبدال و الحذف و الوصل و الإنساق المعجمي.

أما الانسجام فإنه يهتم بمجموعة من الوسائل التي تضمن الاستمرارية الدلالية داخل النص كالسياق و التأويل.

تجـدر الإشـارة إلى أن علـم لـسانيات الـنص قـد أفـرز العديـد مـن المـصطلحات التي شكلت فوضـى فيمـا بينهـا و تؤكـد ذلـك مـن خـلال بعـض المـصطلحات مثـل: لسانيات النص الذي يطلق عليه" علم لغة النص" ، و " نحو الـنص"، و كـذلك مـصطلح "الإتساق"الذي يطلـق عليـه: الـسبك و التنـضيد و التنـسيق، أمـا مـصطلح" الانـسجام" فيطلق عليه: التماسك الدلالي و الحبك و غيرها.

ـ يعد الإتساق و الانسجام وجهين لعملة واحدة إذ يعد الإنساق نقطة الانطلاق للوصول إلى تحقيق الانسجام.

ـ أن الفهم الحق للظاهرة اللـسانية يوجـب دراسـتها نـصيا دون إغفـال للمعنـى و لـيس اجتزاء الجمل لوحدها و البحث في نماذجها بل النظر إلى النص على أنه بنية كلية.

ـ الـدور الفعـال الـذي تؤديـه وسـائل التماسـك الإحاليـة مـن ضـمائر و أسمـاء إشـارية و موصولية في إبراز الارتباط الوثيق بـين أجـزاء و عبـارات الـنص ممـا يجنبنـا الكـثير من التكرار كما يساعد على خلق تواصل دلالي في بنية النص العميقة.

ـ حـرص الأديـب سـواء كـان شـاعرا أو كاتبـا علـى أن يقـدم نـصه متلاحمـا و هـذا ما أكدته الدراسة التطبيقيـة عنـد تحليـل "روايـة في سـبيل التـاج" بمنظـور الإحالـة فلقـد اتـسمت العبـارات و الجمـل بالانـسجام و الإنـساق ممـا أضـفى علـى الروايـة و موضوعاتها صفة الديمومة و التجدد في طرح الأحداث و موضوعاتها .

ـ مدى تفاعل العناصر الثلاثة: الكاتب، القـارئ و الـسياق في كـشف دهـاليز الـنص فالكاتب هو المنتج الأول للنص، أما القارئ فهو الذي يملك القول الفـصل في تماسـكه ثم السياق باعتباره السبيل للكشف عن العديد من المعاني في بنية النص العميقة.

ـ ساهمت الإحالة النصية بجميع أنواعها، قبليـة و بعديـة، داخليـة كانـت أم خارجيـة في تحديد سطح الرواية و تحقيـق الاسـتمرارية النـصية المتعلقـة بالموضـوع الرئيـسي و هو " التاج"، و ما يتعلق به من موضوعات فرعية علـى طـول نـسيج الروايـة، كمـا أن العناصـر الإحاليـة العائـدة علـى ذات المتحـدث المفـرد أو الجماعـة أو المخاطـب المفـرد

أو جماعة المخاطبين ، قد تضافرت جميعا لتحقيق تماسك نسيج النص داخليا و خارجيا، بنية و دلالة.

ـ بعد عرض نتائج دراستي لا يسعني إلا أن أشير إلى أن هذا الموضوع يمكن التوسع فيه أكثر فهذه الدراسة ما هي إلا قطرة من بحر تلك الدراسات اللغوية التي باتت تشهد تطورا مستمرا، و أتمنى من خلال موضوع الدراسة، " الإحالة و دورها في التماسك النصي" الوصول إلى الغايات المذكورة سابقا.

ـ أخيرا هذا جهدي و غايتي و قصدي، فإن أصبت فذاك المرتجى. و إن أخطأت فحسبي أني اجتهدت و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

نشأة الرواية العربية وتطورها:

لأن الرواية هي محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع، ولأنها هي فن التخيل الذي يثري الحياة بمعانيها...

ولأنها أيضا الخطاب الاجتماعي والسياسي والأيديولوجي الموجه دائما ناحية حشد من الأسئلة التي تأخذ من الإنسان والطبيعة والتاريخ محاور موضوعاتها لتعيده إليهم رؤى... فقد استطاعت الرواية أن تحقق الكثير من توجهاتها، ومن ثم فقد بدأت الساحة تستجيب لرسالة الحكواتي وتعتبره لسان حالها بعد أن كان الشاعر سيد الموقف لسنين طويلة[1]

فمنذ البداية حافظت الرواية على عنصر الجدة و الاختلاف و هو المعنى الضمني في أصل كلمة الرواية كما هي واردة في الانجليزية، أي كلمة NOVEL و التي تعني الجدة[2]

والرواية حسب تعريف محمد غنيمي هلال: " تجربة إنسانية يصور فيها القاص مظهر من مظاهر الحياة، تتمثل في دراسة إنسانية للجوانب النفسية في مجتمع و بلد خاصتين.

و تنكشف هذه الجوانب بتأثير حوادث تساق على نحو مقنع يبررها و يجلوها، و تؤثر الحوادث في الجوانب الانسيابية العميقة و تتأثر بها "[3].

(1) ينظر: شوقي بدر يوسف، الرواية والروائيون، دراسات في الرواية المصرية، مؤسسة حورس الأولية،الإسكندرية ط1، 2006، ص: 05.

(2) ينظر: مصطفى الجويني، في الأدب العالمي: القصة و الرواية، السيرة، ج3، منشأة المعارف،مصر، د ط ، 2002 ص 13.

(3) خليل رزق،تحولات الحبكة، مقدمة لدراسة الرواية العربية، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط1، يناير 1998، ص:08.

أطـوار الروايـــة العربيـــة :

لقد مرت الرواية العربية منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر بثلاث مراحل أساسية هي:

1ـ مرحلـة التهيـــؤ:

" و هي تجمـع المحـاولات الـتي قـام بهـا الأدبـاء في مـصر و الـشام و سـائر الـبلاد العربيـة لكتابـة القـصة، و كانـت مرحلـة تـردد بـين الـتراث العربـي القـديم في شـكله و موضـوعه و بـين القـصة الغربيـة الحديثـة الـتي نقلـت إلى العربيـة و تحـدت مواهـب الأدبـــــاء.

وتميزت قصص هذه المرحلة اتجاهات مختلفة، بعضها اجتماعي، أو إنساني مثل قصص: محمد لطفي جمعة، و حافظ و الرافعي و المنفلوطي، و بعضها تاريخي مثل قصص جورجي زيدان و شوقي، و يغلب مثلا طابع تكرار الأحداث دون بناء متكامل في قصص جورجي زيدان، أو العناية الفائقة بالأسلوب إلى جانب الموضوع التاريخي عند شوقي أو الاجتماعي عند المنفلوطي[1]

2ـ مرحلـــة النـــشأة الأولـــى:

هذه المرحلة تحوي "مجموعة قصص لكبار كتاب النصف الأول من القرن العشرين في مصر، و تبدأ بقصة "زينب" لحسين هيكل، و التي كتبها سنة 1911 و طبعت سنة 1914 ثم طه حسين و مجموعة قصصه "الأيام" و "شجرة البؤس" والعقاد في "سارة".

و قد تميزت هذه القصص التي جاءت في هذه المرحلة باختلاف " اتجاهاتها الفنية و موضوعاتها و في طرق بنائها و معالجتها، فمنها الواقعي و تبرز فيه الظواهر الاجتماعية في صور حزينة بائسة كما فعل طه حسين في "المعذبون في الأرض" و بعضها يعرض لها في أسلوب ساخر تغلب عليه حلاوة الروح و عذوبة التناول كما

(1) ينظر: محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها، اتجاهاتها، أعلامها، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1987،ص:82 -83.

في"يوميـــات نائـــب في الأريـــاف"، و منهـــا مـــا هـــو أميـــل إلى التحليـــل النفـــسي مثـــل "سارة" للعقاد[1] .

3ـ مرحلـــــة النضـــــوج:

و فيها استقرت الرواية على معالم واضحة، و تعني تلك الحركة التي ولدت علـى أيدي جماعة من الجيل الثاني من الأدباء بعد سـنة 1924 وكانـت تجمعهـم أولا مجلـة السفور،و تظم جماعة من الشباب(...) و قـد لمـع مـن بـين هـذه المجموعـة" محمـود طـاهر لاشين" و" يحي حقي "باتجاهيهما الواقعي الاجتماعي التحليلي، الذي يقـوم علـى فهـم عميق و وعي لمشكلات المجتمع المصري[2]

فقد أتاح أصحاب هذا الجيل المكانة المناسبة لفن الرواية و وصـلوا بـه إلى درجـة العالمية وهذا ما حققه "نجيب محفوظ "الـذي أنـتج حـشدا مـن الروايـات الـتي تنتمـي إلى المجتمع المصري لكل مشاكله [3]

و كانت من رواياته الناجحة رواية "زقاق المدق" التي تمثل ركيـزة مـن ركـائز الفن الروائي الواقعي و ملمحا أساسيا من ملامح فن" نجيـب محفـوظ "و خطـوة مهمـة في درب تطور مسيرته الطويلة من معالجة الفن الروائي "[4]

(1) المرجع السابق ، ص:86.
(2) المرجع نفسه ، ص:84.
(3) المرجع نفسه ، ص:92.
(4) جورج سالم، المغامرة الروائية، دراسات في الرواية العربية، أنجاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ص: 83.

مصطفى لطفي المنفلوطي

مولـــده، نسبـــه و نشأتـــه:

هناك في صعيد مصر و على الضفة الغربية للنيل و في مدينة تسمى منفلوط فجر العاشر من ذي الحجة سنة 1293هـ / 30- 12- 1876م و لد مصطفى بن محمد بن محمد بن حسين بن محمد بن لطفي المعروف بالمنفلوطي، نسبة إلى المدينة التي ولد بها من أب عربي يتصل نسبه بالحسين و أم تركية، في بيت عرف بالعلم و القضاء[1].

لقد كان أدب مصطفى لطفي المنفلوطي " غذاء الشباب و الشيوخ منذ أوائل القرن العشرين، و كان بدء النهضة الأدبية الحديثة في الأدب العربي، و كان أسلوبه المبدع بمثابة المفاتيح التي تفتح النوافذ و السدود و القيود أمام عقول الناس و قلوبهم و أرواحهم فكانت مؤلفاته هي الزاد الروحي و الفكري و الأدبي للحركة الرومانسية في الأدب و الشعر في هذا القرن، بل كان مدرسة كاملة تخرج على يدها الكثير من الأدباء الموهوبين،و لقد ظهر المنفلوطي على فترة من الأدب، ففاجأ الناس مفاجأة عجيبة بأدبه الحي و أسلوبه العجيب، و قصصه الغريب الرائع، الذي أعاد للعربية شبابها و رونقها و سحرها "[2]

و من بين المؤلفات التي تركها لنا المنفلوطي نجد :

1- كتاب النظرات : يضم مجموعة مقالات في الأدب الاجتماعي، و النقد الأدبي و السياسة و الإسلاميات و مجموعة من القصص القصيرة المنقولة أو الموضوعة .

و قد جمعت وطبعت في ثلاثة أجزاء، وكان قد بدأ بكتابتها منذ عام 1907.

2- كتاب العبرات : يضم تسع قصص وضعها المنفلوطي و هي : اليتيم ، الحجاب الهاوية ،وواحدة مقتبسة من قصة أمريكية إسمها صراخ القبور و جعلها المنفلوطي

(1) سهام خرفي: مصطفى لطفي المنفلوطي (إمام البيان)، دار قرطبة للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط1، 2005 ص: 05.

(2) محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه، دار الجيل، بيروت، ج1، ص: 347.

بعنوان العقاب ، و خمس قصص مترجمة صاغها المنفلوطي و هي : الشهداء ، الذكرى الجزاء ، الضحية ، الإنتقام ، طبع هذا الكتاب سنة 1916.

"و الكتاب كما يدل عليه اسمه مجموعة قصص عن بعض البؤساء بأسلوبه الساحر معتمدا على براعته في تصوير المواقف الحزينة لاسيما و أنه و أنه كان معجبا بسرد أخبار البؤساء، و كأنه يجد لذة قصوى في استدراج القارئ إلى مشاركته في ذرف الدموع السخية"[1]

3ـ رواية في سبيل التاج : صاغها المنفلوطي و تصرف بها بعد ترجمته لها عن الفرنسية و هي أساسا مأساة شعرية تمثيلية كتبها" فرانسوا كوبيه "أحد أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا، وهي الرواية المختارة كمدونة في الفصل التطبيقي ـإن شاء اللّهـ

4ـ رواية بول و فرجيني : صاغها المنفلوطي ، بعد ترجمتها عن الفرنسية و جعلها بعنوان الفضيلة [2]

5ـ رواية الشاعر : و هي خلاصة المسرحية التي قدمها" ادمون روستان" الشاعر الفرنسي العظيم تحت اسم "سيرانودي برجراك "

6ـ ماجدولين : و هي قصة تعنى بعواطف النفس البشرية في مجال الحب.

7ـ كتاب مختارات المنفلوطي : و هي مجموعة من جيد منظوم العرب و منثورها في حاضرها و ماضيها ،و قد طبع من المختارات جزء واحد فقط [3] .

أما عن أسلوبه وأدبه فقد قيل عنه أنه أبلغ كاتب في العصر الحديث من حيث رشاقة العبارة و رقة التعبير و تصوير الحوادث تصويرا حقيقيا، و هو صاحب القلم البديع الجذاب المتفوق في جميع الأغراض و المقاصد حتى سمي بحق أمير البيان،فقد كان لأسلوبه تأثير خاص على نفوس القارئين كأنه يكتب لكل لسان، و يترجم عن كل قلب، كما كان المنفلوطي متميز الديباجة و الأسلوب يقول عنه عبد

(1) مجيد طراد، مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2003 ، ص: 07.
(2) ينظر: محمد الطيب عبد النافع، التاريخ والأدب العربي والنصوص الحديثة، ص: 679.
(3) ينظر: مارون عبود، كتاب أدب العرب، دار النهضة ، مصر، ص: 467.

المنعم خفاجي:" أنه مدرسة مستقلة في الأدب المصري الحديث، و أنه أبلغ من كتب في العصر الحديث " [1]

حيث امتاز أدبه برشاقة التعبير و عذوبة الألفاظ و رقة الأسلوب، و تصوير الحوادث تصويرا حقيقيا، حتى ليضرب به المثل في متانة التركيب و حسن اختيار الألفاظ، وصوغ المعنى الدقيق في القالب الرقيق و التعبير عن الانفعالات النفسية بوضوح و جمال و قوة. فكان يعمد إلى الأفكار يحللها و يشرحها و يستجلي أدق خفاياها و إلى العواطف فيعبر عنها بتعابير لم يستعملها غيره من كتاب عصره و كان أول من أعاد للعربية رونقها و بهائها بأساليب جيدة و أفكار عصرية.

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث، ص 359.

ـ القرآن الكريم برواية ورش

قائمــة المــصادر و المراجـــع:

1 ـ ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط3، 1416هـ، ج2

2 ـ ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان (دط، دت)، ج2.

3ـ ابن منظور: لسان العرب، المحيط،إعداد وتصنيف يوسف خياط ، دراسات لسان العرب، بيروت ،(دط،دت)، ج1، ج3.

4ـ ابن هشام الأنصاري:

ـ مغني اللبيب ، تقديم إميل يعقوب ، حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ ط1، 1988، 1418هـ، ج2

ـ شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب للطباعة والنشر.

6ـ أبي بكر الأنبا ري: الأضداد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الكويت، 1960.

7ـ إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، طبعة لجنة أبيان العربي ، القاهرة.

8ـ إبراهيم خليل : في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة،ط1 ،2007.

9ـ أحمد عفيفي: نحو النص،إتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة.

10ـ أحمد مداس: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديثة،الأردن،2007.

11ـ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط1، 1977.

12ـ الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب،ط1 ، 1993.

13ـإلهام أبو غزالة: علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي لوجراند و ولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997.

14ـ برنارد شبلنر: علم اللغة و الدراسات الأدبية، ترجمة، محمد جاد الرب، القاهرة، الدار الفنية للنشر و التوزيع، ط1، 1987.

15ـ الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخا نجي، ط4، ج1.

ـ البيان و التبيين، تح: حسن السندوسي، دار المعارف، تونس، 1990، ج1.

17ـ الجرجاني: التعريفات، تح: ابراهيم الأبياري، دار البيان للتراث.

18ـ الحاج صالح (عبد الرحمن): "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي" في: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1991.

19ـ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد علي صبيح القاهرة.

20ـ الزمخشري: المفصل في صفة الإعراب، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان ط1، 1993.

21ـ الزركشي (بدر الدين) : البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت ـ لبنان تح: محمد أبو الفضل، ط3، 1980، ج3.

22ـ السيوطي:

ـ الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج1.

ـ الأشباه والنظائر في النحو، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1295هـ، ج1.

24ـ الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، 1985.

25ـ المبرد: المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، 1399هـ، ج4.

26ـ جورج سالم: المغامرة الروائية، دراسات في الرواية العربية، أنجاد الكتاب العربي دمشق، سوريا.

27ـ جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997.

28ـ خليل رزق: تحولات الحبكة، مقدمة لدراسة الرواية العربية، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ـ لبنان ـ ط1، يناير 1998.

29ـ خولة طالب الإبراهيمي: مباديء في اللسانيات، دار القبة، حيدرة، الجزائر دط، 2000.

30ـ دومينيك مونقانو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن منشورات الاختلاف.

31ـ دي بوجراند و ولفجانج دريسلر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997.

32ـ حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف الجزائر.

33ـ تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

34ـ ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1423، ط1.

35ـ روبيرت دي لوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د/ محمد حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998.

36ـ سعد كريم الفقي: قواعد اللغة العربية، مركز الإسكندرية للكتاب 2008.

37ـ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم و الإتجاهات، مكتبة لبنان ط1، 1997.

38ـ سعيد يقطين: ـ تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، السرد ، التبئير) المركز الثقافي العربي بيروت.

ـ انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان ـ ط2.

40ـ سهام خرفي: مصطفى لطفي المنفلوطي (إمام البيان)، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2005.

41ـ سيبويه: الكتاب،تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3 1408، 1988، ج1.

42ـ شوقي بدر يوسف: الرواية والروائيون، دراسات في الرواية المصرية، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2006.

43ـ صبحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000،ج1.

44ـ صالح بلعيد: التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

45ـ طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1983.

46ـ عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية) دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985.

47ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ط1، 1989، ج2.

48ـ عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية ط1، 1990.

49ـ عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي، الجزائر، 2006.

50ـ عبد السلام المسدي: الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 1982.

51ـ عبد الملك مرتاض: ـ النص الأدبي، من أين؟ و إلى أين؟ ديوان المطبوعات، 1983.

52ـ عبده الراجحي: التطبيق النحوي دار المعرفة الجامعية، ط2، 1999.

53ـ عفت وصال حمزة، أساسيات في علم النحو، دار ابن حزم للطباعة، بيروت لبنان ط1، 2003.

54ـ علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001.

55ـ عمر أبو خرمة: نحو النص، نقد النظرية و بناء أخرى، عالم الكتب الحديث الأردن، 2004.

56ـ فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وزميليه الدار العربية للكتاب، 1975، تونس.

ـ محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر المؤسسة الجزائرية للطباعة، السداسي الثاني، دط، 1986.

58ـ فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي وزميله، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

59ـ فاضل ثامر: اللغة العربية الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 1994.

60ـ فولفانج هانيه من و ديتر فيهنجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح إبن شيب العجمي، جامعة الملك سعود.

61ـ فاولر روجر: اللسانيات و الرواية، تر: لحسن إحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء ط 1، 1997.

62ـ مارون عبود: كتاب أدب العرب، دار النهضة ، مصر.

63ـ مجيد طراد: مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ط2 ، 2003 ،

64ـ محمد حماسة عبد اللطيف: النحو الأساسي، دار الفكر العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 1991م.

65ـ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي،بيروت .

66ـ مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دت ج2.

67ـ محمد العبد ، النص و الخطاب والاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة ،2005.

68ـ محمد الطيب عبد النافع: التاريخ والأدب العربي والنصوص الحديثة

69ـ محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها، اتجاهاتها أعلامها، ، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1987

70ـ محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه، دار الجيل بيروت، ج1.

71ـ محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف، الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، إيتراك، القاهرة، ط1، 2001.

72ـ محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي ط1، 1999.

ـ تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب .

ـ ديناميكية النص (تنضير و انجاز المركز الثقافي العربي ، المغرب ط2، حزيران،1990.

75ـ مصطفى الجويني: في الأدب العالمي: القصة و الرواية، السيرة،، منشأة المعارف مصر، د ط، ،2002، ج3.

76- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1997.

77ـ مصطفى لطفي المنفلوخي، في سبيل التاج، دار النفيس، الجزائر.

78 ـ منذر عياش، العلماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي.

79ـ مهدي المخزومي : في النحو العربي نقد وتوجيه ، منشورات المكتبة العصرية بيروت ، لبنان ، ط1،1964.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Halliday & R- hasan, cohesion in english, Longman, Londan, 1976.

2- Halliday & R- hasan, language, context and text.

3- Brinker,K.T. text Linguistic ,1979.

المجـــلات:

1ـ أحمـــد الخـــديري:مـــن الـــنص الجـــنس الأدبي،الفكـــر العربـــي المعاصـــر،عدد 100، 101،1998.

2ـ جميل عبد المجيد حسين:علم النص، أسسه المعرفية، تجلياته النقدية، مجلة عالم الفكر،ع 2، أكتوبر ،ديسمبر،2003.

3ـ سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول ع1، 2، يوليو 1991، أغسطس 1991.

4ـ صـــلاح فـــضل: بلاغـــة الخطـــاب وعلـــم الـــنص، سلـــسلة عـــالم المعرفـــة ع 164، الكويت،أغسطس،1992.

5ـ د/ جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، مجلة عالم الفكر، ، ع2، المجلد 32، أكتوبر، ديسمبر، 2003.

6ـ علي عزت: اللغة ونظرية السياق، مقال في مجلة الفكر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ع 76، 1971.

7ـ محمد الصغير الثاني:مفهوم النص عند المنظرين القدماء، مجلة اللغة و الأدب، ع 2 قسم اللغة العربية،جامعة الجزائر.

8ـ نبيلة ابراهيم: القارئ في النص، مجلة فصول، عدد الأسلوبية، مجلد5، ع1.

المواقع الالكترونية:

1- http://www.al-mostafa.com

2- http://www.google.com.

فهرس الموضوعات

المحتويـــــــــــــات	الصفحة
إهـــــــداء	
مقدمـــــــة ----------	**أ- د**
الفصل التمهيدي: مفهوم النص بين المنظور العربي و المنظور الغربي	**01- 26**
مفهوم النص بين المنظور العربي و المنظور الغربي----------	**02**
أولا:لغـــــة----------	**02**
1- عند العرب----------	**02**
2- عند الغرب----------	**03**
ثانيا- المعنى الاصطلاحي ----------	**05**
1- الجملـــة----------	**06**
أ- جمل نظام ----------	**07**
ب- جملة نصية ----------	**07**
2-الخطاب ----------	**07**
أ- عند العرب----------	**12**
ب - عند الغرب ----------	**16**
1- التعريفات الخاصة بالشكل----------	**16**
2- التعريفات الخاصة بالمضمون----------	**17**
3- التعريفات الجامعة بين الشكل والمضمون----------	**19**
1- السبك----------	**21**
2-الحبك ----------	**21**
3-القصد----------	**22**
4-القبول ----------	**22**
5- رعاية الموقف ----------	**22**
6- التناص----------	**22**
7- الإعلامية----------	**23**
مراحـل إنتـاج النـص----------	**24**
1- مرحلة التخطيط ----------	**24**
2- مرحلة التجريد ----------	**24**
3- مرحلة التطوير ----------	**24**
4- مرحلة التعبير----------	**25**
الفصل الأول: الاتســـاق النصـــي ووسائلـــه	**27-59**
التماسك النصي ----------	**28**
1- مفهومه----------	**28**
1-1-الاتساق:----------	**28**
1-1-1-المعنى اللغوي----------	**28**
1-1-2- المعنى الاصطلاحي----------	**29**
أدوات الاتساق ووسائله----------	**33**
1- الإحالة" référence"----------	**33**
أنواع الإحالة----------	**34**

1-إحالة داخل النص(Endophora) ---------- 34
1-1 إحالة قبلية (anaphora)---------- 35
1-2-إحالة بعدية(cataphora) ---------- 35
2-إحالة خارج النص (EXophora) ---------- 35
المدى الإحالي---------- 37
1-إحالة ذات مدى قريب ---------- 37
2- إحالة ذات مدى بعيد---------- 37
العنصر الإحالي---------- 37
1-عنصر إحالي معجمي---------- 37
2-عنصر إحالي نصي---------- 37
وسائل الاتساق الإحالية---------- 38
1- الضمائر---------- 38
2- أسماء الإشارة---------- 39
3- المقارنة---------- 39
نظرة القدماء للإحالة---------- 41
2- الاستبدال substitution---------- 46
3- الحذف ellipsis---------- 47
علاقة الحذف بالاستبدال---------- 50
علاقة الحذف بالإحالة---------- 50
4- الربط Junction---------- 51
1- التوابع عند القدماء---------- 52
2- التوابع عند النصيين---------- 53
- أنـــواع الربـــط---------- 54
3- الاتساق المعجمي---------- 56
أدوات التماسك النصي---------- 59
الفصـــل الثانـــي: الانســـجام و الســـياق **60- 90**
الانسجام ---------- 61
مفهوم الانسجام---------- 61
أ- لغـــــة ---------- 61
2- اصطلاحا---------- 62
وسائل الانسجام---------- 70
1- السببية---------- 70
2- الزمنية---------- 70
3- الإبداليـــة---------- 70
4- المقارنـــة---------- 71
5- التضمن---------- 71
2- الخطاب التام والخطاب الناقص---------- 73
3- موضوع الخطاب- البنية الكلية---------- 73
التماسك والسياق---------- 76
1- السياق لغة---------- 76

2- اصطلاحا---------- 77
أ- السياق عند القدماء---------- 77
ب- السياق عند المحدثين---------- 85
دور المتلقي في الحكم على تماسك النص---------- 89
الفصل الثالث: البنية الإحالية للضمائر 91-147

البنية الإحالية للضمائر ---------- 92

أ- الضمائر البارزة المنفصلة---------- 93
ب- الضمائر البارزة المتصلة ---------- 113
1- الضمائر التي في محل رفع---------- 113
2- الضمائر المتصلة التي في محل نصب أو جر---------- 129
الفصل الرابع: البنية الإحالية لأسماء الإشارة 148-186

البنية الإحالية لأسماء الإشارة---------- 149

1- الإحالة بواسطة إسم الإشارة "هذا---------- 149
2- الإحالة بواسطة إسم الإشارة "هذه"---------- 156

الإحالة بواسطة إسم الإشارة"تلك"---------- 164
الإحالة بواسطة إسم الإشارة "ذلك"---------- 174
الإحالة بواسطة إسم الإشارة الجمع---------- 186

1- أولئك---------- 186
2- هؤلاء---------- 186
الفصل الخامس: البنية الإحالية للأسماء الموصولة 187-226
البنية الإحالية للأسماء الموصولة---------- 188

خاتمة---------- 227-230

ملحق ---------- 231-237

قائمة المصادر و المراجع---------- 239-246

فهرس الموضوعات---------- 248-251